انطباعات وآراء

حول قصائد

مهرجان الرابطة الاخير

بقلم مصطفى الخمار

هو مجرد انطباع اسجله بعد معايشتي قصائد كوكبة من شعراء الكويت الشقيق وانا انتسم عن بعد ما تجود به قرائح هذا البلد وقرائح الاشقاء على امتداد الوطن .

هم ثمانية شعراء وشاعرتان سمعت اصواتهم عبر مجلة البيان العدد ١٧١ ــ حزيران ١٩٨٠ فشكرا للمجلة التي اتاحت لقارئها البعيد مافاته من الاستماع والاستمتاع بشعر هؤلاء الشعراء من منبر رابطة الادباء في الكويت الشقيق ، وكم اشعر بالمتعة اللامتناهية ــ كقارىء ــ حين يتحاور كياني مع الشعر ــ وبخاصة ــ الشعر الجيد منه والآتي عبر ما يسمى بالحدود ، فتكتمل شيئا فشيئا الوان اللوحة الواحدة .

قبل ان انقل هذا الانطباع اضع امامي وامام القارىء اشارتين : الاولى : تتعلق حول مصير الشعر العربي المعاصر بصورة عامة في وقتنا الراهن ، هو متهم بالتقصير على المستويين : المضموني والشكلي قياسا الى نماذج الشعر العربي القديم خلال عصور تالقه . فكم من قائل وبصوت مسموع : نحن بحاجة الان الى المتنبي والى ابي تمام والى البحتري والى عمالقة الشعر العربي وغيرهم من قمم الشعر السامقة تنقذ ما الت اليه القصيدة والتي ارتدت لبوس القصيدة العربية القديمة المحافظة . واما الثانية : تتعلق باتهام اكثر خطورة موجه الى شعر التفعيلة وموجة الشعر الحديث جدا هذا الاتهام يقول : بان الشعر في طريق مسدود ؟!. نعم هناك



عبدالله مبسنان



خالد سعود الزيد

عطاء هائل من القصائد المكرورة ، ذات النمطية الواحدة الى حد التقريد ، فاين الكيف من هذا الكم ؟ اين النماذج الجيدة المبدعة ذات الخصائص المتميزة التي تحافظ على جذور الاصالة ونكهة الحداثة وتضيف شيئا الى شعر رواده من امثال : السياب والملائكة وغيرهما ...

ليتعرف القارىء الكريم معي هذين الاتهامين وسوف يجدهما ينصبان على غلاة النوعين من الشعر ، اصحاب القصيدة الشاحبة ، واصحاب القصيدة المشوهة .. اما اولئك الشعراء الذين يعطون ويجددون وهم يحافظون على الخصائص الممتازة في القصيدة العربية ، الذين ادركوا معنى كيف يكون الشاعر مجددا حين يكون اصيلا ، وكيف يكون اصيلا حينما يكون مجددا ؟

مرة سئلت الشاعرة نازك الملائكة : المستقبل لمن : هل للقصيدة العمودية ام للقصيدة الحديثة ؟ اجابت بثقة وادراك للفن وللفكر : المستقبل لكليهما معا وتقصد الجيد منهما ـ طبعا ـ ؟

وشعراء مهرجان رابطة ادباء الكويت ينطلقون باصواتهم المتنوعة ـ ككل ـ تحت ظلال هذه المقولة المعتدلة ، فالدخول الى الشعر هو المطلب الاساسي ، والشعر الحقيقي الجيد هو الذي يدخل اعماقنا بلا استئذان وبدون تنظيرات المدارس الادبية وتعقيداتها ، وبدون عقدة الاجيال !

نسال دوما انفسنا : هل وصل هذا الشعر الى كياني ، وهل اثر ، وهل غير ، وكيف تم ذلك ؟

اجيب على هذا السؤال بعد ان عايشت قصائد المهرجان جميعا معتذرا ـ منذ البدء ـ تصنيف الشعراء والشعر كما يفعل من تجتنبه تلك العادة وهو يقع تحت تاثير هذا التصنيف المسبق .

ابرز ميزة ــ قد يعتبرها الاخرون مثلبة ــ المسها في القصائد هي : وضوح الرؤيا ، انت امام قصائد وراءها شاعر تسير معه الى حيث يريد فتنقاد له لانه يحدثك عن نفسك ، وعن واقعك ، وعــن امتك . شعــراء المهرجان ، شعراء يسكنهم جميعا الحزن والفجيعة ويتفاوت هذا الشعور في قصائدهم من احساس ذاتي كما في قصائد : جنة القريني ، يعقــوب السبيعي ، ونجمة ادريس . الى احساس شامل كما في قصائد : عبدالله سنان محمد ، سالم عباس خداده ، خالد سعود الزيد ، عبد الله العتيبي ، فيصل السعد ، مازن شديد ، وسليمان القليح .

خمسة شعراء منهم رجعوا الى الماضي بحزنهم الذاتي والعام ، جنة القريني في قصيدتها : اغنية للرحيل ، تهرب بحزنها ومن حزنها الى البعيد :

ما اروع كذبا ينقلني ،
لشواطىء سحــر ،
تبهرني
ولكن بالبهجة زاخر ..
لا تسخــر
فالحلم النائي بوجودي
دائي ، ودوائي ،
مادمت اعاني من غرق
في بحر بالظلمة عامر



جنة القريني
ARCHIVE

● يعقوب السبيعي في قصيدته (الشذر القديم) يهرب الى طفولته والى صباه الناضر بحزنه والمــه :

كــان النكــوص لزامـــــا عـــن هابـــط يتسامـــى
وحيـــث ان اتجاهـــي يسمى لعجـــزي ختامـــا
نقلـــت وجهـــي ورائـــي صـــيرت خلفـــي امامـــا ...

اما الشعراء : خالد سعود الزيد ، وعبد الله العتيبي ، وعبد الله سنان محمد ، يعودون الى الماضي :

الزيد يخاطب ابا حامد الغزالي ، العتيبي يخاطب ابا العلاء المعري ويستحضر الحلاج ، وابا ذر ، وعروة ، ولبيدا ، والمتنبي ، ومجنون ليلى قيس بن الملوح ، اما عبد الله سنان محمد فيعود بنا الــى حقبة مضيئة رافعة الراس ويرفع بها الراس من تاريخنا ...

في قصيدته : واقع الشرق الاوسط يقول الشاعر عبد الله سنان ، بصوت واضح وصياغة عربية تناسب ما يتحدث عنه بعودته بعـــد ان



يعقوب الشبيعي



د. عبدالله العتيبي

عرض علينا صورا مؤلمة مثالمة مما صنعها الغرب وما آلت اليه حال الامة ، فياحبذا عودة الى الاجداد لعل بها يتعظ الاحفاد :

لقد فتحوا الامصار مشرقا ومغربا ... فما وهنوا يوما وما عرفوا الغدرا
فساروا بايمان وصدق عقيدة ... بها اكتسحوا الاسبان واقتحموا الحمرا
فارسوا لدين الله فيها قواعدا ... بها اطلعوا من نور هديهم الفجرا
فاعقبهم من لا يحرك ساكنا ... اذا ذكروا يمناه اعطاهم اليسرى

ويختار الشاعر سعود الزيد علما من اعلام هذه الامة (ابو حامد الغزالي) فيبثه الحزن :

شاغل الناس والحديث شجون ... ان ادنى المنى حديث يغنى
يا سليل المجد المضيع انا ... معشر خاب من يؤمل منا

اما الشاعر الدكتور العتيبي بعودته الى الماضي يمتزج مع عمالقته ورواده ويبث الحزن الحزين الفاجع :

كل شيء يا شيخ اصبح بجدي ... ما عدا الهوم في بحار التحدي
اجدبت ريحنا فكل شراع ... يعشق الريح ، عشقه غير مجدي
قد راينا الحلاج في سوق بانا ... بائعا للوجوه في زي هندي !
ومضى عروة يبيع الصعاليك ... ليرضي بهم هوى كل وغد
وابو ذر يا امام راوه ... يوم حرب الثغور سمسار نقد
قد راينا لبيد والمتنبي ... يعرضان الازياء في قصر عبد

والتعبير عن الحزن والالم والفجيعة بوجهيها : الذاتي والعام ياخـذ اشكالا عـدة :

١ ــ بشكل مباشر وحاد في قصيدة : زمن المدن العربية لسليمان الفليح :

لا شيء تبـدل
لا شيء تحـول
في هذي المدن اللاتي تدخل معنا حتى حين الواحد منا يتبول ؟!

٢ ــ طريقة الرمز الشفاف : الليل عند سالم عباس خدادة ، النهر عنـد نجمة ادريس ، الغزالة عند مازن شديد .

٣ ــ طريقة القناع والاسقاط التاريخي المعاصر في قصائد : الزبـد والعتيبي وسنان .

٤ ــ طريقة التداعي كما عند فيصل السعد وجنة القريني .

وضوح الرؤيا وتنوع اشكال التعبير عن هذه الرؤيا لدى هذه الكوكبة الطيبة من شعرائنا يلمح من ملامح جودة هذا الشعر في الكويت بعـد ان ابتلي الشعر العربي المعاصر بفشاوة وضياع ومن ثم الى طريق مسدود بدعوى الحداثة والتجريب والمعاصرة .

مثلا : لم اجد حرجا وضيقا حينما تعاملت مع رمز خداده ، ونجمه ، وشديد ، وشعرت بمتعة بتداعيات فيصل السعد الإبداعية في قصيدته : تساؤلات في حالة اغماء رغم انفلات زمام القصيدة من يدي اكثر من مرة ، وكذلك حين تعاملت مع قصيدة جنة القريني بتداعياتها الرومانسية ، ممـا يؤكد على مقولتي السابقة ولعل القارىء يدعم رايي هذا .

احب ان اسجل بعض اللقطات على الهامش قبل الختام وهي :

١ ــ اقتصرت في انطباعي على ابرز ما ينتظـم القصائد من خصائص وهي : (وضوح الرؤيا) لاهمية هذه الخصيصة وافتقادها في اغلـب الشعر الحديث المعاصر .

٢ ــ قصائد المهرجان مؤشر جيد بالقياس الى ركام الشعر بنوعيها ذات الشطرين ، والتفعيلة ، لامتزاج عناصر الاصالة والحداثة امتزاجا سحريا طازجا في اغلبها .

٣ ــ يثبت الشاعر سنان بعنوان قصيدته (واقـع الشرق الاوسط) مغالطة تحولت من كثرة ترددها الى حقيقة دامغة ، فاول من اذاع هذه المغالطة وروج لها هو اعلام الغرب واعلام العدو الاسرائيلي لتمييع قضية فلسطين والقضية العربية .

كما ان الشاعر سنان محمد يرصد القضية برمتها من منظاره فيقسمها الى شرق والى غرب ، والوقائع تدعو شاعرنا الى اعادة النظر في رؤيته



فيصل السعد



سالم خدادة

التقسيمية هذه ؟

٤ ــ من زاوية (وضوح الرؤيا) احاول قراءة رموز بعض القصائد :

مازن شديد في قصيدته (هي الان تاتي) يناجي الغزالة ويحتفي بهـا غائبة وحين تجيء :

وتاتي الغزالة . .
كزهـــرة شمس
كرعشة عرس

ويفاجئنا في ختام القصيدة بما يحز الفؤاد :

هي الان . . ترحل عنا الغزالة
لتكتب في اول المـــوج
لنقرا في اخر الوهـــج
. . . انا اسرنا الغزالة
وفي الليـــل كنا سملنا عيون الغزالا
وقبل الصباح . .
. . . ذبحنا الغزالة . . .



الشاعر يصوغ رمزه بوعي فكري وفني فيتدرج معنا حتى النهاية المأساوية . . وما الغزالة الا قيمة غالية غنينا لها وانتظرنا لمقدمها ولكن عندما صارت بين يدينا حقيقة ، اسانا لها حتى الموت وكانما اسانا لانفسنا وحكمنا عليها بالفناء .

واما قصيدة الليل لسالم عباس خداده فهو يرمز بالليل الى الضياع والى الاستكانة حتى صار عند الكثيرين مالوفا ومرفا لاتبارحه النفوس ، والانكى من هذا وذاك انهم . . .

فهم يرون طريق النور مظلمة وهم يرون كهوف الليل كالغلق . واما نجمة

ادريس في (النهر الضاري) فهي امام هذا النهر مسحـــــورة ، مبهورة ، مستسلمة امام غروره وضراوته ،

وانا ...

ماذا في دربكَ ــ ياعمري ــ غير المجرىَ

وهدير الموجات النشوى

تهوى في جوفي .. تهشني ...

.....

.....

تتناهبني دفقا .. دفقا

تتجول بـــي .. تغري شـغفي بمتاهات

تغفو ترنا

تتوهج في جفني حلما ...

لا افق يرجى .. لا دعة

مجنون النهر ..

يهمي نوارا ملتهبا ...

ساعات العمـــر ؟



نجمة إدريس

فما هو هذا النهر ؟ اليس هو الحب ، والحب اليائس على وجـــه الخصوص ، او طيف تجربة نفسية يجتاح النفس الانسانيـــة الحساسة الرقيقة بضراوة وجنون ؟

٥ ــ لابد من وقفة خاصة مع قصيدة فيصل السعد (تساؤلات في حالة اغماء) فهي صعبة المراس رغم طلاوة الفاظها وحـــداثة صورها الكثيرة وامتلائها بالرموز المتناثرة هنا وهناك مما ينهك المتعامل مع جسد القصيدة لمناعتها وعدم وضوح مغزاها او ادراكه في اكثر من قراءة ، وهنا يقترب « السعد » من رموز ادونيس وغيره من عشاق هـــذا النوع من الادب ، والقصيدة هذه متفردة وشاذة عن المجينة السحرية المزوجة التي تحدثت عنها انفا .

٦ ــ كم كنت اود حضور هذا المهرجان والاستماع والاستمتاع باصوات الشعر عن كثب وبعد استحالة هذه الامنية جاءني الخيال فقال : شبيك لبيك فانا خادم الشعراء وبين يديك . وها انا انهـــي رحلتي وارمي قلمي واودع خيالي .

***

... ويعوي غزال الرياح الجميل !!!



قصة : سليمان الفليح

— ١ —

غروباً جاءت العجاجه وزوبعت في « بويتنا » الصغير المنسوج من شعر الماعز. أقتلعت الاوتاد وكومت « البويت » على رؤوس أخوتي الصغار الذين كانوا يحتسون اللبن الحامض . أمي ساعتها أضاعت المطرقة وابتعدت عنا تبحث عنها ، صوتها كان من خلال أزيز الريح القبيحة ينهرنا بقسوة لم نعهدها من قبل : التفوا حول (الواسط أيها الجراء) . أختي الصغيرة كانت تصرخ بصوت مرتجف يقطع نياط القلب ، أخي الاصغر منها الجمته المفاجئة فعقدت لسانه واخذ يصدر صوتاً خفيضاً أشبه بالفحيح . أما أنا فقد كنت بين بين ، أريد الصراخ . واريد أن أثبت لها أنني قد أصبحت رجلاً بامكانها الاعتماد عليه — على الاقل ريثما يحضر أبي من ممارسة « هوايته » اللعينة تلك التي يقتل بموجبها حيوانات البر الجميلة ، أنا ولا أخفي عليكم — قد تغيرت نظرتي لابي منذ الأمس حينما عاد وهو يحمل غزالاً جريحاً يئن و يشخب منه الدم ، ابي قال بأنه جلبه هدية لي !! حينها سألته ببراءة تشوبها المرارة : أبي لماذا تقتل حيوانات البر الجميلة ؟! حدجني بنظرة حادة كالطعنة و بعينين كعيني الصقر الذي طالما أعتاد أن يحمله في رحلات (قنصه) قال : اسمع يا بني : اذا لم أقتل الحيوانات فسيقتلنا الجوع .

— الجوع ..؟! وهل الجوع صياد مثلك وله بندقية وصقر . ساعتها ضحك ضحكة مبتورة وربت على كتفي وقال : عندما تكبر يا بني وتصبح صياداً مثلي ستعرف تماماً كيف تقاتل الجوع ..


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ٢ —

الزوبعة أخذت تهدأ شيئاً فشيئاً ، أمي عادت للتولاهثة من تثبيت الاوتاد وشد الاطناب وانكبت تنفض الغبار عن أختي الصغيرة التي تحولت بفضل ما تراكم عليها من غبار الى شجرة برية قذرة . أمي أستدارت الى الموقد وأشعلت النار وجلست صامتة حزينة تكسر بعض الأعواد الرفيعة وتلقيها للنار .

— ٣ —

القمر كان يترنح قاب رمح عن الأرض أو أدنى شاحباً وحزيناً أكثر من أي وقت مضى . حاولت مراراً أن أنام ولكن هذا الصفير اللعين الذي تصدره الريح

كان يوقظني كلما غفوت و يذكرني بالعطش .

— أمي ازيد ماء ، نهرتني بقسوة وحزن : نم يا وليدي سيأتيك غزال الحلم حاملاً على قرنيه قربة الماء وسيسقيك حتى الارتواء .

— ولكن أبي لم يترك غزالاً في البرّ سوى غزالي الجريح ، أمي لماذا يقتل أبي الغزلان ؟!

— لكي تأكلون في هذا العام المحل يا بني !

— ولكننا الآن نريد أن نشرب يا أمي وأنت تقولين أن الماء سيأتي به الغزال فكيف نأكل من يسقينا في الحلم ؟! صمتت أمي كعادتها بحزن ولكنني أقتحمت عليها الصمت :

— (يمه) هل الجوع رجلاً ، وهل له بندقية وصقر مثل أبي ؟!!

— الجوع .. الجوع .؟! تمتمت أمي بحيرة وأردفت نم .. نم يا ولدي لئلا يسمعنا الضبع

— واذا سمعنا يا أماه ؟!

— يأتي

— واذا أتى ؟!

— يأكلنـــا

— ولكن والدي سيقتله لو فعل ذلك !

— ٤ —

تململت كثيراً في فراشي ولم أتمكن من النوم ، أمي أتكأت على وسادتي تهدهدني ريثما أغفو ثم أخذت تروي لي حكاية (السعلوه) والاميرة . كدت أغفو تماماً هذه المرة ولكن .

و .. ايقظني عواء رهيب خلف (رواق) البيت كالملدوغ محتمياً بأمي .

ذئب ؟! — ضبع — ماذا ؟! — لعله الكلب (الفليت) الذي سمعت عنه كثيراً من صبية القبيلة المجاورة ، أمي أنتفضت هي الاخرى وأعتراها ذهول كبير ولكنها حملت أحد أعمدة البيت و وقفت امام فراشنا كالجندي الشجاع ، الحيوان

أقعى امام البيت بأذنين منتصبتين ولعاب يفطر من فمه بأتجاه الارض وهو يصدر صوتاً كالمواء . أمي ركضت بأتجاهه وهوت عليه بالعمود ولكنه أنسحب ببلادة . تعقبته بالصراخ قليلاً ثم عادت ترتجف وأقتعدت وسادتي وهي تتأبط العمود . بعد قليل سمعنا ثغاء مريعاً للغزال المربوط بالطنب الايسر الذي جلبه أبي هدية لي ، أمي حينها لم تجرؤ أن تطمئن على الغزال لأن همها كان منصباً على حمايتنا فقط .

— ٥ —

أبي عاد بعد قليل من الحادث خالي الوفاض ، صرخت بوجهه أمي لائمة أياه على هذا التأخر الطويل . ثم حكت له بالطبع حكاية الكلب الغليث الذي داهمنا الليلة . وغضب أبي كثيراً وحمل بندقيته وغاب في الظلام ، سمعنا بعد ذلك طلقة بددت الصمت الرهيب بأتجاه الوادي ، عاد بعدها أبي متهلل الاسارير :

— لقد قتلت (الغليث)

— أين طعام الأولاد ؟ سألته امي بحدة .

— (تنهد أبي بحزن ظاهر) لقد صادره شيخ القبيلة !!

— ولماذا يصادره الشيخ ؟!

— أدعى بانني كنت أصيد في حمى مواشيه — ولكن ازدف — وهو يدس يده في أبط (الفروه) خذي هذا الارنب أشويه لهم لقد اخفيته عنه .

— ٦ —

في الصباح الباكر نهضت فرحاً لاطمئن على غزالي الجميل ، ولكن والدي صرخ بي بغضب : أبتعد . أياك أن تلمس الغزال . لقد أصبح غليثاً هو الآخر . ثم سدد بندقيته بأتجاه الغزال .

— أبي ، حتى غزالي تقتله .؟!

— أبتعد . قال أبي . ثم أطلق طلقة غاشمة أستقرت في عنق الغزال ، هوى بعدها صريعاً على الارض . ثم أطلق عواء مرعباً بأتجاه السماء . وسقطت مني دمعتان . وبعدها ملأ أبي بندقيته بالرصاص وأتجه الى مضارب شيخ القبيلة !!

●●●

حَنين



شعر
خزنة بوزسيلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واوصـــت بابـــا اليـــه احـــن ... وقبـــلت طرفـــا يـــكاد يجـــن
واطـــلالة الحـــب تبـــدي الهـــوى ... كمـــا رف فـــوق عيـــوني جفـــن

شربت الهـــوى مـــن بحـــار العيون ... وفي بحـــــر عينيـــك راح ودن
وملت لـــدرب الهـــوى مرتـــين ... ومـــا زال قلبـــي صريعـــا يئـــن

وقولتـــــه الهبـــت مسمعـــــي ... كمـــا عمـــق الجـــرح في الروح حزن
واطـــرقت اصغـــي الـــى قولـــه ... وفي النفس صمت ويـــاس وغبـــن

اراحلـــــة وغـــــدا تهجـــــرين ؟! ... فقلـــت : وذلـــــك منـــي جبـــــن
ولكـــن شـــرع الهـــوى قـــد ابـــاح ... ســـلوى عنـــك وفي البعـــد وهـــن

وسهـــدي حتـــى رجـــوع الصـــدى ... وقـــربي منـــك لينســـاب لحـــــن
لئـــن باعـــد الدهـــر مـــا بيننـــا ... فـــاني علـــى العهـــد دومـــا احـــن

٣ قصائد...

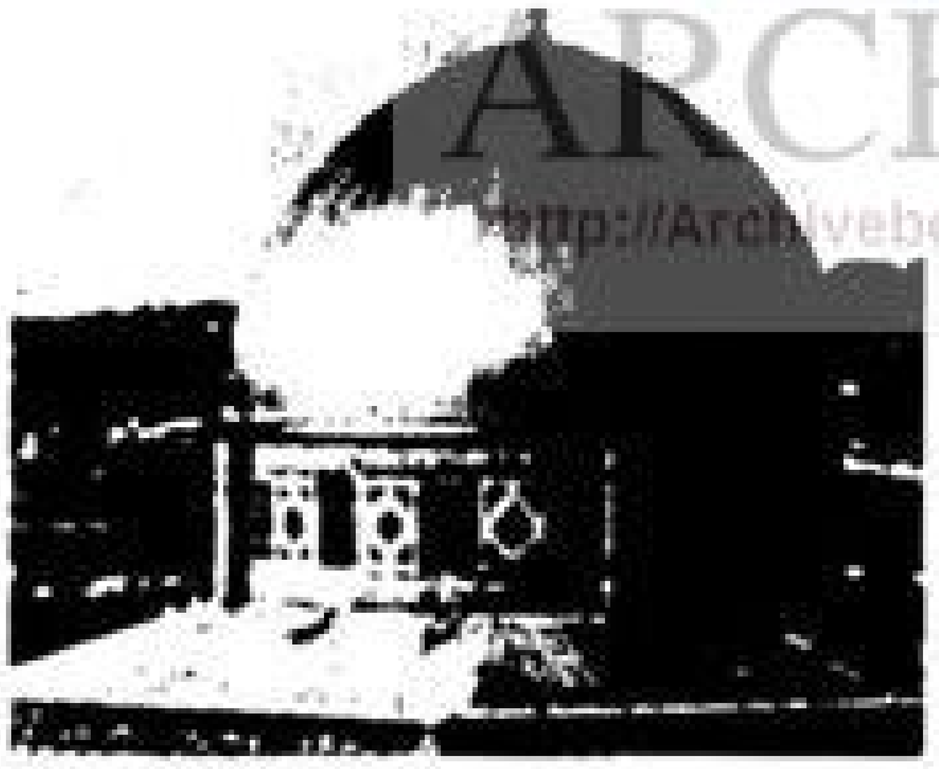


بعد لقاء الوداع

منذ عدنا وحيدين بعد لقاء الوداع
كم مياه جرت تحت هذي الجسور العتيقة
والسواقي .. وما انطفأت للقرى نار وجد قديم
ما شفينا بأوفى المحبين منا غليلا
واعتلى المارقون فينا .. افترقنا
كم شتات غدا ملتقى للاناعي
لا تـــــراعي
انت شاهدتها حول تيجان رباتنا شاخصات
صنع كهان آمون زلفى لفرعون
.. وهما لشعب معنى
تعقل الشمس .. والطير باح بسر طوته الليالي طويلا
اترى تسمعين الصدى ؟ انه لا يغني
نحن نبكي .. تدور السواقي .. وكانت بكائية القهر فجرا
لليالي الشقية بالخوف والعار
.. قبل هوان المغني وقبل سقوط المدائن
لم تزل دائرات سواقي القرى
.. تحت هذي الجسور العتيقة
ابعدي طيف عينيك .. كفى
عن سؤال : لماذا ارتددنا ؟
ولماذا شـــــدونا

لِلشَّاعر د. حَسَن فتح الباب

والمزامير خلف السواقي
تثير اشتهاء الافاعي ؟
ابعدي طيف عينيك ... كفي
فالمزامير ليست تغني
نحـــن نبكـــي
منذ عدنا وحيدين بعد لقاء الوداع
ورحيـــل الشراع
وافترقنا .. وضل الدليل طريقه
واعتلت شمسنا .. طوقتها رؤوس الافاعي .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القدس

انا كالمدوخ من امسي
انزل في حديقة الخيام
شربت .. لم تسكت جراحي سورة
المـــدام
تفجرت علي حديقة القدس
وامطرت تحطمت كاسي
بحثت عن نفسي
وجدتها بين الشظايا ... طفلة
تبحث عني في مدارج القبور
انا الطريد الميت الضمير
انا شهيدها
انا الدم المهدور في حديقة القدس

وَيَـاْتِي

مُحَمَّد

للشاعر الدكتور حسن فتح الباب

وياتي محمـــــــد
ليخمد نار المجوس ويطلق نيرانه في صدور الرواسي
فيشعل وجد الموالي الذين اعتلوا بالخيام
وباتـــوا عـــرايا
وساقوا الغنائم من بعد خوض المنايا
ولكن مساداتهم يشربون النبيذ بقاع جماجمهم
.. في العشيات .. ان الليالي تدور رحاها
وعنترة المارد العبد يبقون حيا
ليشهد يوم الطعان الجديد .. يؤم الضحايا :
(لم أكن من جناتها علم الله
ولكن بحرها اليوم صال)
وحراس عبس يصيحون تحت الدروع
... وحجابهم في المقاصير
... والمهرج أصباغه اختلطت بدموع القيان :
(كتب الحرب والقتـــال علينـــا
وعلى الغانيات جر الذيول)
واعراض عبس وديعة اسـود قن مهان



ولكن كهانها والشيوخ يشيحون عنه
وليس له حق غفرانهم انما
له الويل (ان الاله جميل يحب الجمال)
فسبحان من يولج الليل في الشمس
.. من يورث العالمين العباد الصباح الوجوه
له الحمد يحرم جنته الخاسرين !!
وساداتنا جنده الغالبون !!

— ·· —

ويسفح عنترة دمعتين
فيبكي له السيف والرمح والشعر
... يبكي عليه الجواد الجميل
وتهتز كل الجبال .. وتبكي السماء
ويصرخ كل العبيد
ليأتي محمد ...

— · —

وسالت على الربوات الظماء الدماء
تطهرها ... ثم جاء المطر ...

أجيال تنبض بالمنفلوطية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من غير المجهول ما كان للمنفلوطي في مطلع القرن من شهرة ، وما لاقاه في العقود التالية من رواج لم يحظ به كاتب عربي آخر .

ومازالت اصداء هذه الشهرة تنعكس في تجديد طبعات المنفلوطي وتعددها ، فهو من بين قلة من الادباء تتوفر مؤلفاتهم في العواصم العربية على الدوام . وبين حين وحين تطالعنا ايضا اصداء تلك العصبية القديمة التي كانت للمنفلوطي . ومن جانب اخر يتساءل البعض في عجب عن علة هذا النجاح وهذا الصدى .

على اننا في البداية ، على سبيل تقصي شهرة المنفلوطي ، نستعيد اولا مقوماتها او اهم مقوماتها.

يشكل المنفلوطي ظاهرة متكاملة تشمل مؤلفاته « الموضوعة » و « المنقولة » ، ويبدو هذا بديهيا بحيث يغيب او يكاد يغيب عن الانتباه لم تعرف « مترجمات » المنفلوطي او «منقولاته» الطويلة (« الفضيلة » ، « الشاعر » ، « ماجدولين » ، « في سبيل التاج ») باسماء مؤلفيها



المنفلوطي

بقلم

د. ناجي نجيب

جامعة برلين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفرنسيين . وانما لمعت تحت اسمه . وقل من القراء ، بل احيانا ومن دارسي الادب ، من تذكر ان سألته اسماء هؤلاء المؤلفين ، رغم انها لم تغفل . (هذا على خلاف المترجمات المختصرة التي يضمها كتاب «العبرات» فقد اسقط المنفلوطي اسماء مؤلفيها ، ووضع لها عناوين من عنده تناسب مقاصده).

ارتبط ادب المنفلوطي من البداية **باسلوبه البياني ، وبقدرته على اللهج بالعواطف** وعلى اثارة المشاعر والشجون ، وقد عبر عن ذلك احد اعلام الحياة الادبية اذ ذاك ، وهو الشيخ « عبد العزيز البشري (١٨٨٦ — ١٩٤٣) في تقريظه « مجدولين بجريدة الاهرام في ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، فقال :

« قرات كتبا واقاصيص لاعيان الكتاب والمؤلفين متقدميهم ومن تأخر منهم ، وليس شيء منها يقل عن

« مجدولين » غرابة حوادث ، وقوة خيال ، وصحة معـــان ، ونصاحـــة اسلوب ، ورشاقة لفظ ، وصفـــاء ديباجة . فلم تثر من شجوني ، ولم تثل من شؤوني بعضما نالت (روايتك) ..فعمرك الله كيف صنعت حتـــى برعت هؤلاء جميعا ، وبلغت مـــن نفوس القارئين فنامت دونـــه كـــل اولئك الاقلام ؟! ».

وفي فترة لاحقة (نحو عام ١٩٣٨) يصور احد النقاد اثر المنفلوطي فيقـــول :

« ومن المهم ان نقـــول ان اثـــار المنفلوطي تركت تاثيرا فوق المتصور في الادب العربي . لقد خفق قلـــب جيل كامل من دمشق بالشام الـــى فاس بالمغرب مـــع خفقـــات قلـــب ماجدولين ».

(اسماعيل ادهم الحوادث ١٩٣٨)(١)

اما الجانب الاخر من شهرة المنفلوطي ، فيرتبط باسلوبه البياني ، الذي حرر به الكتابة الادبية من قيود « القوالب المحفوظة » ومن تحفظات الذوق التقليدي حتى عدت « نظراته » الثمرة الناضجة للعصر الكتابـــي الحاضر » (احمد لطفي السيد : « الجريدة » ٣ ابريل ١٩١٠ ، العـــدد ٩٣٠ ، ص١) واعتبرت كتاباته ـــ لاجيال ـــ اصلح » لملكة الانشاء »(٢).

ويؤيد هذا الراي ايضا سلامة موسى في مقال له عام ١٩٢٣ ، وان عد المنفلوطي من « اهل القديم » الذين يخشون التغيير :

« والمنفلوطي يمتاز على جميع كتاب مصر باستطاعته ان يعيش بقلمه عيشا رضيا فان له مكانة رفيعة بين الشبيبة تجعل كتبه في رواج مطرد . وحسنا يفعل الاباء في تعويد ابنائهم اسلوب المنفلوطي » .

(الهلال ، السنة ٣٢ ، نوفمبر ١٩٢٣ ، ص١٥٦)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وربما كان من الطبيعي في ظل قيود المجتمع العربي التقليدي ان يروج المنفلوطي بين النشىء في سن التفتح العاطفي والميل الرومانسي الطبيعي الاول ، ولكن شهرته لم تنحصر في جيل من الاجيال ، وانما امتدت الى الشباب والشيوخ ، وشملت الازهريين وغير الازهريين ، واقتحمت دور التعليم في مصر وغيرها من الدول العربية . ويذهب احد معاصريه الى حد « تسمية فترة من تاريخ مصر باسم « عهد المنفلوطي » وهي الفترة التي يبدو فيها ان التهافت على المنفلوطي قد بلغ مداه .وتتمثل بوضوح في فترة الحرب العالمية الاولى (٣) ، وتمتد الى ما بعدها (٤) ، ومن العسير ان نحددها فحسب بالفترة التالية على الحرب . كما يذهب فتحي رضوان في مراجعته لذلك العصر .

« على ان صورة هذا العهد لا تكمل الا اذا وقفنا طويلا امام شخصية ادبية كبيرة هي مصطفى لطفي المنفلوطي ، فلست احسب ان النجاح كتب لكاتب مصري مثلما كتب للمنفلوطي بل اني اعتقد أن الفترة التالية لنهاية الحرب العالمية الاولى يمكن ان تسمى عهد المنفلوطي . فلم يكن ثمة بيت يخلو من كتاب له ضم مقالاته هو (النظرات) او من واحدة من الروايات الاربع او الخمس التي عربها عن الفرنسية فاقبل الشباب عليها اقبالا حماسيا ، وتخاطفوها ، وحفظوا فقرات منها عن ظهر قلب ، وطبعت باسلوبها اسلوبهم .. وفي تاريخ الاداب ، يحدث ان يقبل الشباب — من الفتيان والفتيات — على كاتب بينما يظهر الشيوخ والرجال النقمة عليه .. ولكن هذه القاعدة لم تنطبق على المنفلوطي فقد احبه الشبان والشيوخ معا ، قراه الاوائل في اعجاب وحرارة ، وقراه الاواخر في تقدير واحترام ».

(عصر ورجال — القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٣٠/٣١)

معارضو المنفلوطي

من الطبيعي ان تثير « المنفلوطية » نقيضها ، وان لا يقتصر الميدان عليها . ولا تكتمل الصورة على اي حال دون شهادة معارضي المنفلوطي ونقاده . وجدير بالنظر ما سجله عبد الرحمن صدقي في هذا الصدد .

كان عبد الرحمن صدقي من بين شباب المثقفين والادباء (كالعقاد والمازني ومحمد حسين هيكل ومحمد السباعي وعبد الرحمن البرقوقي وكتاب مجلة « البيان » بوجه خاص) الذين اتصلوا بالثقافة الغربية ،

.واتجهوا وجهة مغايرة ، تمثل الطرف المضاد لتيار المنفلوطية ، اذ كان رائدهم — على ما بينهم من تفاوت غير قليل في الميول والقدرات والوسائل — هو اثبات **الذات والتفرد والقوة والامتياز** • وكانوا على الاغلب (ربما باستثناء هيكل الذي كان ينظر الى التعبير كرداء للافكار والمعاني فحسب، يميلون الى السمو في التعبير ، ويتمثلون في تصورهم للاديب ورسالته بدرجة او اخرى كتاب توماس كارليل الشهير «الابطال وعبادة البطولة»(٥) او صورة الاديب البطل « بتعبير محمد حسنين هيكل ، وهذا التصور هو الذي دعا هيكل الى ان يعنون مقالاته عن الادب بـ « ثورة الادب » حين نشرها في مجلد . (الطبعة الاولى عام ١٩٣٣ ، انظر ص١٠ ، ١٧ ، ٢٦) ومهما يكن من امر ، فمعارضو المنفلوطي ينطلقون من تصور مغاير للادب ووظيفته ودوره (٦) ، ومن تصور اخر لما يسمى « بالادب الاصيل » او « الصدق الادبي » . هذه المفاهيم او الالفاظ من سمات هذه المرحلة الانتقالية في تاريخ الادب العربي ، فباسمها قد تحدث ايضا المنفلوطي ووضح ادبه .

وجدير حين نقرأ ما كتبه عبد الرحمن صدقي في هذا الصدد ، ان نمعن النظر في تلك العبارات التي يصف بها وسائل الاستبكاء المنفلوطي :

« كان معظم من هم في سني في ايام الشباب واقعا تحت تأثير ذلك التشاجي والترفق العاطفي والحنو الذائب في كتابات«صاحب النظرات» المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي . وكان الكثير من المتأدبين واساتذة البيان العربي في المدارس الثانوية حريصين على أن يستظهروا ويستظهر تلامذتهم كل ما امكن ان تسعه حافظتهم من هذه الكتابات المنمقة العبارة ، الموشاة بالتشابيه والاستعارة الذي يظهر فيها كاتبها من التأنق في وصف الحزن والفاقة والحرمان والفاقة ، ما يشبه تأنق السعداء من اصحاب الثروة الاغنياء في الوان الطعام وطرائف الملذات ، وكان احظى الايات عند المعجبين « بالنظرات » هذه الاية عن « الرحمة » ومطلعها :

« سأكون هذه المرة شاعرا بلا قافية ولا بحر ، لاني اريد ان اخاطب القلب وجها لوجه ، ولا سبيل الى ذلك الا سبيل الشعر .

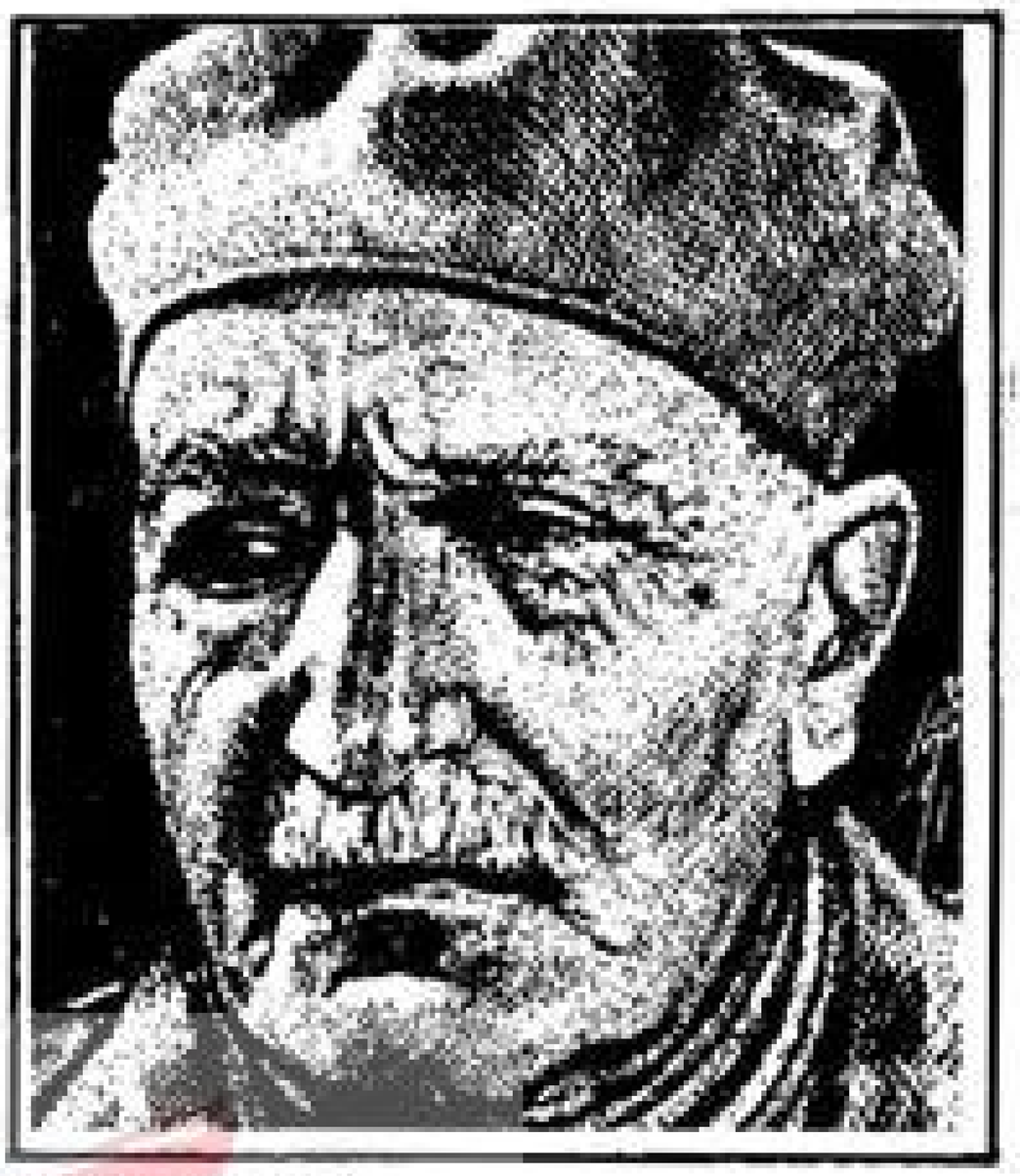
« ايها الرجل السعيد ، كن رحيما، اشهر قلبك الرحمه ، ليكن قلبك الرحمة بعينها . ان الرحمة كلمة صغيرة ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق ما بين الشمس في منظرها والشمس في حقيقتها . . وليبك قلبك قبل ان تبكي عيناك فان الدموع الغزيرة التي تجري على خديك انما هي سطور من نور تكتب على صفحة

وجهك المشرق انك انسان .

ان السماء لتبكي بدموع الغمام ، وان الارض لتئن بحفيف الريح ،ونحن ابناء الطبيعة ، فلماذا لا نقلدها في رحمتها ؟...»

هذه الطريقة التي قد يزعمونها قائمة على ما يسمونه « الحزن الرومانتيكي » ، وهذا التناول المستضعف الباكي للحياة والطبيعة، مع اصطناع هذا المنطلق المتداعي والتفلسف الزائف السطحي ، هذا كله مجتمعا صدني في صباي متابعة انتاج المنفلوطي مؤلفا ومترجما ، وصرفني عن التلمذة عليه والتأثر به ... ».

(من مقدمة عبد الرحمن صدقي لمجموعة من مقالات محمد السباعي بعنوان (خواطر في الحياة والادب) القاهرة ، بدون سنة ، ص ٣/٤).



عباس محمود العقاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« نظرات في النظرات »

اشهر ما وجه من نقد للمنفلوطي وجهه اليه **طه حسين والمازني والعقاد** • ويجمع هذا النقد انه لا يتطرق الى الاساس الاجتماعي للادب المنفلوطي والرواج المنفلوطي وان اقترب منه العقاد بعض الشيء . وربما كانت طبيعة هذا النقد الجدلية الجهيرة اكثر دلالة من مضمونه الحقيقي . فقد كانت من مؤشرات هذه المرحلة الانتقالية في تاريخ الادب العربي . وعلى اي حال فالحدة التي يتميز بها هذا النقد تتساوى مع ما كان للمنفلوطي من شهرة ومكانة .

حين بدا طه حسين « مسلسلته » النقدية الطويلة « نظرات في النظرات » (في صحف مصر الفتاة ١٩٠٩ ، و « الشعب » ١٩١٠ ،والعلم ١٩١٠) كان ذاته الى عهد غير بعيد ممن يتعاطون المنفلوطية ويستعذبونها

كما يذكر في مذكراته (مذكرات طه حسين ــ بيروت ، بدون سنه ، ص٣٧) وكما يروي رفيقه احمد حسن الزيات :

وكان هذا النفر من الايفاع المتأدبين يجلسون في اصائل ايامهم الغريرة امام (الرواق العباسي) في الازهر يتقارضون الاشعار ، ويلهون باغفال الناس ويترقبون (مؤيد) الخميس ليقراوا مقال المنفلوطي خماس وسداس وسباع و (طه) مرهف اذنيه و (زناتي) سبل عينيه و (الزيات) ماخوذ بروعة الاسلوب فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يعقدون اسبابهم بهذا المنفلوطي الذي اصطفاه الله لرسالة هذا الادب البكر ، وجعله الامام (الشيخ محمد عبده) تلميذه المختار ... »

واذكر اننا كنا نقرا (غرفة الاحزان) و (اليتيم) وامثالها فنطرب للقصة على سذاجتها ، اكثر مما نطرب للاسلوب على روعته ».

(وحي الرسالة ، الجزء الاول ص ٣٩١ ، ٣٩٥ . القاهرة ١٩٥٦. ونشر في « الرسالة » اولا في ١٢ يوليو ١٩٣٧).



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واياكانت بواعث طه حسين الاولى على وضع مقالاته النقدية (كاغراء الشيخ عبد العزيز جاويش ، فقد امتشق قلمه وهو الفتى المغمور ليصارع صاحب « النظرات » ساعيا الى الخروج من عزلته الى الحياة العامة والى « الشهرة على حساب كاتب كبير معروف » ، كما صرح نفسه فيما بعد (الاقتباس الاخير عن) طه حسين بين انصاره وخصومه » تاليف جمال الدين الالوسي ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٢٣٧) .

واذا تأملنا حملات طه حسين على المنفلوطي فأكثرها حدة وتوفيقا ــ من منظورنا ــ مقالته القصصية التي يعنون فصلها الاول : « بين العبرات والزفرات » والثاني : « الفجور بعد العفة » ، وفيها يحاكي اسلوب

المنفلوطي القصصي محاكاة ساخرة ، ويقلب منطق المنفلوطي القصصي والتربوي راسا على عقب ، اي انه يكتب فصلا من « **التقليد الهزلي الساخر** » .

يستهل طه حسين مقاله بمقطع ينسج فيه على منوال الشكوى والتاسي المنفلوطي ، ولكن في سجع لاهث وصياح لفظي يخرجه عن القصد :

« يقضي ساعات الليل ومعظم النهار بين قلب يجف ، ودمع يكف ، وجسم يرتجف . شهيق وحريق ، زفير وسعير ، وجيب ولهيب، عين ساهرة ، وهموم ثائرة ، ونفس حائرة بين ماض مؤلم ، ومستقبل مظلم . صامتا الا من كلمات متفرقات يسبقن الى قلبي فيثرن كمينه ، ويهجن دفينه يتلجلج بهن لسان لا يكاد يقوى على النطق .. اواه ويلاه .. ليتني .. لكنني ».

ويتبع التاسي بالاستعطاف واستدرار الرحمة وبيان هول الخطب ، ولكنه يستهل ذلك بعبارة منفلوطية ، وهي : « رحماك اللهم » ويكررها بنمطية ونبر عال يحول الاستعطاف الى لون من التهويل والاستخفاف :

« رحماك اللهم بهذا الشاب ، ماذا جنى ؟

« رحماك اللهم ! انه يعول ابوين واخوين .. »

« رحماك اللهم ! ايذوى هذا الغصن اللدن ؟ وتذبل هذه الزهرة الناضرة ؟ وتضم الارض هذا الشخص الكريم بعد ان كان مثال الكمال في الخلق والخلق »

« كان بديع الصورة ، جميل الطلعة ، وضيء المنظر .. طاهر انلفس .. اللهم الا زلة في اصل نكبته ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يتوجه الكاتب الى القارىء مباشرة ، محدثا اياه بانه خليق ان يبين له الاسباب والمؤثرات التي ادت بهذا الشاب الطاهر الى الزلل .

والقصة ــ كما يرويها الكاتب الان ــ ان هذا الشاب الكريم « كان قد التحق بخدمة كبير تبناه واكرم مثواه ، واباح له بعد الاحتجاب حجاب حرمه . . » فراودته سيدة البيت عن نفسه فاستجاب وغوى الى ان فاجأهما سيد البيت . في ليلة فاجرة ، ففر الفتى هاربا فرماه الرجل بمدية اصابته في فخذه . فلما قفل الى زوجه عنفته تعنيفا عظيما على ما اخذها به من الشك والريبة « فكأنما صبت عليه جرة من الماء البارد فجلس يعبث بشاربه » . وتنتهي الامور الى « نهاية سعيدة » ، فيشفى الفتى ويعود الوصال بين الزاني والزانية مع « الدنانير والثياب الفاخرة »(٧) .

اما مقالات طه حسين النقدية في « النظرات » فطابعها هو التعريض والتهكم والجدل اللفظي والاسهاب الذي يفصح عن الافتعال وقلة الوسائل . وهذه جميعا من سمات **الخصومات الادبية السياسية** في هذه الفترة .

ويرى طه حسين خصمه بالادعاء والانتحال و « قلة المادة » وكثرة « اللحن » ، وكثيرا « ما يلجئه الحرج الى سخف في الاستعادة والتشبيه» « لكلفه ان يكون كلامه فخما سهلا وخفيفا جذلا » .

والمنفلوطي الى جانب ذلك يكتب في جميع الفنون « من اجتماع ودين واخلاق وقصص وعلم » وغير ذلك .

(« النظرة الثانية » في «الشعب» : ٢٠/٤/١٩١٠ ص ٢)

ادب القوة وادب الضعف

اما نقد ابراهيم عبد القادر المازني للمنفلوطي فقد جاء تحت عنوان « ادب الضعف » في الجزء الثاني من كتاب « الديوان » (١٩٢١) .

كان هدف هذا الكتاب ، كما يقول مؤلفاه العقاد والمازني في المقدمة، هو الفصل بين «القديم» و « الجديد » واقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما ، وتمهيد الطريق للجديد يتطلب « تحطيم الاصنام الباقية » (« الديوان » ط٣ص٤) .

كان المنفلوطي من حظ المازني في مأدبة تحطيم الاصنام هذه . ومن البديهي ، ووجهة الناقد هكذا ، ان ينصب اهتمامه اولا على التقييم والموازنة لا على التحليل والشرح ، وعلى بيان مراتب الادب وما هو تصور للادب. على ان المازني يعقد في النهاية فصلا عن « اسلوب المنفلوطي » ، هو من باب « النقد التطبيقي الدقيق » ، بتعبير الدكتور محمد مندور (« النقد

والنقاد المعاصرون » القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧٣).

ويبدو من الوضوح بمكان ان المازني يتأثر في مقاله منهج العقاد النقدي ومفاهيمه ، وعلى الخصوص نظرته الى **الكاتب وكتاباته كوحدة تامة او كوجهين لشيء واحد .**

والمنفلوطي في تقييم المازني من « الادعياء المقلدين » ، ولكن للمنفلوطي جمهورا واسعا من القراء والمعجبين ، وليس بوسع المازني ان يتغاضى عن ذلك او يتناساه ، كما ليس بوسعه ان يفسره ، فلا مندوحة اذن من ان يعرض بالمنفلوطي وجمهوره ، وان ينهال بمعوله عليهما معا:

ففي مصر — كما يقول — « يظهر الدعي فيستولي على الميدان ويخر الناس له سجدا الى الاذقان ويباهون به الامم والازمان » (ص ٧٦) .

ثم يعلن في نهاية هذه الفقرة : « وهاكم صنما اخر من معبودات الضئال نهدمه ونلقي به بين الاطلال (ص ٧٩) .. وفي فقرة تالية يصف قراء المنفلوطي بانهم مرضى في نفوسهم واذواقهم ثم يضيف قائلا : « ولكن لكل كاتب قراء على شاكلته منسوجين على منواله »(ص٩٧).

وهذه العبارات جميعا من باب تفسير الشيء بالشيء وترديد بعض المقولات السهلة التي تبدو واضحة الدلالة دون ان تحمل اي دلالة . وخلفيتها هو البحث عن مفهوم جديد للادب .

ARCHIVE

وملخص نقد المازني للمنفلوطي هو ان طابع ادبه « النعومة والانوثة» والاسراف العاطفي والابتذال » وعدم التلاؤم بين « الحادثة »و«الاحساس» فهو (متكلف متعمد يتصنع العاطفة كما يتصنع العبارة) . ويقابل المازني بين هذا الادب الذي يصفه « بادب الضعف » وبين تصوره هو لوظيفة الادب او بمعنى ادق لذلك التصور الذي يخول للادب دورا قياديا حيويا واثرا بعيدا . وقد استقطب هذا المذهب بوجه خاص هيكل والعقاد ، او لما كان يسمى « بادب القوة » (٨).

« عبالله ما لهذا الحانوتي الندابة وللادب الذي هو حياة الامم وباعث القوة فيها ونافث الحرارة في عروقها وحافزها الى اجل المساعي ؟(ص٩٧)

ويهتف المازني في فقره اخرى مفصحا عن تخيله لصورة الادب الحق :

« جيته — تلك الصخرة القائمة في لج الحياة تلاطمها كل موجة وتلطمها كل ريح وهي وطيدة لا تلين .. هو مثال الرجل الخليق بالحياة ، هو البطل الذي قرت عنده ثورة « كارليل » الها في ميادين الفكر لا يعرف السكون ولا يذوق طعمه الا بالتمني ... » (ص٩٨) .

« ادب الطبع » و « ادب الصنعة »

خص العقاد المنفلوطي بمقالين في جريدة البلاغ عام ١٩٢٥ ، اي بعد وفاة المنفلوطي بنحو عام ، فلم يرد — كما يقول — ان يعرض له « بالنقد » و « التشريح » « في موقف التشييع والتأبين » .

(مراجعات في الاداب والفنون — القاهرة ١٩٢٥ ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ١٥٥)

ويمهد العقاد لنقده فيقول :

« لا شك ان المنفلوطي قد كان صاحب مكان في هذا الادب يعتد به ولا يحسن اغفاله » ، فقد كان من « اولئك الادباء القلائل الذين ادخلوا « المعنى والقصد » في «الانشاء العربي » بعد ان خلا من المعنى والقصد، وبعد ان كانت الكتابة « اسجاعا وامثالا » و « قوالب محفوظة تنقل في كل رسالة ويزج بها في كل مقام » (ص ١٥٦) فكان المنفلوطي « باسلوبه المرسل » ادنى الى الكتابة الحديثة المطلقة » (ص ١٥٨) فالعقاد بمعنى اخر يحسب للمنفلوطي ما ساهم به من تيسير الكتابة والانتقال بها الى روح العصر وذوق القارىء الجديد .

بهذا التقدير العام لدور المنفلوطي يتفق العقاد مع نظرة مؤلفي تاريخ الادب العربي الحديث الى المنفلوطي .

بعد ذلك يضع العقاد المنفلوطي في ميزانه النقدي الشهير الذي يقوم على التفرقة بين « ادب الطبع » و « ادب الصنعة » او بين الادب الصادق وادب التقليد والتكلف ، فيقول :

« ان المنفلوطي « منشىء وليس بكاتب ، او هو يحسب مع اصحاب الانشاء اذا قسمنا الادباء الناثرين الى كتاب ومنشئين » .

وبقية المقال يعقده العقاد لبيان مضمون هذه التفرقة ، وهو وان كان — كالمألوف في القسم الاكبر من كتاباته — يتحدث عن نفسه وقناعاته اكثر مما يتحدث عن المنفلوطي ، غير ان حديثه لا يخلو من دلالة كتعبير عن الطرف الاخر الراديكالي المضاد للمنفلوطية ، وجدير بالملاحظة ان العقاد لا يناقش قضايا ادبية ملموسة او عملية ، وانما يتحدث عن منظور تأملي فلسفي ذاتي .

ينظر العقاد الى الفن نظرة شبه دينية ، ويعلي الكاتب « الشاعر » الى مصاف الفرد المتميزة او « الانسان » المختار الذي اوتي من القدرات ما يمكنه من اختراق الحجب وكشف الستار عما يخفى على غيره من سواد الناس ، ويذهب العقاد في هذه النظرة الباطنية بحيث يرى الكاتب متوحدا مع كتاباته :

« ان الكاتب « انسان » قبل ان يكون حامل قلم وصانع كلام وفضيلته فضيلة نفس شاعرة مدركة لا فضيلة لسان وعبارة ... وانت تعجب بالكاتب لصنعه تأنسها في نفسه وعقله ثم تعجب باسلوبه لانه وسيلة الى ابراز تلك الصفة في الصورة التي توائمها ، فاذا سئلت ان تفضل بين الكاتب وكتابته في تقديرك لم تدر كيف تفصل بينهما لانك تحس ان كتابته جزء منه ، وعضو من اعضائه ، بل هي الصق به من جميع اعضائه وجوارحه ... وفي كل كاتب شيء من طبيعة النبوة ، لانه يحمل رسالة « خاصة » من لدن الحياة الى اخوانه في الحياة ، ولهذا كان لا بد للكاتب من هبة خارقة يحس بها ما لا يحسه سواد الناس ويفهم بها ما لا يفهمون من اسرار هذه الدنيا وعجائب الغيب والشهادة»(ص١٥٩)

اما المنشيء فهو — بطبيعة هذا التعريف — من لم يؤت هذه الصفات فانك تقراه فتشعر « انه يخدعك ويحاول ان يبعدك الشيء الزهيد الذي تراه في كل مكان باسم غير اسمه »(ص١٦٠)«وليس للمنشيء رسالة خاصة يؤديها من لدن الحياة »

« فليست فضيلته فضيلة (انسان) يخاطب جميع الناس بلغة الحياة ولكنها فضيلة حروف لا حياة فيها . . » (ص١٦١) .

الالام الرفيعة والام الوضيعة

في مقاله الثاني « المنفلوطي والنفس الانسانية » يدعم العقاد مقولاته السابقة ، وان تغيرت في الظاهر مفاهيمه والفاظه .

يرى العقاد انه ليست هناك صفة « ابعد عن الحقيقة وادل على الجهل بالنفس » من وصف المنفلوطي بانه « كاتب النفس الانسانية » (ص ١٦٣) .

اليس المنفلوطي اذن مؤلف العبرات والمراثي والوجدانيات .

لا ينكر العقاد ذلك ، ولكنه يقيم حكمه على اساس ميزان آخر من موازينه ، وهو : التفرقة بين «**الالام الوضيعة والالام الرفيعة**» بين «غزارة الدموع وبين « الاحساس بمصائب النفس الانسانية » بين « ليونة الطبع ودماثته » وبين « صدق الاحساس وسرعة العطف » كما يقول :

وبديهي بعد هذا اين يندرج المنفلوطي :

« وما ظنك بقلب لا يستدر العطف

على المصاب حتى يجمع عليه بين
ظنك الفاقةوتبريح السقم ويأس الحب

ووحشة العزلة وذلة اليتيم وسائر
ما يحيق باشتات المذنبين في الارض
من صنوف الشقاء وضروب الهوان
والحرمان ؟ » .

(ص ١٦٦)

ولا خلاف في ان هذه الالام تلح على المنفلوطي ، وحولها يعقد الكثير من نظراته وعبراته . ولكن الاهم هو تقييم العقاد لهذه الالام ، فهي في عرفه الام هابطة او قل انه يستميذ بالادب ان يهبط الى هذه المدارج:

... وهكذا ..وهكذا بحيث ترى
ان ليس للناس عند المنفلوطي مصائب
غير هذه المصائب الجسيمة واشباهها
التي يبصرها الاعمى ويسمعها الاصم
ويجتمع فيها الجوع والداء والذل
والموت بلا افتراق ولا تنويع ، وهي
على فداحتها وثقل وطأتها ليست مما
يسمى بمصائب « النفس الانسانية »
وآلام الضمائر الحية لانها مصائب
والام يشترك فيها الانسان
والحيوان ...» (ص ١٦٧)

مقابل هذه الالام الارضية يضع العقاد الامه النوعية او الرفيعة ، تلك الالام التي تميز — كما يقول — « الانسان الشاعر » ويفرق بينهما كما لو كان هناك حد فاصل يفصلهما :

« وانما مصائب النفس والام
الضمير تلك التي يتفرد بها «الانسان»
الشاعر وهو تام المارب من طعام
وشراب ومتاع وسلطان ، وهي تلك
التي تجلبها له نوافل الكمال التي
يعلو بها عن الاحياء الدنيا . وعن بني
ادم الذين يشبهونه في المطالب
والهموم » (ص١٦٧).

« وربما كانت خلاصة هذه الالام
الرفيعة الما واحدا يتخللها جميعا
وترى فيه كأنما « الانسانية » تشتاق
الى مرتبة فوق مرتبتها وسعادة فوق

سعادتها وحاجات من العيش والوجود فوق حاجتها ، فهو الم التشوق الى ما وراء الانسانية من خط الحياة والحنين الى « المجهول الذي لا يحده الحس ولا تحيط به الافكار ، وذلك هو الم لم يعطف عليه المنفلوطي قط ولم يجعل للانسانية نصيبا منه في كل ما الف او ترجم».

(ص ١٩٦٧/١٩٦٨) .

لا حاجة الى الاشارة الى ان العبارات السابقة اكبر دلالة على العقاد منها على المنفلوطي ، فمصدر التفرقة بين الالام الوضيعة والالام الرفيعة هو مفهوم الادب الراقي او الرفيع الذي قال به العقاد . **بمعنى ان للادب الرفيع ايضا موضوعاته الخاصة الرفيعة التي ترتفع به عن قضايا الحياة المادية او اليومية او الدنيا** . هذه هي على اي حال وجهة نظر العقاد، وان كان من البين ان جميع الوان الادب ، من اعلى المراتب حتى ارخصها، قد تشترك في الموضوعات ، بل وقد تلجأ الى نفس الوسائل الفنية عن طريق التاثر والتقليد ، على الرغم من ذلك تظل الفروق بينها واضحة للعيان ، فالموضوعات والوسائل الفنية تكتسب ما تكتسب من مضمون ومعنى اولا في اطار العلاقات الداخلية التي يشكلها العمل الفني ، ومن خلال علاقة هذا العمل الفني بالموقف الاجتماعي التاريخي .

وغير خفي ان منظار النظر الى « الالام » هذا ، والتفرقة الناتية بين الالام ، منظار جمالي فلسفي في المقام الاول ومنظار متعال ذو طابع ايديولوجي .

وينهي العاقد مقاله الثاني عن المنفلوطي بفقرتين وجيزتين لعلهما اهم ما جاء به : في الفقرة الاولى يصف نظرة المنفلوطي الى الاخلاق والسلوك بانها نظرة احادية لا تعرف غير الابيض او الاسود ، ولا تميز الا بين الخير والشر ، ومرجع ذلك ــ كما يعتقد العقاد ــ انه « يحكم على الاخلاق والطبائع باسمائها وتعريفاتها لا بما يحسه من العطف عليها وعلى اصحابها » (ص ١٦٨) .

وفي الفقرة الاخيرة يشير الى دور المنفلوطي ككاتب وارتباط هذا الدور بحاجات جمهور كبير من القراء ، ومن الواضح انه يعني جمهورا جديدا من القراء العاديين اي من غير فئات « الخاصة » :

« فلا بد لنا ان نقول ان النفوس
التي يعهدها ويعطف عليها اكثر

عددا واحوج الى التثقيف والتعليم من النفوس التي لا عهد له بهـا ولا صلة عطف بينه وبينها . وان نظرته الى الاخـلاق والشعور اقمن ان تفيد قراءه وتحظى لديهم من كل نظـرة سواها ، ولعلها اصلح زاد لهم من غذاء الفكر والعاطفة، بل لعلهم كانوا في حاجة الى منفلوطي يظهر لهم لو لم يظهر لهم هذا المنفلوطي الذيـن عرفوه واقبلوا عليه » (ص١٦٩) .

ومضمون الفقرة الاخيرة ان جمهور المنفلوطي متنوع بتلك الاعـاق المحدودة التي يطرقها ، بل ان الانتاج المنفلوطي يمثل غذاء فكريـا وعاطفيا يناسب حاجات هذا الجمهور الواسع الذي لا عهد له بالثقافة ، كمـا يرى العقاد . وان لهذا الانتاج ، وان لم يتفق مع مقاييس العقـاد الفنية ، جذوره الاجتماعية التاريخية ووظائفه ، وان المنفلوطية تمثـل ظاهرة ابعد من المنفلوطي وكتاباته ، وهذا هو مدار الحديث في الابواب التالية .

ولكن فلنحذر الاخذ بمنظار العقاد في رؤيته لجمهور القراء العام ، فقد امتاز هذا الجمهور ، ايا كانت حدود اقاته ، بميوله الادبية وبتعلقـه بالقيم الادبية اللغوية . لعله لم يكن جمهورا مثقفا بالمعنى الاصطلاحـي المتشدد ولكنه كان جمهورا ادبيا (٩).

ومهما يكن من امر ، فلا يمثل المنفلوطي والعقاد طرفا نقيض فحسب، وانما تجمعهما ايضا تلك الرابطة التي تربط بين مستويات الرومانسية، او بتعبير ادق ، بين « الرومانسية الدنيا » و « الرومانسية العلـيا » ، وسنعود الى تفصيل ذلك فيمابعد .

(١) اسماعيل ادهم وابراهيم ناجي : « توفيق الحكيم » القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٣٤ ، نشر اسماعيل ادهم هذه الدراسة الشهيرة اولا عام ١٩٣٨ بمجلة « الحوادث » بحلب .

بشارات الحسين

شعر

محمد ابو دومة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakh

ياحادى النوق العراقية
ياساريا بالليل مهروعا من الريح الفراتيه
ان جزت عين « زياد » ،
عرج على الوادي ،
..... وبج « للحسين » الشوق والاجلال والعذرا
ابلغه حين تضمه في نشوة عنى تصوح نبتنا المرجو وا اسفا
اقصص عليه حكاية الجلاد والابراء والقتلى مجاهرة بسيف الامن ،
في « الكوفه »
.. الخوف والدينار تبرئه لخلط الحق باللاحق والوعاظ كالسوقة
ان آنروك فليس غير القول يا ابن العم صدقني ،
« وخف حنين » مرزئة فلا تغتر ان الفيته ملقى ..
لبكت امورهمو
ماجت صدورهمو
لانية للخير تلحظها ولا خيرا .



ARCHIVE

اسيافهم في وجه من عاداك مغمدة ببطن الختل والارجاء
وهديرهم كالطبل ان مزقت جلدته فتخدير وقبض هواء
ياصاحبي من يلثم الثعبان متكلا على الترياق ،
صار كفافيء عينيه عمدا ...
(انا الحادي بلا بشرى
انا الحادي بلا بشرى
ءاهل البيت فاح الامر واستشرى
انا الحادي بلا بشرى
انا الحادي بلا بشرى
ترى الرقباء للرقباء ، و « البتراء » سيف خط فوق قلوبنا الخضراء ماخطا
انا الحادي بلا بشرى ..
انا الحادي .. انا الحادي)
بالامس .. بينا كنت اختلس الخطا « بالكوفة » الخرقاء
مبعوثك المنبوذ لاقاني على ابواب كنده لا يواسي حزنه خل ولا اهل

رثاءة في عينه الايام ،
يضرب اصدريه بسائل الفوغاء ملتجا
شاهدته ينساب في الطرقات..،
.. يستعطف الاعتاب ، يلعن خزيه البلد التي لا تحفظ العهدا ..
حذرته الشرطة ،
لكنه ماكف ..
لكنه ما كف او اصغى
يا سيدي اياك والبلد التي مات الضيوف بارضها سلخا .
عبثا يمر الليل فوق خيامنا عبثا
جبلا على الاكتاف نحمله ، الى ان صاصا الاصباح ،
فافترقت بنـــا الاهواء والسبـــل ..
فمضيت تضرم قلبي الاحزان
اروى لكل مسافر ما مجه صدرى
اروى له ما كان حين استشاف الجرح ،
فيجيبني متشظى النبرات مرتعدا ،
بئس الجدود وبئس ما خلفوا
ويروغ عن سؤالي وبين شفاهه دعني « فقد خليت افراخا بذى مرخ .. »
فخبات اسراري كمحتنك الاسى تسفى عليه الريح
نوطت ارسانى على جيد السراب
حتى اذا فرش الغروب من السماء جناحه المحرق
وتردت الشمس الشآميه
برزت على طرف الظلام ربا « الحجاز » يسح غيم الخسف فوق ،
قبابها الدمعـــا ..
يسقى جوى باسائها التانيب والندما
يعوى نزير الشؤم بين سكوتها فيهتك السمعا
عيناه محفتان صفر فيهما القلق الذي من صمته ينطق
ـــ : يابارح الاطيار ليت الطير ما حلق
يابارح الاطيار ليت الطير لم يخلق
اني هنا اسنيت انتظر الاحبه منذ ان رحلوا
تفرى فؤادي اسهم الاشواق ،
يؤرقني غياب ضل غربته وسيل فوقه الصبر الرموش المبته
يا ارضنا المسياف ذمي حولنا الثقلين واحتدى
نعب الغراب « بكربلاء » وقاء في كف « العراق » القبح جرافا
قاضى « سدوم » اطل من شط الفرات يقوض الانصاف بيني ،

عدله المزعوم اشلاء وخوفا
خيل « اليزيد » تبول في ماء الظماء احبتي ويقال : يا قوم استقوا
هرمت سنابكها اللحوم فغص حلق الرمل وارتجف الحصى
وتحدبت حول الصراع المـــر رائحة المنون
فتقطر الفرسان تسبقهم الى الارض الرؤوس
بقرت بطونهموا النسور وعششت في جوفها العقبان والرخم ..
ظلوا دروعـــا للحراب تصب غل الطعن فوق ثباتها حتى ،
تجـــذرت الدروع
ام البنين « يجز هامتها لقيط ياسميه »
ام البنين يجز هامتها لقيط « ياسميه »
صالوا بشدقي « كربلاء » مضمخين بعطر منشم « ياعليا »
ابناء هاشم بالعراء مضرجين بقهرهم ،
والذئب صيره الخراف اليوم ربا
ابناء هاشم ينتهون اليوم واغوناه اقتنانا وسبيا
غضي عيونك « يادمشق »
لفـــي بهـــاءك بالحداد وظاطيء
راس الحسين على الرماح ،
نواحة من خلفها زمر الثكالى والأمته
راس الحسين على الرماح
لا در درك يا اميه
لا درك درك يا اميه ..!!



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

أبو الهول يزور الميدان

بقلم
محمود العزب

ARCHIVE

تلقت الجهات المسؤولة اشارة عاجلة من شرطة السياحة :

ابو الهول اختفى من مكانه المعهود ، ومسؤول المنطقة الاثرية يهذي بتمتمات غريبة يحذر فيها ، من صمته ، ويعتقد انه توجه لزيارة البر الشرقي وما زال يعكف على فحص قاعدته .. مكان الحادث ..

نشطت في الحال اجهزة مختصة ، وقد عثرت على تقرير قديم مهمل ، اثار قلقها ومخاوفها ، تقرير كتبه مشرف الاثار السابق ، لم يلتفت اليه احد في حينه لغرابته وبعده عن التصديق ، ولافتقاره لاساليب الكشف الحديثة ..

« ابو الهول مهموم للغاية وهو يرنو عبر النهر ، مكانه المختار انحرف قليلا فلم يعد مواجها لعين الشمس عند الشروق ، تلازمه الان عادة غريبة .. يتحسس انفه المكسور في موعد ثابت مرتين في اليوم .. عند الشروق .. وعند الغروب ، وكل مساء يظهر سائل شديد الحرارة على شفتيه ، ويهدر جوفه .. في الفجر .. بشيء كالموج ، ـــ يشبه الموج الرملي الذي طمرمن قبل ، وانزاح عنه في فترات تاريخية متباعدة ، وتحت قاعدتـــه خطر كامن يتهدده هو رشح الرطوبة الموسمية ، فكيف يظـــل رابضـــا متحفزا وتحته مستنقع الرطوبة ؟

كنا — بعض الزملاء وانا — نعتقد انه الكائن الوحيد في بر مصر الذي نجا في داخله من الرطوبة ، والاخطار الاخرى ، وان صـــدره — متدثرا بلوح تحتمس الرابع — صامد للزمن وعوامل التعرية ! .. فمتى نتخذ اهبتنا .. ونرعاه ؟ اذا لم ندارك احزان ابي الهول فقد يفلت زمام الصمت ، ويتخلى عن التزامه بالكتمان .. كم لمحـــت في عينيـــه حزنا دفينا لم تخفه الليالي الساهرة ، والمتع العابثة عند سفحه .. »

— ٢ —

ميدان التحرير ساحة صخب بالالوان ، حالة المرور مرتبكة ، السيارات تدق ابواقها في ضجر وضيق ، والمارة تمشي في تخاذل ولا مبالاة ، وشيء خفي يثقل صدرها ، وتمسح عرقها بكف معروقة واهنة .

— ٣ —

زحام بمبنى المجمع ، اعداد الداخلين والخارجين كانهم رواد معبد ملكي مفتوح لتقديم القرابين ، ابو الهول بصورته المعروفة تجول في ادواره كلها ،

فتح الحجرات على مكاتب الموظفين ، وطرحت تعبيرات وجهـــه الصامت خلجات نفسه ، انفلتت من صدورهم تنهيدة مريرة ، تحسس انفه ، وارتسم في عينيه السؤال ، انقض العاملون في المبنى ، تبادلوا النظرات القلقة ، باغتهم الخوف ، اخفوا رؤوسهم في ارتباك .. يتحسس انفه الانطس ، وينتظر الجواب ؟!

توارت العيون في الملفات والاوراق ، وتشاغلت الايدي بانجاز الاعمـــال وحق مجدك .. يا حارس الابواب والاراضي الزراعية ، والصحراء ..دعنا في حالنا .. لا محل لزيارة الموظفين في اوقات العمل الرسمية ، نحن نخشى الله ، ونخشى الخوف ، ونستريب من صدى الحيطان ، نتذمر من شظف العيش ، ونتجمل بالصبر معا ، نصانع الدهر ، والرؤساء ، نتمسك بالروتين .. بر الامان ، والحيطة ملاذ من العثرات ، لا تغتر بالمبنى وازدحامه .

— ٤ —

طلب في دماثة ووقار مقابلة وكيل الخارجية ، صورته المهيبة اغرتالوكيل بمقابلته ، تصافحا في مودة كانهما صديقان قديمان ، ظهرت اقداح القهوة ، تجدد الترحاب والود ، ثم رسم الوكيل تقطيبة خفيفة ، وسأل ضيفه عن سبب تشريفه بالزيارة!!وانتهز ابو الهول هذه الحفاوة المفرطة ،وقدمللوكيل لوحة من الجرانيت يشيد فيها بجهود من ازاحوا الرمال عنه ، واعادوا له قدسيته وجلاله ، ويتشكك فيها روجه بعض المؤرخين عن ضربات اصابت وجهه وظهره ، وهو يطمح ان يطرح سؤالا محددا راح يشغله في السنوات الاخيرة،ودور الخارجيةمعروف في وزن الامور بدقة ،ودعم الاقناع بالبراهين والوثائق .. فهل يظفر بجواب ؟!

سدد الوكيل اليه نظرة فاحصة ماكرة ، وجده يتحسس انفـــه ، ويتكتم صدى صمته حتى لا يخدش الضوء الحالم في القاعة المكيفة الهواء ، جاهد الوكيل ليخفي ما اعتراه ، عبرت جبينه الدبلوماسي تقطيبة عابسة ، اختلجت نبرات صوته وهو يشير الى خطـــورة السؤال ، ثم لعله السؤال الذي لم يواجه السلك الدبلوماسي نظيرا له من قبل ، ولو بحثه فقد تضطرب موازين مالونة ، وتهتز مفاهيم واعراف راسخة ، ثم خفت صوت الوكيل وهو يشي بالانفعال : لم لمجلس الوزراء نفسه لايملك وحدب الجواب!!«ابو الهول»! انت جئت باخطر شيء ، وابسط شيء في آن واحد . !

ولاذ الوكيل بالصمت برهة وهو يمد بصره الى الستائر المسدلة تمابثها نسمة رقيقة ، ثم قال : سأقدم لك نصيحة مفيدة .. امامنا مبنى الجامعـــة العربية .. بها الاقطاب والزعماء .. اطرح السؤال هنـــاك .. اما هنا ،

فسؤالك — بالخطر او الاغراء — سابقة خطيرة .. بل كيف اكتب تقريرا مرضيا عن هذه المقابلة غير المعتادة في العرف الدبلوماسي ..

تراجع ابو الهول الى الباب تاركا قهوته في منجانها الفضي الانيق .

— ٥ —

بحث عن الامين العام للجامعة ، عرف انه مشغول مع الاقطاب في القاعة الكبرى ، تسلل الى القاعة ، لمحه المجتمعون ، لم يقطعوا حديثهم البليغ ، صدمت اذنيه كلمات فخمة براقة ، بكفه الغليظة راح يصد الكلمات ، ويخفف من دويها في اذنيه ، ادهشه وهو يصد الكلمات انها لا تكاد تختلف الا في ايقاع النبرة والالقـــاء .

انتظر ان يكفوا عن الكلام .. ولو لحظة ! خاب امله .. لم تتوفر تلك اللحظة ، تململ ضائقا متكدرا ، اقبل عليه الامين العام مرحبا ، القى نظرة على لوحة الجرانيت ، ثم كتب ملحوظة على طرفها : تعال .. عندما ينقطع الحـــديث . !

تفرس ابو الهول في عينيه كمن يقول : ومتى ينقطع .. ؟

غمغم الامين العام حائرا عبر طنين القاعة : لا ادري .. !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ٦ —

بلل شفتيه من نافورة الميدان ، ظنهـــا حوضا مقـــدسا مجلوبا من معبد الشمس أعد مجانا للفقراء والعابرين ، لمعت في ضوء الشمس واجهة فندق هيلتون ، تهلل وجهه : كتابة هيروغليفية بارزة ، دخل بهو الفندق يخالجه احساس بالالفة ، هم ان يدلف الى قاعة الف ليلة وليلة ، ظهر امامه وجـــه باسم يخاطبه بلغة مغايرة .. غير مفهومة .

التفت ابو الهول واشار الى الكتابة الهيروغليفية ، لوح الوجه الباسم لمرشد سياحي بالحضور ، تفاهما بصعوبة ، ادرك ابو الهول ان الكتابـــة الهيروغليفية لا تعني شيئا خاصـــا .. مجرد زخرفـــة تزين واجهة الفندق ترغيبا لاقامة الاجانب .

— ٧ —

عبر السور الحديدي لدار الاثار ، ركض نحو الباب الرئيسي كأنما هـــو مقبل على بيته ، يهز راسه في غبطة ، توجه الى مكتب مدير الاثار ، رآمينهي

حديثا تليفونيا في عصبية ، اقترب من مكتبه ، غمغم بتحية من اللغة القديمة انتفض المدير ، وهب غاضبا : انت ؟!

وتابع ثائرا : ويل لك .. اتدري ما حل بنا ؟ اترك انفك هذا ، لاتتحسسه امامي .. عد فورا الى مكانك .. ربما يخفف هذا من الازمة التي اثرتها ، ويعفينا من الحرج ، اتعلم ؟ ! الدنيا مقلوبة .. على راسي ، مع انه لا ذنب لنا فيما فعلت .. كم اثرت الارتباك والفزع .. بزيارتك المفاجئة هذه ؟ !

هم ابو الهول ان يقاطعه ، لاحقه صوت المدير مهتاجا :

لن اسمح لك ان تقول شيئا ، لا اريد ان اعرف .. بل لعلني اعرف ، وهذا ما اخشاه .. ان التقارير .. و .. اوه .. البوليس يبحث عنك في كل مكان ..وحق ايزيس انت لم تقدر العواقب ، ومن الافضل ان احتجزك واسلمك بنفسي فاخلي مسؤوليتنا ، وتبتعد عنا الشبهات .. كف عما تفعل لا تتحسس انفك امامي ، فلن نبيح لك العبث باللغز الابدي .. ولا جدوى من العناد والتحدي .. و .. سترى ..

ودق المدير جرس الانذار يستدعي حراس الدار . انفلت ابـــو الهول وركض خارجا ، يصطدم بابواب بعد ابواب ، ويجتاز حديقة دار الاثارهاربا ثم يندس في زحام محطة الاتوبيسات ، وينوه مؤقتا عن اعين الحراس .

ARCHIVE

ارصفة المحطة كرنفال بشري ، خليط منغمس في القلق والعرق والانتظار الاسفلت يفرز صهدا محرقا ، تململت ارجل كثيرة تتلمس فرجة فراغ تحت المظلات ، وجوه منهوبة النضارة ، شاحبة ، مجعدة البشرة ، رؤوس محنية متعبة تتلفت بعناء باحثة من فرصة مواتية للركوب ، اجساد مغامرة تركض نحو سيارة وترمي بنفسها للهلاك ، اجساد اخرى تنتظر دورها ، تقف على اقدام واهنة ، متقوسة ، ابو الهول في وقفته بجوار كشك مصر الجديدةيرمق المحطة المكتظة بالركاب ، وينتظر ان يلحظه احد ! . الانظار تائهة غافلة عنه ، منغمسة في همها اليومي ، لكزه فجاة حشد صغير مندفع نحو اتوبيس يرتج بمن فيه ، وصدمه حشد اخر في ركضه نحو اتوبيس لم يتمهل بعـــد للوقوف ، صرخات مشروخة تدق كشك الناظر : اتوبيس المطرية .. اين هو عليه اللعنة ؟ ساعة ونصف انتظار ! ارحمونا يـــا .. من ؟لمن توجـــه الخطاب ؟ صدرت ضحكة دامعة مقهورة : .. الرحمة ؟ لعلها نفدت دون ان ندري . !

اتوبيس امبابة يا ناس .. اين هو ؟ يا اخي .. سلامة عينيك ! انهاامامك مباشرة ! هيا .. تشجع واصعد.. ادخل حلبة المصارعة .. حلبةالاتوبيس

مجانا للهواة ! تشجع وقل : يا معين . . ! ارتطم جسم بالاسفلت . . الطف يا رب ! سقط مخلوق قليل الخبرة بالمصارعة ، تابعته العيون في وجوم . قدماي . . آه . . خلاص . . لكأني احتضر، مستسلما . . اتمدد على الرصيف اخي الراكب . . انت ؟ ام انت ؟ ان كنت رحيما . . معي صحيفة . . في رقدتي هذه . . بعد قليل . . ان لم . . اعني . . ان انتهيت ، غطني بالصحيفة ثوابا لوجه الله .

اتوبيس الدراسة . . من يدلني عليه ؟ . . الرصيف الاخير . . ياه . . كيف اخترق هذا الزحام اليه ؟ . يا خلق الله . . عنقي . . انني اختنق . . انطس . . دعوني انزل . . عظامي ؟ ! افرجوا عن ذراعي . فشل في النزول تراكم عليه لحم مشوي اندس في لحم محترق . اي . . عيناي ! كوعك يا رجل . اين نظارتي ؟ يا اعمى . . افتح عينيك . صاحبي ! هه . . انظر . . تامل هذا المخلوق . . الا يشبه ابا الهول . . ؟ انه يتطلع الينا في ذهول ، يشدني وجهه بانفه الانطس . . ماذا تقول ؟ انت واهم بلا ريب ، هل اصابتك الشمس ؟ تعال . . تعال نبحث عن موضع قدم تحت المظلات ، جفوننا تكاد تحترق ، فهل اصدق عينيك ؟ . . ابو الهول هنا ؟ من اذن يريض عند سطح الهرم في انتظار السياح ؟ . . ولكن . . غير معقول ! هل اتوهم مثلك لطفك يا رب . . انه يشبهه تماما . . لا . لا اصدق . . دعني افرك عيني . . فربما . . !!

انطرحت امراة على الرصيف ، تسلخ جلد ساقها ، تسمرت لحظة ، ثم همت ان تسب وتلعن فاذا هي تجهش بالبكاء . . ابني . . اب . . ني . . يختنق ياكمرة . . اب . . . وانحشرت المراة . . . وغاب صوتها ، وانعقدت سحابة سوداء تحت المظلات مثقلة بصرخات مكتومة تذوب في الهواء الساخن ، والمصادمات الخرساء والصاخبة . عبر السحابة لمح الحراس تجوس بين الركاب بحثا عنه .

— ٩ —

ادار عينيه في الميدان وهو متوار تحت الكوبرى العلوي ، شاهد اكتساك بيع المجلات . . والصحف . . اشاح بوجهه عنها . . مانشتات مثيرة لا غير . . رفع راسه الى اعلى ، اطل في فراغ به سحب هاربة ، التقط بصره عربات الشرطة ، تحتل كل المداخل والمنافذ ، من شارع قصر العيني ، وشارع التحرير ، وظلمت حرب ، و . . و . . صوب نظره للقاعدة الخالية ، وانته الفكرة ، تحفز ، انطلق راكضا ، تسلقها بمهارة ، جلس فوقها صامتا ، وتحسس انفه عدة مرات .

نشطت الشرطة في الحال ، زحفت نحو القاعدة ، هز ابو الهول راسه معاندا وآسفا . . ومصير السؤال ؟ . . هل يخاطب به الهواء ؟ تحسر

انفه يائسا ، ولم يعد يبالي ، ثم طرفت عيناه .. الكوبري العلوي ازدحم على غير انتظار بعشرات الوجوه المندهشة ، وتحت الكوبري تدافعت خطوات المارة ، وتكاثرت العيون المأخوذة المترقبة ، امداء تعليقاتها تصافح اذنيه :

من الذي يجلس فوق القاعدة ؟ التمثال مألوف .. مألوف تماما .. يشبه ابا الهول .. بل هو ابو الهول نفسه !.

اعداد غفيرة اخرى ، افلتت من حصار الشرطة ، تزحم جوانب الميدان، تحركها لهفة غامضة ، تعطلت محطة الاتوبيسات ، انضم ركابها للجمهور، ملا الصخب ولمس حواف العمارات ، الجمهور يحدق بفضول زائد في التمثال والقاعدة ، يرقب تحركات الشرطة ، تتدفق من لسانه اسئلة حائرة: ابو الهول هنا ؟ لماذا ؟ ما دور الشرطة ؟ تمثال حي .. انظروا .. يتحسس انفه ، يحرك راسه .. هو ابو الهول بلا ريب .. جسمه .. راسه .. انفه .. انفه المكسور .. معروف به .. ترى لم يتحسسه بين لحظة واخرى ؟!

عم الميدان ضجيج هادر ، الجمهور يقترب من احواض الزهور المحيطة بالقاعدة ، الشرطة تشق طريقا لها في الزحام ، تمزق التفافها حول القاعدة ، تبعد الجمهور بتلطف غير مألوف ، وابو الهول يرقب ما يجري صامتا ، مشغولا بتحسس انفه المكسور ، عدد من سيارات الشرطة اخترقت حلقة الجمهور من مدخل شارع التحرير ، يتبعها ثلاثة اوناش مكتوب عليها : اوناش المقاولين .. في خدمة التشييد والتعمير . اطبقت من جديد حلقة الجمهور ، يعلو همسها في سماء الميدان .

— ١٠ —

انعقدت سحابة صيف طافت بسماء المدينة ، تحمل في جوفها اخبار هذه الحادثة باستفساراتها الغامضة : ماذا فعل ابو الهول ؟ احقا جاءنا زائرا ؟ اهذه هي الجريرة التي ارتكبها ؟ قيل : ان الناس لم تعد تزوره فجاء يزورهم .. اهذا سر غضب الشرطة وسعيها للقبض عليه ؟ قيل غير ذلك: طالب ابو الهول بعودة شريط النيل بالقرب من سفحه كما في سالف الزمان، وقيل : انه غاضب من مشروع الصوت والضوء ، ويطالب بوقفه واحترام صمته ، وقيل : انه لم يتمالك طول الاهمال في حقه ، وترك الرشح يتسرب الى قاعدته فاختار لنفسه قاعدة ميدان التحرير الخالية ، وقيل باستغراب : لم تحتشد الشرطة لابي الهول وهو حارس الابواب والاراضي الزراعية ؟ !

وتفتتت السحابة الصيفية ، وتبخرت في الهواء الساخن .

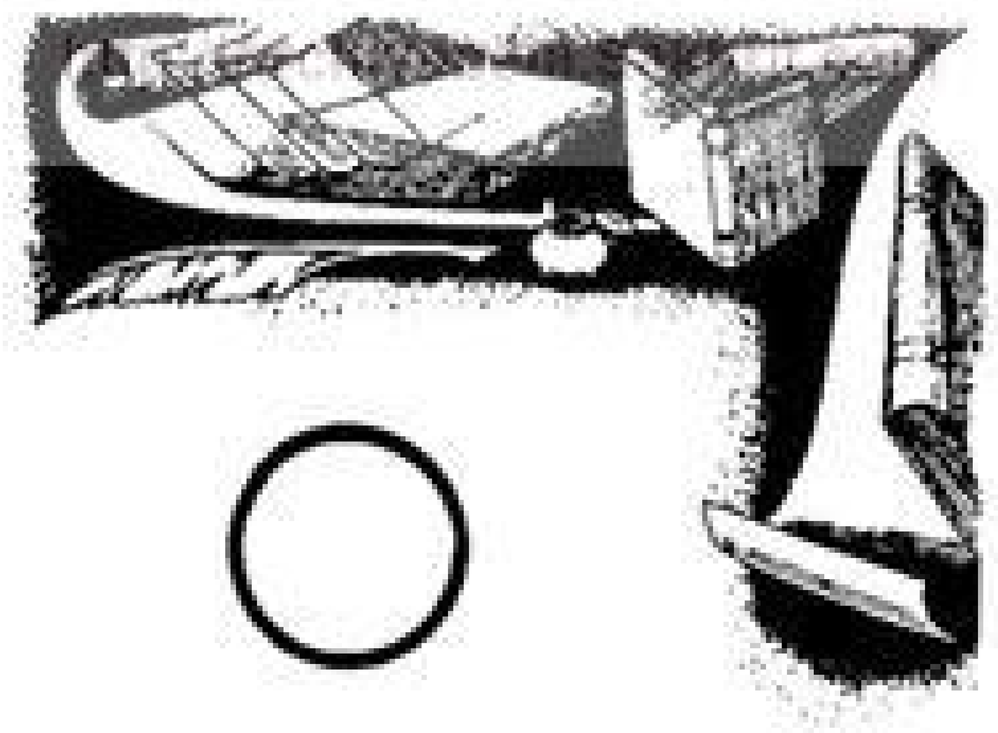
تمكن جنود الشرطة من ابعاد الجمهور مسافة كافية ، ثم ضبطت

الاوناش ارتكازها حول القاعدة في رعاية قوات الامن .

وافلتت من السنة الجمهور المتفرج اخر همهمة واضحة : ما الحكاية؟ ماذا اقترف ابو الهول ؟! ولم يظفر احد بجواب .!

تجاهل ابو الهول نشاط الشرطة ، وحركة الاوناش ، وانشـــغل بالجمهور ، حرك راسه يحييه ، وتحسس انفه مرات متوالية ، والجمهور مضطرب لاهث الانفاس ، وعندما طوقت الاوناش ابا الهول ، هم ان يتخلى عن صمته ، وقبل ان يفتح فمه نظر الى الناس ، هالته الانوف .. ارتدت كفه الى انفه تتحسسه . وتخلى عن السؤال !!.

ARCHIVE





السلطان والشاعر والشاهنامة

الدكتور أحمد كمال الدين حلمي

استاذ مساعد الفارسية وادابها
جامعة الكويت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السلطان :

محمود بن ناصر الدولة سبكتكين بن سرنك بن اغمناوغوي ، وينتهي نسبه بيهرام بن هرمز بن شابور بن اردشير بن بابك بن ساسان (الاصغر).

ولد يوم عاشوراء من عام ٣٦٠ هـ — ٩٦٩ م ، واشتهر بعدة القاب منهـا :

الغازي ، بطل الاسلام ، فاتح الهند ، محطم الاصنـام ، يمين الدولة ، يمين امير المؤمنين ، والي امير المؤمنين ، ويعتبر والده الطموح الذكي : سبكتكين (سوبكتازي) المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية . لقد

كان عبدا مملوكا لعبد تركي يدعى البتكين .. يتبع بـــلاط السامانيين ، فاستطاع ان يبلغ حكم قندهار ، ويفتـــح لاهور ، وينتزع بست وقصدار من يد امراء سيستان . كما تمكن في عام ٣٦٦ هـ ــ ٩٧٦ م من ان يضع يده على غزنة وسط الهضاب الافغانية فيؤسس الدولة الغزنوية . ونصبه نوح بن منصور السامانى حاكمـــا على خراسان عام ٣٨٤هـ ــ ٩٩٤م اثر انتصاره على عدوي الامير : ابى علي سيمجور وعميد الملك فايق .

ولما كان محمود يعاون والده في ذلك الانتصار فقد اسند اليه حكـــم نيشابور ، وتنازل ابوه عن خراسان ، لكن ابا علي سيمجور طرده منها في العام التالي ، فتعاون الاب والابن الى ان هزماه ، وقبض عليه نوح وسجنه حتى الموت .

وضرب سبكتكين النقود في غزنة باسمه ، واتخذ من بلخ عاصمة لملكـــه ، ومات في شعبان من عام ٣٨٧هـ ــ ٩٩٨ م ، بعد حكم دام ٢١ سنة ، بعد ان اوصى بان يؤول الحكم لابنه الاصغر اسماعيل بدلا من محمود ، نظرا لخلاف كان قد نشب بينهما ، وتحارب الاخوان الى ان تنازل اسماعيل عن الامارة لمحمود بعد سبعة اشهر من شغل هـــذا المنصب ، فعاشا معا في وئام .

واستقر محمود على مسند الامارة في خراسان وغزنين ، وازدان منشور توليته بطغراء الخليفة القادر بالله العباسي، وفي عام٣٨٩هـ=٩٩٨م خلـــع منصـــور عـــن عـــرشه وسملت عيناه ، وتولـــى الحكـــم اخوه الاصـــغر عبدالملـــك بـــن نـــوح ، فانتقـــم محمـــود لمنصـــور وهـــزم معاوني عبدالملك : فايق وبكتـــوزن ، وقتل الكثيرين ، وعـــاد الى غزنين فحذف اسم الامراء السامانيين من الخطبة والسكة ، واستقل بخراسان وزابلستان ، وحصل على موافقة الخليفة على تلقيب نفسه بالسلطان .

وفي عام ٣٩٣ هـ ــ ١٠٠٢ م استولى على سيستان ، وفي عام ٣٩٤هـ ــ ١٠٠٣ م تزوج ابنة ايلك خان ملك التتار .. ليؤمن حملاته المرتقبـــة في بلاد الهند ، وبدأ غاراتـــه في تلك البلاد النائية منذ عام ٣٩٦ هـ ــ ١٠٠٥ م ، وانهاها في عام ٤١٦ هـ . وتمكن خلال تلك الفترة من السيطرة على البنجاب والموليتان ، وفتح معظم بلاد الهند ، والاستيلاء على قلعة ناردين ، واقتحام معبد تانيس وحمل صنمه الى غزنه ، وفتـــح كشمير وهداية حاكمها الى الاسلام ، وفتـــح قنوج ونارين وسواحل نهر كنك. كما توج انتصاراتـــه بغزو سومنات ، فقد اخضعها رغـــم تكتل كـــل امراء الهند تقريبا لصد غاراتـــه . وقد حطم في هذه الغزوة معبد الاصنام واستولى على ما فيـــه من ذهب وجواهر ، واسرف في القتل ، واحـــرق

الصنم الكبـــير ، واحضر اجزاء منه الى غزنين واجزاء اخرى الى مكة وبغداد مما اطلق لسان الشعراء بمدحه والثناء عليه .

وخلال فترة حروبـــه في الهند ، تمكن من طرد ايلك خان من خراسان وكان قد احتلها في غيابـــه ، ثم عزمه ثانية حين اتحد مع ملك الحتن وعبراجيحون الى بخاري على راس خمسين الف فارس .. فلم يجـــرؤ على مواجهته ثانية ، كما تمكن خلال هذه الفترة ايضا من فتح بلاد الغور، ونفذ فيها حكم الاسلام . واستطاع استرداد البلاد التي كان السلاجقة قد وضعوا ايديهم عليها اثناء غيابه . وقتل في خوارزم قتلة صهره ابي العباس مامون قائد الخوارزمشاهيين ، واسقط الاسرة المامونية (دولة الخوارزمشاه الصغرى) ، واخضع خوارزم لنفوذه وولى عليها التونتاش كبير امراء دولته .

وخـــلال هذه الفتـــرة لم يعـــرف محمود الهزيمة كمـــا راينـــا وان كان في عام ٤٠٦ هـ قد ضل طريقه في الهند ، وهلك معظم افـــراد جيشه في غدير عميق . وقد اتسمت غزواته في الهند بطابع الجهاد في سبيل الاسلام والرغبة في نشره .

وقد جعلها ـــ كقول ابن خلكان ـــ كفارة لما كان يدور من قتال بين المسلمين . وافلح ان يجعل من لاهور مقرا للغزنويين ، فمهـــد حكامهـــا السبيل لمحمد بن سالم الغوري وخلفائه لحكم دلهي ، ونشر نفـــوذ المسلمين في شمالي الهند .

وفي عام ٤٢٠ هـ ـــ ١٠٢٩ انتزع الري من يد الدبالمة ، واحـــرق كتب الفلسفة والنجوم ورسائل المعتزلة ، وقتل فريقا بتهمة الالحاد ، وحمل مائة حمل من الكتـــب الى غزنة ، وعين مسعودا حاكما على البلاد .

ثم اخضع جرجان ومازندران وزنجان وابهر وهمدان ، واظهـــر ابن كاكويه علاء الدولة الطاعة له في اصفهان .

ومن الانتصارات الكثيرة المتتالية التي ذكرناها ، حكم المؤرخون بان محمودا كان يتمتع بعقلية حربية ممتازة . كما وصفه البعض بالتعقل . وارى ان الصيغة الاولى تصدق عليه تماما ، اما الثانية فيضعف مـــن قبولها ما كان يسود تصرفاته احيانا من تخبط تسببت في بعضه وصيفة زوجتـــه المدعوة « جميلة قندهاري » .. اذ كانت تسيطر على تفكيره وتوجه افكاره كيفما شاءت . وتسببت زوجاته وجواريه في البعض الاخر ، اذ كن يسيطرن بدورهن على مزاجه ويدفعنه الى تنفيذ طلباتهن .. ولو خالفت مصلحة الامراء والوزراء وولي العهد والعظماء .

واعتقد ان امتداح البعض له بالتدين يستند الى تجديده بناء مشهد، ومنعه الظلم عن زوار الحرم المطهر لحضرة الرضا ـــ رضى الله عنه ـــ

وكف يد اهالي طوس عنهم ، ومساعدته الخليفة العباسي القادر بالله بن المقتدر بالله ، واحيائه السنة وقضائه على البدعة .. كسنى حنفي اشعري ، ونشره الاسلام في اماكن نائية .

ويشيع بين المؤرخين حب السلطان للعلم ومحاولة الانتفاع بالعلماء ويؤكدون ذلك بنشر خطابه الذي ارسل لمأمون ، وقد جاء فيه :

« سمعت ان جماعة من رجال العلم يخدمون امير خوارزم ، وقد صار كل واحد منهم نسيج وحده والمبرز في علمه .. والواجب عليك ان ترسلهم جميعا الى قصرى للتشرف بلقائي ، على امل الانتفاع بعلمهم والاستفادة من فنهم ، راجيا ان يحقق امير خوارزم رغبتنا التي ابديناها ».

وارى ان الخطاب لا يخلو من تهديد ، واذا كان بعض من استدعاهم قد رفضوا الذهاب .. فقد فعلوا ذلك عن خوف ورهبة ، بل ان نفرا من الباحثين ليؤكد ان السلطان كان يجمع رجال الفكر والادب في بلاطه بغية الشهرة لا حبا في العلم ، وان جمعه لاربعمائة شاعر واديب ومفكر في قصره قد تم بطريق الترغيب او الترهيب .

ورغم تفويه البعض باحسانه للعلماء والشعراء ، وامتداحهم نشره للاسلام ، واشادتهم بخلقه روح المنافسة بين الادباء وتمهيده السبيل لدخول الادب الفارسي شمالي الهند والسند ، وتسجيل اعجابهم بتشييده المساجد والقصور وتعمير المدن وتوريث اولاده امبراطورية واسعة . . رغم ذلك ، نجد ان الايرانيين ـ بصفة خاصة ـ يبدون بغضهم له ، ويتحدثون عن قسوته تجاه بعض العلماء والادباء ، ذوي القدر والمكانة ، ويهاجمونه لعزل وزيره ابى العباس الاسفراييني الذي امر بجعل الفارسية لغة الديوان ، ورضاه عن وزيره الميمندي لاعادته العربية للديوان ، واحراقه كتب الحكمة والفلسفة في الري . وحتى غزواته الناجحة في الهند ، يشككون في هدفها ويرون انها كانت تستهدف تحقيق المغانم التي كان يستأثر بالجانب الاكبر منها لنفسه ، كما يرون انها كانت وبالا على الايرانيين لما كان يفرض عليهم من ضرائب قبل القيام بها. وهم يتهمونه بالتعصب الممقوت ضد كل مذهب يخالف السنة ، ويعيبون عليه بخله ومصادرته اموال الناس بالباطل .

وفي يوم الخميس ٢٣ ربيع الاخر عام ٤٢١ هـ ـ ١٠٣٠ م مات السلطان بقصر فيروزة بغزنين عن عمر يناهز الحادية والستين ، بعد ان تمتع بلقب السلطان مدة خمس وثلاثين (او ٣٢) عاما . وقد ذكر صاحب روضة الصفا انه امر باحضار ما جمعه من غزواته وما غصت به خزانته ، قبل وفاته بيومين . . وبسطها جميعها امامه فبدت كبستان زينته الورود من كل لون ، واخذ يبكيها ويبدي حسرته على فراقها . . قبل ان

يعيدها الى مكانها دون ان يعطي اي شيء منها لمستحق او محتاج .

★★★

الشاعـــر :

هو الحكيم العالم الشاعر الغزنوي الشهير ابو القاسم المنصور بن فخر الدين احمد فرخ المكنى بابى القاسم ، والمتخلص في معظـــم اشعاره بالفردوسي وفي بعضها بابن شرفشاه ، والحق ان المصادر المختلفة لا تمكننا من الوقوف على صحة الاسم ، وكذلك منظومات الشاعر اذ كان يكتفي فيها بذكـــر تخلصـــه ، ومن اسمائه الشائعة : الحسن بن اسحق بن شرفشاه ، الحسن بن علي الطوسى ، ابو القاسم حسن بن علي بن شرفشاه الطوسي . وقد جاء تخلصـــه بالفردوسي نسبة الى حديقة بقرية رزان يمتلكها عميد خراسان « سوري بن المغيرة » ويتعهدها والده بالغرس والحراسة .

ولد الفردوسي في قرية (باش) او (رزان) بطبران قرب طوس احدى مدن خراسان ، وكانـــت تشغل مكان مدينة مشهد الحالية . وقد اختلف في تاريـــخ ميلاده فقيـــل ٣٢٣ هـ ـــ ٩٣٥ م ، وقيـــل ٣٢٢ هـ ، وقيـــل ٣٠٨ هـ ، وقيل غير ذلك . وفي حلم رآه والده ليلة ميلاده ، وقف الفردوسي على سقف عال متجها الى القبلة ، واطلق صيحة عالية اجابتها اصوات عديدة من كل صوب ، وقال اكبر مفسري العهد « نجيب الدين » لوالد الفردوسي ان الحلم يعني شهرة المولود يوما ما ، وبلوغ صيته كـــل الارجاء ، واستحســـان السامعين له .

وفي سن التعلم ، فاق الفردوسي اقرانه واظهر شغفا بالقـــراءة والاستيعاب ، وكان يأنس الى الماء الجاري ويفضل الاقامة بجوار جدول يتفرع عن نهر طوس . وكثيرا ما كـــان السيل يحطم السد المقـــام على النهر في مدينته فينقطع الماء عن الجدول، وهنا تضطرب احوال الفردوسي ويدعو ربه الا يتكرر ذلك ، ويتمنى ان ياتي اليوم الذي يجد فيه السد اللبني من يقويـــه بالحجارة والاجر والكلس والجير .

وترى الغالبية ان الفردوسي كان دهقانا ميسور الحال ، يعتمد على غلات ضياعه في طوس ، بينما ترى الاقلية انه كان معدما وقد بدات رحلتـــه الى غزنة حين فكر في رفـــع شكواه الى السلطان نتيجة جـــور

الحاكـــم وظلم جامعي الضرائب ، او ليمتدحه بشعره وينعم بنواله .. فقد كان ـــ الى جوار احاطتـــه بالتاريخ والاساطير ـــ يجيد نظم الشعر ويسهل عليه قوله على البديهة ، وكان قبل سفره قد نظم كتابا فـــي سير ملوك ايران القدامى .. معتمدا على كتاب نثري وضعته بالفارسية ـــ حول الموضوع ذاته ـــ جماعة من العلمـــاء في منتصف القرن الرابع الهجـــري ، وقدم له عام ٣٤٦ هـ ـــ ٩٥٧ م ابو منصور المعمري وزيـــر ابي منصور محمد بن عبد الرزاق حاكم طوس من قبل السامانيين . كما اعتمد في تاليفـــه ايضا على شاهنامة ابي المؤيد البلخي (كرشاسب نامه) المؤلفة عام ٣٥٢ هـ ـــ ٩٦٣ م على الارجح ، وهي الشاهنامة التي اعتمد صاحبها على كتاب بهلوي من اقدم الكتـــب في هذا الموضوع ، وهـــو (خداى نامه) وقد فرغ الفردوسي من نظم كتابه هذا (شاهنامـــة الفردوسي) عام ٣٩٠ هـ ـــ ٩٩٩ م بعد خمس وعشرين سنة من العمل المضني ، واهدى النسخة الاولى لاحمد بن محمد بن ابي بكر الخالنجاني ، فلمـــا التقى بالسلطان اهداه النسخة الثانية التي تم نسخها عام ٤٠١هـ.

والقصة على النحو السابق لا تحظى بتاييد الكثيرين ، فالغالبية ترى رايا اخر فيما يتعلق ببداية اتصال الفردوسي بمحمود ، وكذلك فيمـــا يتعلق بتاليف الشاهنامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★★★

الشاهنامة :

كتاب منظوم وضعه الفردوسي في سير ملوك ايران القدامى ومن عاصرهم من الابطال ، مازجا بـــين التاريخ والاسطورة في ستين الف بيت في فن المثنوى . وقد قدر لهذه الشاهنامة ان تلعب دور البطولـــة الى جوار بطلى بحثنا هذا : السلطان محمود والشاعر الفردوسي .

ويروى رواة الاثار ونقلة الاخبار فيمـــا يتعلق بكيفية جمعها ان الساسانيين ـــ على وجه الخصوص ـــ كانوا يتهمون بايفاد الرسل الى شتى انحاء الدنيا لجمع اخبار من سبقهم من الملوك وايداعها في مجلـــد تحفظ نسخة منه في خزانتهم ، فلمـــا تولى يزدجرد مقاليد الحكم امـــر دانشور ـــ الدهقان الحكيم ، احد كبار رجال المدائن ـــ بأن يضع فهرسا لهذه الاخبار وتواريخها المتفرقة ، فقام بذلك ، ورتبها ابتداء من دولـــة كيومرث حتى نهاية دولة خسرو ابرويز ، واستكمل النقص الموجود عن

طريق سؤال الموابذة والادباء .

وكان تاريـــخ جمشيد تاما غير منقوص حين وجده سعد بن ابي وقاص في خزانة يزدجرد ، فبعث به الى عمر بن الخطاب الذي احضر مترجما ليحيطه علمـــا بمضمون هذا الكتاب ، فترجم له بعض الحكايات المرتبطة بعدل البيشداريين وقوانينهم ، واسمعه حكايات حول صـــدق عزيمة ملوك العجـــم وحسن تدبير وزرائهم ، فتقبلها بقبول حسن وامر بترجمتها الى العربية ، غير انه بعد ان استمع الى معتقدات عبدة الشمس والنار وقوانـــين الصابئة وحكاية زال والعنقاء وامثالها .. حكم بأن الكتاب لا يستحق القراءة لشدة شبهه بالدنيا . ولما سئل : من اي زاوية يشبه الدنيا ؟ قال :

سمعت الرسول عليـــه السلام يقول : هانت الدنيا على ربهـــا ، فخلط حرامها بحلالها .. ولقد اختلط الحلال بالحرام في هذا الكتاب ، اي اختلط فيـــه الصدق بالكذب .

وحين وزعت الغنائم على المشتركين في الغزوة .. وصل الكتاب الى الاحباش ، فاهتـــم بـــه ملكهم الى حد بعيد ، وامر بترجمته ، ثم تلقفته الايدي في معظم بلاد الحبشة والهند .

ولما آل حكم خراسان الى الصفاريين احضر يعقوب بن الليث نسخة الكتاب ، وامر وزيره ابا منصور عبد الرزاق بن عبد الله فرخ ان ينقل للفارسية ما كتبه الدهقان دانشور بالبهلوية ، ثم الحق بالكتاب كـــل الاحداث من عهد ابرويز الى نهاية حياة يزدجرد .

واصدر ابو منصور امره الى وكيل ابيه سعود بن المنصور العمري عام ستين وثلاثمائة من الهجرة ، فقام بتصحيح الكتاب بمساعـــدة اربعة هم :

تاج بن الخراساني الازهري ، ويزدان دادشابور السيستاني ، وماهوى بن خورشيد الينشابوري وسليمان بن تورين الطوسي .

وجلبت بعض النسخ الى خراسان والعراق .
ولما حكم السامانيون اهتموا كثيرا بقراءة الكتاب ، وامروا ابا منصور محمد بن احمد الدقيقي الطوسي الشاعر الكبير بنظم ما ورد فيـــه ، فاستخدم معانيه الدقيقة في نظم الف بيت ـــ او الفين ـــ قبل ان يقتله

غلامه التركي بخنجره ، ويرجع البعض قتله الى انه كان يظهر الاسلام ويبطن المجوسية ، بدليـــل قوله في اشعاره :

ـــ اختار الدقيقي اربعة اشياء مما في العالم من حسن وقبيح ..
ـــ الشفة الياقوتية ونغمة الرباب والخمر الدموية والديـــــن الزردشتي .

وقد اعتبر الدقيقي بعمله هذا رائدا في ميدان نظم القصص الفارسية المرتبطة بتاريخ الفرس واساطيرهم ، وظلت ابياته (التي تغطي الاحداث حتى ظهور زردشت وديانته في عهـــد كشتاسب) باقية حتى عهـد السامانيين .

وكانت نشأة محمود في كنف السامانيين ، وكان دائم الاقتداء بهم، مهتما بالعلوم والحكم وتاريـــخ ملوك العجم . وقد وقعت الابيات في يده فقرر ان يحدث فيها تصرفا حتى لا تنسب الى السامانيين او غيرهم.

وهناك راي اخر فيمـــا يتعلق بوصول الكتاب الى يد محمود ، ويقول اصحاب هذا الراي ان احد اجداد الفرس من نسل انو شيروان ـــ واسمه خورفيروز ـــ كان قد ترك مسقط راسه الى مدينة غزنة عاصمة السلطنة على امل اللقاء بالسلطان ظل الله وماوى كل مظلوم ، علـه يجد عنـــده ما يصلح بـــه من شأنه . وبينما هو يدور حول القصر راى رجلا كانـــه القمر في ملابس درويش سوداء رخيصة الثمن ، وعرف مدى حظوته لدى السلطان فاخبره خبره ، واخذ منـــه وعدا بمقابلة السلطان . وتلاقى خورفيروز مع السلطان ، واستطاع بفصاحته وحلاوة عبارته ان يخلب لب السلطان فيضمه الى اتباعه . وفي البلاط راى الشعراء كالشعـــري والثريا يدورون في فلك السلطان القادر ، يقدمون له اشعارهم . وراى العنصري الشاعر يتقدم بصحيفة يقراها على مولاه فتنال استحسانه وخصه السلطان بالهدايا ، واسند اليه مهمة نظم سير الملوك دون سواه . وخصص له مكانا في قصره ، وامر بتجميلـــه ، وطلب من الرسامين ان يرسموا على حوائطه الاربعة كل ما يستخدم من الات حربية ، وان يصوروا وجوه الابطال كما يتخيلونها ، وان يصوروا عظماء ايران وتوران وملوكهما على ظهور دوابهم وقد تدججوا باسلحتهم .

وفي هذا المكان شغل الفردوسي بنظم الشاهنامة ، ولـــم يكن يدخل عليه سوى اياز واحد الغلمان . وكان كلما فـــرغ من قســـم من اقسامها

وعرضه على السطان يسمعه يقول :

« كثيرا ما سمعت هذه القصة .. غير ان نظم الفردوسي شيء اخر وعباراته ذات تأثير خاص ، وفي كلامه .. تختلط الفصاحة بالفخر والشجاعة والمروءة والجسارة والسرور والطرب . وهو وان كان في مقام الضعف والهزيمة يبدي الحسرة والحزن والرقة والجبن .. الا انه في كل الحالات يعمد الى التسرية عن المهموم وتسلية خاطره » .

وامر محمود وزيره الخواجه حسن الميمندى بمنح الشاعر الف مثقال ذهبا عن كل الف بيت ينظمها ، فتضاعف نشاطه ، لكنه كان يرفض اخذ المبلغ المذكور في نهاية كل الف ، مفضلا ان ياخذ في نهاية العمل دينارا ذهبيا عن كل بيت ينظمه ليتسنى له بناء سد نهر طوس .

ومع النجاح وبمرور الايام ، كثر محبوه من العظماء ونعموا بمديحه ، كما كثر مبغضوه وتعرض لنقمتهم . وكان حسن الميمندى من الكارهين ، فمنع عنه ما كان يعينه على امور المعاش ، مما جعله يقول :

ــ منذ طفولتي ،بل ومن بدء فطرتي ..
وانا لا احب المال ولا اطمع في الجاه .
ــ فلماذا اتجه الى باب الوزير
وقد صرفت النظر عن اعتاب الشاه !؟

من بنـــده كـــز مبادى فطـــرت بنوده ام
مايـــل بمـــال هركـــز وطامـــع بجاه نيز
ســـوى در وزيـــر جـــرا ملتفـــت شـــوم
جـــون فارغـــم ز باركـــه پادشاه نيـــز

وكان الفردوسي شيعيا يكره ذلك الوزير الذي يتصف بصفات الخوارج ويرفض وساطة البعض للتوفيق بينهما متهما اياه بعـــدم الهمة وخمول الذكـــر :

ز ميمنـــدى آنـــين مـــــردى مجـــــوى
زنـــام ونشـــانش مكـــــن جستجـــــوى

وكان الوشاة ينقلون للميمندى ما يقوله الشاعر فيزيدون نار غضبه

ناجحـــا .

وممن ناصبوه العداء الى جانب الميمندى ، وصرح بعداوتهم له فـــي مقدمة منظومته الشعرية « خسرو وشيريـــن » : علي خويشاوند قريب السلطان ،والوزير ابو العباس الاسفراييني ، وابو اسحق محمد بـــن الحسن البلخي ، والخواجه علي الترمذي خليفة عميد الملك نايق ، والوزير احمد بن حسن الميمندى ، واحمد بن عبد الصمد ، وخواجه حسنك ميكال ، والتونتاش مقدم الامراء ، والامير ارسلان جانب صاحب الفتوحات الكبرى، والحاجب سبكتكين .

وممن اظهروا له الود وناصروه على نحو ما :

يا هك النديم ، واياز او يماق (على خلاف ما ذكره دولتشاه) ، وعلى الديلمي راوية ابيات الشاهنامة ، وابو دلف الذيساعده في كتابه الشاهنامة بتكليف من السلطان ، وانتشر الكتاب بخطه ، والسيهسالار حسين قتيب قائد جيش طوس . ويرد ذكر على الديلمي وابى دلف وحسين في الشاهنامة ويبدو ان حسينا كان يعتبر نفسه مدينا للشاعر بالكثير ، وكان دائما مـــا يسرى عنه . وقد ذكر البعض ان الفردوس قد توســط له ليكون قائدا للجيش :

از ان نامـــــور نامداران شهـــــر
علی دیلـم وبو دلف راســت بهـــــر
حســين قتيـــب اســت ز ازادگـــان
که از من نخواهـــــد سخـــن رایگان

وانجز الفردوسي شاهنامته عام ٤٠٠ هـ ــ ١٠١٠م ، وقد بلغ الثمانين من عمـــره :

زهجـرت شـــده ينـــج هشتاد بـــار
کـــه گفتـــم من ايـــن نامـــــه شاهـــوار
کنـــون عمـــر نزديـــك هشتادشـــــد
اميـــدم بيکبـــاره بـــــر بـــاد شـــــد

وحملها اياز الى السلطان فنعمت بتقريظه واعترف بانها تفوق في روعتها كل ما سبقها من اشعار ، وامر الميمندي باعطاء الفردوسي حمولة فيل من الذهب الاحمر .

ورآها الوزير فرصة للانتقام ، فقال للسلطان :

« ان حمولة فيل من الذهب لا تساوي جناح بعوضة بالقياس لاحسان مولاي ، وفضاء الدنيا الواسع لا يتسع لهمته .. الا انه لا يخفى على رفيع حكمته ان السرور المفرط ــ شأنه شأن الحزن المفرط ــ يهدم الحياة من اساسها .. فلو راى الفردوس صلة مولاي لهلك والعياذ بالله . وحرام يامولاي ان تمنحوا شاعرا فلاحا ستين الف مثقال من الذهب ، ويكفي ان تعطوه ستين الف مثقال من الفضة » .

ووافق السلطان ، فوضع الوزير المال في اكياس عديدة حملها اياز الى الفردوس في احد الحمامات ، فلما راى الفضة مكان الذهب زال سروره وتساءل عن السبب ، فلم يخف اياز عنه ما حدث . وهنا اعطى الفردوس ثلث العطية للحمامي ، والثلث لاياز ، والثلث الباقي لبائع فقاع (نوع ردىء من الخمور) كان يجلس على باب الحمام ، وتناول من يده كأسا واحدة .. شربها ، ثم التفت الى اياز وطلب منه اخبار السلطان بما حدث ، ليعلم انه لم ينجز المهمة الشاقة التي كلف بها من اجل المال ، وليعرف انه قد احتقر شاعرا اشعل سراج ضميره بنار التفكير ، واضنى قلبه وروحه ليخلد بعمله المجيد ذكره ، وينشر في كل مكان صيته ، واطلق لسانه يتغنى برفعته وشرفه ، وصدر عمله الجميل باسمه .

وتحدث اياز الى مولاه فاثار حنقه على وزيره الذي عرضه لتوبيخ الشعراء ، وقال الوزير في دهاء : « ان عطية الملك ــ درهما كانت ام دينارا ــ لها نفس القيمة ، فحفنة تراب يرسلها السلطان .. مكانها العين بدلا من قطرة الترياق .. اعزازا لقدرها واكراما لشأنها » .

وثار السلطان على الشاعر ، وصرح بانه سيلقى به في صباح اليوم التالي ــ بوصفه قرمطيا ــ تحت اقدام احد الفيلة .. ليكون عبرة لمن لا ادب عندهم ولا حياء .

وكانت غرفة الفردوسي في قصر الملك ، فانتظر الى ان دخل السلطان محل الطهارة في الحديقة وارتمى على قدميه يقبلهما ويبدي جزعه ، ويؤكد

ان حاسديه قد ظلموه حين ذكروا للسلطان انه قرمطي ورافض بينما العكس هو الصحيح . واعتذر له عـــن رفضه عطيته ، وتساءل لماذا اقتل بينما المجوسي واليهودي والنصراني يعيشون امنين في ظل عدل السلطان .. طالمـــا هم يدفعون الجزية ؟. ثم تلا شعرا على البديهة في هذا المعنى ، فاتفقا غضب السلطان وزال الخطر .

وعاد الشاعر الى منزله فمزق مسودات الاف الابيات وجعلها طعمة للنيران . ثم توجه الى المسجد الجامع وخط على الحائط ــ الذي تعود السلطان الجلوس بجانبه عند الصلاة ــ بيتين من الشعر ، قال فيهمـــا :

ــ بلاط محمود يفيض بالسعادة ، لكنه بحر ..
واني لاسميه بحرا مادمت لا ارى الساحل
ــ كم غصت فيه فلم اجد مخرجا ..
الذنب ذنب خطى ، وليس ذنب البحر ولا الساحل .
خجسته دركـــه محمود را ونـــى دريادست
جكونه دريا كاذرا كرانـــــه بيـــدا نيست
جـــــه غوطـــه ها زدم واندر او نديدمدر
كناه بخـــت منســـت وكناه دريا نيست

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واعتزم الفردوسي السفر فلم يجد زادا ولا راحلة ، فوضع رداءه على كتفه واخذ عصاه في يده ، واحجم محبوه عن مرافقته خشية غضب السلطان وارسل له اياز زادا ودابة في الخفاء ، وذهب لوداعه سرا فاعطاه الشاعر مكتوبا واشترط عليه ان يعطيه للسلطان بعد ثلاثة اسابيع من رحيله ،وان يختار لتقديمه ساعة سرور السلطان وفراغ باله . ومرت الاسابيع الثلاثة، واعطى اياز المكتوب للسلطان وكان حافلا بأبيات الهجاء .

ووصل الفردوسي الى قهستان وقد سبقه خبر الظلم الذي حاق به ، فاستقبله واليها «ناصر لك» بالترحاب وابدى له كل الاعجاب . وأراد الشاعر ان يسجل قصة الظلم في ابيات ، فنبهه الحاكم الى ما سيجره عليه ذلك من ويلات ، واعطاه مائة الف درهم ورجاه الا يشكو السلطان او وزيره او يعمد الى ذمهما .. مما جعله يندم على ما قاله في حقهما .

وكتب الوالي للسلطان ، ونبهه الى الجرم الذي ارتكبه عبيده في حق

الفردوسي مما تسبب عنه ضياع امله بعد شقاء استمر ثلاثين سنة . ووصل رسول الوالي الى غزنة فعلم ان السلطان يصلي الجمعة بالمسجد الجامع ، فذهب الى المسجد ولقيه على بابه فارقا في التفكير بعد ان قرا بيتي الفردوس على حائط المسجد وفهم مغزاهما . وبعد ان تحدث الرسول الى السلطان اظهر استعداده للعفو عن الفردوسي وارضائه . وافسح صدره لسماع اقوال محبيه فساءه دور الوزير والوشاة .

وبلغ الفردوسي ، زندان فعدل وبـــدل واضاف بعض الابيات الى شاهنامته ممتدحا واليها . وكان الوالي من غلاة الشيعة فرحب بالشاعر الشيعي ، وقرأ ابياته الكثيرة التي نظمها في وصفه واثبت فيها اسمه ونسبه وكاد يبقيه في بلاطه لولا خوفه من غضب السلطان ، فاكتفى بان خلع عليه ، واوصاه بالذهاب الى بلد لا تصل اليه فيه يد مولاه . وتوجه الشاعر الى بغداد حيث التقى بصديق قديم يعمل في التجارة .. قدمه لوزيره الخليفة . وامتدح الفردوسي الوزير بقصيدة عربية استخدمفيها الوان البيان والبديع، مما جعله موضع استحسان الوزير والفصحاء . واستضافه الوزير فترة الى ان قدمه للخليفة . وامتدح الشاعـــر الخليفة بالف بيت نـــال بها عظيم استحسانه وخطى بوافر كرمه .

واقام الفردوسي ببغداد ، واطلع الخليفة والبغداديين على شاهنامته فلم تعجبهم لما اشتملت عليه من مدح ملوك العجم عبدة النار . وحاول ارضاءهم فنظم قصة مصدرها القرآن الكريم ، اسماها « يوسف وزليخا »، ولما استحسنوا القصة بالغوا في اكرامه ، بعكس ما يجري عليه الحال في عصرنا هذا .. اذ يحط الفرس من قدرها ، ويرون ان الفردوسي قد نظمها بعدما غاص شبابه وذوى عنفوانه وانحطم قلبه نتيجة غدر محمـــود واعوانه . كما يرون انه صاغها في نفس الوزن والاسلوب اللذين صاغ فيهما الشاهنامة ، وهما لا يصلحان لنظم مثل هذه القصة الرومانتيكية .

ونقل الجواسيس اخبار الفردوس الى السلطان ، فارسل يهـــدد الخليفة بأن تطأ الفيلة بغداد ان لم يرسل الشاعر ـــ الى بلاطه ـــ واعاد الخليفة الخطاب الى السلطان وقد كتب على ظهره (الم ، والسلام) . واستشار السلطان العلماء في مغزى ما كتبه الخليفة ، فقالوا بعد طول تفكير : « لقد هددته بالفيلة ، فأجابك : الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ » . وانصرف السلطان عن ملاحقة الفردوس الى حين منشغـــلا باخماد ثورة متمرد يتحصن باحدى القلاع . وأراد مراسلة الثائر قبـــل

مهاجمته فقال لاحد وزرائه : ماذا ستكتب له من عبارات التهديد ؟، قال : ساكتب قول الفردوس في شاهنامته :

ـــ اذا لم يكن وفق اراتي ما ياتيني من جانبك من جواب ..
فلا مفر من السيف والميدان ومنازلة افراسياب .

اكر جز بكام من ايد جـــواب من وكرز وميدان افراسياب

وسواء اكان هذا رد الثائر ـــ كما يرى البعض ـــ او ما كتبه الوزير فان السلطان قد تنبه لدى سماعه الى عظمة الشاهنامـــة والى ما حاق بالشاعر من ظلم ، فامر له بستين الف دينار ذهبية . . تعطى له من اصباغ (الفيله) ، وتحملها اليه الابل السلطانية حيثما وجد ، بك وامر له بخلعه ملكية ونبه على الرسل بالاعتذار اليه .

وترك الفردوس بغداد الى طوس دون معرفة بقرار السلطان ، وفي سوقها سمع غلاما ينشد هذا البيت :

ـــ لو كان الا كمن اصل ملكي ..
لوضع على راسي تاجا من ذهب .

فصرخ في الم وسقط مغشيا عليه ، لقد كان احد ابيات هجائه التي قال فيها :

ـــ عابوني فقالوا ان ذلك الثرثار ..
قد شاب على حب النبي وعلى المغوار .
ـــ ولو اني اروى في حبهما الاخبار ..
لحميت المئات من امثال محمود الجبار .
ـــ غير ان ابن الامة لا يصلح لعمه لمن الاعمال
ولو كان ابوه ملكا ذا جلال
ـــ واني لاسوق الحديث سوقا في ذلك المجال
بينما هو كالبحر الواسع ، لا اعرف له ساحلا باية حالْ .
ـــ ليس في طاقة السلطان تقديم الاحسان ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والا لاجلسني في خير مكان .

ـــ لما كانت ارومته لا يربطها بالعظمة انتماء
فانه لم يطق سماع اسماء العظماء .

ـــ ايها الملك الفاتح محمود ..
ان كنت لا تخشى احدا ، فاخشى الرحمن .

ـــ لقد سبقك العديد من الملوك ..
كلهم صاحب تاج وصوله وسلطان .

ـــ كانوا يفوقونك جاها ومالا ،
ويفضلونك في الجند والمروش والتيجان .

ـــ لم يقدموا سوى الخير والحق ،
ولم يحوموا حول مغريات الزمان .

ـــ لقد عاملوا اتباعهم باحسان
وكانوا عبادا طاهري النفوس والابدان .

ـــ سعوا لطيب الذكر في دهرهم ..
ولم يستهدفوا سوى حسن الخاتمة في كل آن .

وهكذا ركز الفردوسي على ان محمودا كان من نسل العبيد ، وتجاهل انه يصل في نهاية نسبه الى ساسان ابي الملوك ـــ كما ورد لدى بعض المؤرخين ـــ ليتمكن من طزه والنيل منه .

وفي المنزل ، صعدت روح الفردوسي الى بارئها . وبينما كانت جنازته تخرج من باب (رزان) كانت قافلة العطاء تدخل من باب الـــ (روديار) ، وتم دفنه داخل حديقته الواقعة قرب بوابة رزان ، على مقربة من مـــزار العباسية بطوس . وحملت الصلة الى ابنته وكانت في حاجة ماسة اليها لكنها رفضتها ، واشارت عليهم باتفاقها في تقوية سد نهر طوس على النحو الذي كان يرجوه والدها ، ففعلوا واطلقوا عليه اسم (بند عايشة فرخ) .

وفي « سفرنامه » يقول ناصر خسرو ما مفاده :

« في عام ٤٣٨ هـ بلغت طريق طوس فوجدت رباطا عظيما ، سألت عمن انشأه فقيل لي : هو من المال الذي وصل به محمود الفردوسي . فلما استفسرت عن خبره ، قالوا ، مات الفردوسي ، ولم تقبل وريثته المال ، وعرض الامر على السلطان فقال : عمروا المكان بتلك الصلة .. وهـذا الرباط بصفة خاصة من المال المذكور .

وقيل ان الشيخ الكبير ابا القاسم الجرجاني كبير العصر ــ رحمة الله عليه ــ لم يحضر جنازة الفردوسي بصفته عالما زاهدا ترك طريقه وانفق عمره في كلام الملحدين وعبدة النار .. وقال ان الصلاة لا تجوز على مثل هذا الشخص .

ولما جن الليل راى في منامه قصرا منيفا وسريرا من ياقوت وعرف ان صاحبه هو الفردوسي ، ورآه في ثياب خضراء يضع عـلى راسه تاجا زمرديا . ولما ساله عن سر رفعته ومجده ، قال : السر يكمن في بيت قلته ويامره بان ينظم الكتاب . وتساءل خور فيروز في حيرة عن كنه هـذا الكتاب الهام الذي يشغلون انفسهم به ، فاجاب الدرويش :

ان كل ملك وسلطان يشغله شيء ، فالبعض يهمه استيفاء كل ما يجلب له المتعة والسرور ، والبعض يهمه استيعاب كل ما يمكنه من كسب المعارك .. اما محمود فلا يحب غير القصص واشعار الفضلاء ، ولهذا يجتمع في بلاطه فضلاء الزمان وحكماء ارجاء الدنيا وكانهم سمط الجوزاء وعقـد الثريا . وهناك نسخة من كتاب احضروها من سجستان تشتمل على قسط من سير الملوك . ومنذ مدة والسلطان يشحذ الهمم لنظم جواهر تلك الاخبار والسير والاثار .. وقد اجتمع الشعراء اليوم على بابـه ــ كما رايت ــ لعرض ما نظموه ، وقد استحسن ما نظمه العنصـري فامتدحه واحسن اليه .

وابدى خور فيروز حسرته والمه ، فلما ساله الدرويش عن السبب، قال : في بلادي كتاب ، لو استطعت العودة لاحضرته للسلطان .

فقال الدرويش : اكتب ما عندك .

وكتب خورفيروز ، واظهر ما للكتاب من اهمية ، وقرا السلطان ما كتب فتلهف على اقتنائه ، وكتبه رسالة حملها احد الرسل الى قومه ، وعاد من لدنهم بالكتاب وسلمه لمحمود ، فقرب اليه خور فيروز واعلى

مكانته .

وفي رواية اخرى انه لما شاع خبر اهتمام السلطان بالكتاب . .كان بكرمان رجل من نسل شابور ذي الاكتاف يدعى اذر برزين يهتم بجمع اخبار ملوك العجم ، فارسله ملك كرمان الى محمود بغية كسب رضاه ومودته . ونعم اذر برزين بعطايا السلطان ، واخذ يجمع الاخبار في مرو حول سلالة زال وسام ونريمان ، ويثبت اخبارهم واخبار رستم . ثم حمل كل ذلك الى محمود .

والخلاصة انه توفرت للسلطان سيرة ملوك العجم . واذا كان المؤرخون قد تحشموا العناء لاخبارنا بالطريقة ، فان وصول الكتاب من لدن العرب الى الاحباش وديار هندوستان ــ مع اختلاف اللغة وبعد المكان ــ يظل في نظرنا دعوى بلا برهان .

ويقول الذين ينكرون ان يكون الفردوسي قد نظم الشاهنامة قبل لقاء السلطان .. ان الشاعر قد سمع من تصدي الدقيقي لنظم سير الملوك ، ومصرعه على يد غلامه ، وسمع عن شغف محمود بنظم هذا العمل ، وانس في نفسه القدرة على خوض التجربة ، فتمنى ان يمتلك تاريخ ملوك العجم باكمله ليحقق مبتغاه . وتحدث في ذلك الى صديقه محمد لشكري فشجعه واعطاه كتابا كان في حوزته يتعلق بهذا الموضوع واستمد العون الروحي من الشيخ الولي محمد معشوق الطوسي . .وبدا العمل . وانتهى من نظم قسم يتعلق بحرب الضحاك وفريدون فاطلع عليه اصدقاءه .. وعرف ابو منصور ــ والي طوس ــ بالامر ، فاستدعاه واستمع الى نظمه ، واظهر اعجابه ، وطلب منه مواصلة الجهد على ان يلتزم هو بكل نفقاته . وبينما الفردوسي ينفذ ما تفقا عليه ، مات الوالي ، فدب الوهن في العمل .

وارسل السلطان واليا جديدا يدعى ارسلانخان لحكم طوس ، ولما بلغته انباء شهرة الفردوسي طلب من الحاكم ان يرسله اليه . واعتذر الفردوسي في البداية ، ثم تذكر تمنيا تالشيخ معشوق الطيبة فزال تردده وسافر لمقابلة السلطان .

وفي هراة ، نمى الى سمع الفردوسي ان بديع الدين الكاتب ــ كاتب الحضرة وصاحب ديوان الرسائل ــ قد ذكر لنفر من الشعراء انه قد تاكد للسلطان ان نظم التاريخ ليس في مقدور ملازمي اعتابه ، وان

الفردوسي بدوره لن يتمكن من انجاز هذا العمل ــ كما بلغه ان الشعراء قد قرروا مراسلتـــه ليرسل اعتذارا للسلطان .. مما تسبب في فتور عزيمتـــه وقصور همته .

والتقى الفردوسي بالرسول فعلا ، فأخبره بأن السلطان قـــد صرف نظره عن ذلك الامر ، وحذر على اتباعـــه ان يذكروه في مجلســه .

وفكر الفردوسي في العودة ، لكنـــه خشى ان يكون هذا الكـــلام مغرضا ، فاختفى فترة في قصر ابي بكر الوراق الى ان تتضح الامور.

وتنازع بديع الدين والعنصري ، فارسل اولهما الى الفردوسي متهما الشعراء بالكذب ، وطلب منه الحضور ان كان يأنس في نفسه القدرة على منافستهم . فأرســـل اليه الفردوسي يؤكد تفوقه عليهم ، ويشبه نفسه بالوردة والروضة ويشبه العنصري بالعشب .

وفي غزنة ، كان السلطان قد اختار سبع قصص لعدد من ملوك العجم ، ودفـــع بها الى سبعة شعراء لينظم كل منهم قصة ، وقرر ان يعهد الى افضلهم باتمام الكتاب .. والشعراء هم : العنصري ، الفرضي، الزيني ، المسجدي ، منجك جنكزن ، خرمي ، الترمذي .. وكانت قصة سهرا بمن نصيب العنصري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووصل الفردوسي الى غزنة ، فتوضأ قرب احدى حدائقها وصلى ركعتين قبل ان يتوجه صوب ثلاثة شعراء كانوا يعتزلون زملاءهم ويختلون في تلك الحديقة وبرفقة كل منهم غلام مليح الوجه ، وكره الثلاثة الاختلاط بـــه ، وكادوا يسخرون منه لولا ان منعهم العنصري . ثم استقر رايهم على ان يقول كل منهم مصراعا ،ويتركوا له فرصة قول المصراع الرابع ، فان قاله رغـــم صعوبة القافية سمحوا له بمصاحبتهم ، وان لم يفعل طلبوا منه الاعتذار ومغادرتهم ، واخبروا الفردوسي بقرارهم فرضى بشرطهم .

فقال العنصري : جـــون عارض تو ماء نياشدروشن

وقـــال الفرضي : مانـــد رخت كـــل بنود در كلبشن

وقال المسجدي : ثر كانت همي كذر كند از جوشـــن

واكمل الفردوسي : مانند سنـــان كيو در جنكك يشن

ان القمر لا يضيء كنـــور وجهـــك في بهائـــه
والورد في رياضه لا يضارع وجناتك رغم سنائه
واهدابـــك تنفذ من الجواشن الثقيلـــة
كانها سنان كيو في مجاربته بشن ، ولها نفس عزمه ومضائه.

وساله الشعراء عن حربهما فاسهب ، وتحدث عن غيرها فاظهر دراية كبيرة باساطير ايران القديمة . واصبح انيسا بجيبهم عما يسالون، ياخذون عن بديهته الحاضرة ما يرغبون .

ويرى البعض ان العنصري قدمه لمولاه ليكمل ما بداه الدقيقي ، بينما يرى غيرهم انه قد اتفق مع بقية الشعراء ومع حجاب اعتاب السلطان على ابعاده عن مجلس السلطان . ويرون ان ماهك ـــ نديم محمود ـــ قد عرف منـــه حكايتـــه ووقف على عظيم قدره ، واطلق على رغبة مولاه في نظم كتاب سير الملوك ، ووعده بتقديمه له . وبعد أسبوع من استضافته اخبره ان الشعراء قد حضروا مجلس السلطان وعرضوا عليه نظمهم . وانتهى الامر بان عرض العنصري ما نظمه حول قصة رستم وسهراب ، فتن محمود بما نظمه وابدى اعجابـــه الشديد ببيتين على وجه الخصوص واصدر اليـــه امره باتمام الكتاب . والبيتان هما :

هر آنكه كه تشنه شدى تويخون بيالودى ايـــن خنجـــر آبكـــون
زمانه يخون تـــو تشنـــه شـــود باندام تو موى دشنه شـــــود

وقبل ان يغادر ماهك مكانه ، كان الفردوسي قد نظم قصة رستـــم واسفنديار ، فمضى بها النديـــم الى السلطان ، فلمـــا استمع اليهـــا فتن بها ، وحين عـــرف ان الفردوسي قد نظم العديد من امثالها استدعاه الى مجلســـه ، واخذ يحاوره .. فكان ممـــا تطرق اليه الحديث .. كيفية بناء طوس وسبب بنائها .. وقد اجاب الفردوسي بصورة اقنعت السلطان بانـــه يقف تمام الوقوف على احوال ملوك العجم ، فقدمـــه الى الشعراء السبعة وامتدحه امامهم ، وخلع عليه دونهم . واعترف لـــه العنصري ـــ ضمن من اعترفوا ـــ بالتفوق والافضلية ، وقبل يده ، وتنازل له عن امارة الشعر . وطلب السلطان من الشاعر ان يرتجل وصفا في عارض اياز ، فقال بيتين هتف السلطان في اثرها : لله درك يا فردوسي لقد احلت مجلسنا الى فردوس .

نامتدحـــه الفردوسي بمنظومة استهلها بقوله :

جوكودك لب از شير مادر بشست بكهواره محمود كويد نخست

ـ ما ان يغسل الرضيع من مهده شفتيه من لبن امه ...

حتى يلهج بعظمـــة محمود .

في التوحيد ، فانا القائل :

ـ الهي .. انك جميع ما في الكون من رفيع ووضيع ،

ولست اعرف كنهك ، ولكنك كل ما هو كائن .

جهان را بلند ى‌وبستى تونى ندانم جه هرجه طستى تونى

او يكمن في البيتين :

ـ احمد الله الظاهر القهار ، مانح التراب نعمة الحديث والابصار

ـ مانح النملة نعومة الاسد الهصور ، ومانح البعوضة الجراة على الفيل الجسور

ستايش كنم ايزد پاك را كه كويا وبينا كند خاك را

بمورى دهد مالش نره شير كند پشه برپيل جنكى دلير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستيقظ الشيخ فتوجه الى قبر الشاعر وصلى على راسه ، وقص على الناس رؤياه واعترف بعظيم قدره . واخبر صاحب البريد السلطان برفض ابنه الفردوسي تسلم العطية ، فامر السلطان باعطاء المال لابي بكر ابن اسحق ليعمر بـــه رباط (جاهه) على راس الطريق بين نيسابور ومرو، ففعل كما جاء في بعض المصادر . كما ورد ايضا ان السلطان امر رجاله بنفي الفقيه من طبران حين علم انه رفض ان يدفن الفردوسي في مقابـــر المسلمين باعتباره رافضا .

وهكذا عاش الفردوسي مظلوما وودع الحياة مظلوما .. رغم اجماع الاراء على انه واحد من افضل ثلاثة شعراء عرفتهم ايران .

ـ للشعر ثلاثة انبياء .. رغم قول الرسول : لابني بعدي ..

ـ الوصف نبيه الفردوسي ، والقصيدة نبيها الانوري ، والغزل نبيه

السعـــدي

در شعرســـه ثـــن سيفميرانند　　هر جندكـــه لابنـــى بعـــــــدى

اوصـــاف وقصيدة وغـــزل را　　فـــردوسي وانـــــوري وســـعدى

عاش مضيعا .. رغم انه يكون مع جـــلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي الاركان الاربعة للغـــة الفارسية وادبها ، والعناصر الاربعة للتربية والقومية الخاصتين بشعب ايران .

لقد كان ظلم الوالي وعامل الخراج سببا في تركه مسقط راسه ، وكان ظلم السلطان ووزيره ورجال بلاطه سببا في ضياع امواله . وظل الظلم يلاحقه حتى بعد وفاته ، فقد نسب لطغملي بيك صاحب (آتشكده) قدرا من اشعاره لمنصور المنطيقي الذي يدانيه شهرة ، رغم ورود الابيات في الكتب القديمة ونسبتها للفردوسي ، واستبعد اساتذة النظم أن يكون مثنوى يوسف وزليخا من نظمه فسلبوه حق ملكية مثنوى اصبح فيما بعد من اكثر الموضوعات شهرة لدى الرومانتيكيين من فرنسي وترك . وحتى الغزليات التي وصف بانه نبيها قد غطها النقاد حقها ، ولم يقدروها حق قدرها .

ولعل الظلم الذي حاق به من جراء نظمه الشاهنامة كان اكثر مرارة ، فهذا العمل الادبي الفارسي المنظوم ، العظيم كما وكيفا ، والذي يرى محمد علي فروغي وغيره من كبار النقاد انه من اروع الاداب العالمية ، بل واعظم عمل ادبي قام به انسان . هذا العمل كان أمل الفردوس في بلوغ المجد ، لهذا لم يدر بخلده ان يكون الباب الذي يهاجم منه . ولا شك ان اسبـــاب الهجوم لم تكن تكمن في اسلوب الشاهنامة او ضعف ابياتها ، وانما كان مردها الى الاحقاد والحسد ، والصراعات المذهبية ، والاتجاهات الفكرية. لقد لمزه اعداؤه فنسبوا اليه الفلسفة والاعتزال والرفض ومدح الديـــن الزردشتي ، واستندوا لبيتيه :

نكه كـــن بدين كنبـــد تيز كـــرد　　كـــه درمان ازويست وزو نيز درد

ازاو زار كـــردى ازو سر فراز　　وزاو دان فزونى وهم زو نيـــــاز

ليقولوا انه فيلسوف ، لانه ينسب كل ما يقع في الدنيـــا من شفاء ومرض وذلة ورفعة وكمال ونقصان .. الى الفلك .

واستندوا الى بيتيه :

نــه كشــت زمانــه بفرسايدش نه از رنج وتيمـــار بكزايدش
نـــه از جنبش ارام كير همى نــه جون ما تباهــى يذ يرد همــى

ليقولوا انه دهري ، لانه يرى ان حركة الافــلاك واوضاع الاجرام العلوية غير قابلة للتغير ، ولن يلحقها التبدل والتحول .

واستندوا الى بيتيه :

بــه بينـــــد كان اثر يننده را نبينى مر نجـــان دو بيننــده را

ليقولوا انه معتزلى يحكم بان رؤية الله غير ممكنة .

واستندوا الى بيتيه :

اكــر چشم دارى بديكــر سراى بنزد بنى وولــى كــير جـــاى
كــرت زين بد ايد كنـــاه منست جنين است واين رسم وراه منست

ـــ اذا كنت ممن يتطلعون الى الدار الاخرة
فاسلك سبيل النبي والولى اخذا بيدي
ـــ فان اصابك من ذلك الضر فالنب ذنبي
ذاك الطريق ، وهذا اليوم معتقدى .

ليدللوا على تشيعه . والواقع ان الشاعر لم ينكر ذلــك بل اثبته صراحة في هجائه لمحمود على النحو الذي ذكرناه . ولعل مدحــه للدين الزردشتى جاء نتيجة تحمسه للموضوع الذي يطرقه او نتيجة قومية ، او ربما تكون الابيات للدقيقى ـــ كما اوضحنا ـــ فقد وصل الدقيقى بأبياته الى الدين الزردشتى ، ان صحت الاخبار . الا ان ما ينسب اليه من قول بقدم العالم ونسبة الحوادث للافلاك والانجم وغير ذلك .. يعد من قبيـــل الموضوعات التي يقصد بها الشعراء المجاز ولا تحمل على معمل الحقيقة .

وعلى اية حال فقد تسببت هذه الاتهامات في نفور محمود (السني المتعصب) من الفردوسي . كما ان اطول المدة التي انجز فيها الشاعر عمله (٢٥ او ٣٠ سنة) كان مبررا لتغير مزاج السلطان ، وضعف ميله لسماع الشعر والاستمتاع به .

ومن مبررات استيائه ايضا ذم الفردوسي لمن يفتقدون الحسب والنسب ، ومبالغته في ذكر اباء ملوك ايران واجدادهم ، اذ المعروف تاريخيا ان اباه كان عبدا ـــ رغم كونه من اصل ساساني واروعة ملكية ـــ وانه كان لا يحب التفاخر بالانساب .

ولعل ما اغضب محمود ايضا ان الفردوسي كان يتلقى الهبات ممن يسمعون قصص الشاهنامة في شتى البلاد ، ومن بينهم فخر الدولة الديلمي. وقد نمى الى علم السلطان ان الفردوسي أرسل اليه قصة اسفنديار ورستم، وطلب منه خمسمائة دينار ذهبية ، فأرسل الفا وطلب منه الحضور الى ديارة ليحظى بكرمه . ولما كان السلطان على خلاف مع الديالمة ، فقد ساءه تصرف الفردوسي ، وصدق الميمندى حين قال ان الشاعر رافضى ومعتزلي .. لعلمه بان اكثر ملوك الديلم كانوا رافضة ومعتزله .

غير ان البعض ينفي عن الفردوسي صفة الاستجداء على هذا النحو، ويؤكد كلامه بقصة مؤداها ان الشاعر بعد ان نظم ابياتا رائعة في قصة الحرب بين رستم واشكبوس الكشانى نام مرتاح البال ، فراى رستم في منامه لدى بوابة مكناباد ممسكا درعه وقوسه ، ممتطيا صهوة جواده في هيبة واعتداد . فلما ترجل تقدم اليه الفردوسي مسلما ، فرد مبتسما في رقة ، ودله على موضع في ارض توده (الشعب) يمكنه ان يجد فيه طوق عدوه الذي انتزعه من رقبته ورأس حربته ، وكان قد دفنهما هناك يوم المعركة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد اتيحت للفردوسي فرصة الوصول الى ذلك المكان بمعية السلطان ورفقة اياز ، وتمكن بمعونة اياز واعوانه من استخراج الكنز الذي رآه في منامه . وحين حمل الكنز الى السلطان ابدى دهشته وأمر بمنحه للفردوسي لكن الشاعر رفض الاستئثار به رغم احتياجه ، وأصر على ان يقسم بين الشعراء ، ولم يحصل هو على دينار واحد .

ولو صح ما ورد في هذه القصة لحكمنا ببطلان اتصال الفردوسي بفخر الدولة الديلمي بغية الحصول على المال .

وعلى اي حال ، فنحن لا نملك في النهاية الا ان نقول ان عهد محمود قد انقضى كما انقضى عهد الفردوسي ، وان كل واحد منهما قد خلف الحياة تاركا لمن خلفه الحكم له او عليه . ولذا لم يكن غريبا ان يأتي يوم يقول فيه الجامى ـــ شاعر التيموريين ـــ معبرا عما يجول في صدور الكثيرين :

كنشت شوكت محمود ودر فسانه نماند
جز اين قدر كه ندانست قدر فردوسى
ــ لقد مضت شوكة محمود ولم يبق لنا من قصته
سوى انه لم يعرف للفردوسي قدره وعظيم قيمته

مصادر البحث

١ ــ احمد كمال الدين حلمي (دكتور) : ايران قبل الاسلام ــ طبع دار الشهب ، ط ١ ، الكويت ، ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦ م

٢ ــ نفس المؤلف : ٢٥٠٠ عام من عمر ايران ــ طبع مؤسسة علي جراح الصباح ، ط ١ ، الكويت ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م

٣ ــ براون (ادوارد جرنفيل براون) : تاريخ الادب في ايران (من الفردوسي الى السعدي ، ترجمة د. ابراهيم امين الشواربي ، القاهرة ١٩٥٤ م

٤ ــ نفس المؤلف : تاريخ ادبي ايران (از جديترين روزگاران تازمان فردوسي) ، ترجمة علي باشا صالح ، تهران ١٣٣٣ .

٥ ــ جامي (عبد الرحمن) : بهارستان ، طهران ١٣١١ هـ .

٦ ــ ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، (نشر وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٧ ــ دولتشاه السمرقندى : تذكرة الشعراء ، ليدن ، اشراف براون ، ١٣١٨هـ ــ ١٩٠٠م.

٨ ــ دونالد ولبر : ايران ماضيها وحاضرها (ترجمة د. عبد النعيم محمد حسنين) ط ١ ، القاهرة ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٨ م

٩ ــ شفق (رضا زاده شفق) : تاريخ الادب الفارسي (ترجمة د. موسى هنداوى) ، القاهرة ١٣٦٦ هـ .

١٠ ــ فروغى (محمد علي فروغى) : شاهنامه فردوسى ، تقديم وشرح فروغى ، انتشارات جاويدان ، طهران .

١١ ــ لطفعلي بيك آذر بيكدلي : تذكرة آتشكده ، تعليق حسن سادات ناصرى ، ط ١ طهران ، ١٣٣٦ هـ

١٢ ــ محمد عوفي : لباب الالباب ــ تعليق وحواشي سعيد نفيسي ، چاپ انجمن اسفند ١٣٣٢ ﻫ

١٣ ــ ناصر خسرو : سفرنامه ، طبع شيفر ، باريس ١٨٨١ م

١٤ ــ نظامي عروضي سمرقندي : چهار مقاله ، طبع طهران ١٣٣١ ﻫ.ش

١٥ ــ نولدكه (تئودور نولدكه) : حماسه ملي ايران (ترجمة بزرك علوي) ، نشر جامعة طهران ١٣٢٧ ﻫ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمات دبلوماسية

عبارات سقطت من الخطاب الذي القاه السيد /س٠م
في حفل تقديم اوراق اعتماده للسيد/م٠ب

قصيدة للشاعر

أحمد عنتر مصطفى
القاهرة



انه النيل ، والشمس ، والامنيات
تفرط الان عنقودهـــا ،
فافردي حجرك اليوم ،
هزي النخيل
سوف يساقط الثمر المشتهى من الوف السنين
اكمل الحلـــم دورته ،
والطواحين تلهث في الريح ،
والخيـــل ينزف منها الصهيل
انه النيل ٠٠ والسلسبيل
فارتديه وشاحا على الصدر ،
تاجا على الراس ،
لا ٠٠ ليس مـــاء وطـــين
انـــه آه ٠٠ لو تعلمـــين ،



كان يوما الها تصلى له في الضفاف الحقول
والطـــير تحسو مناقيرها الحـــب منه ،
وتنقـــــر في حضنـــه الثمـــرات
انـــه النيل .. بـــين يديك
انزعي من تقاويم عمرك ازمنة التيه ،
سفـــر الخـــروج
واغمدي الخنجر الجامح النصل في حلم الكادحين ..
واكتبي حيث تنشطر الارض والعرض
سفر الدخول
قيل : لا ترتع الشاة والذئب .. في دعة
هاهما يرتعان بظـــل المروج
حولهما يسكب العطر والخمر والبركات
انه النيل عبر التواقيع احنى الجبين
لم يكن يتطلب هذا العناء ولا عودة المعجزات
هاهو الان مـــد نراعيه يستقبل الفاتحين
فاهبطوا مصر ..
وانتشـــــروا
وادخلوا شطه المستكين
ادخلوها ..
بســـــلام .. آمنـــين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

متلاقي ...

بقلم سليمان الشيخ

هدير القذائف ، وصوت الانفجارات لم يتوقفا لحظة واحدة .
اشلاء البشر والحيوانات والاشجار و « الزينكو » والحجارة تناثرت في كل زاوية ومكان .

الهلع والخوف سيطرا على الناس ، كل الناس في المخيم . صراخ وبكاء وعويل ونواح وشتائم ، وسكتات رعب ، جنون عدم تحمل .
الاطفال يصيحون ، « ماء .. خبز ، والكبـــار لا يملكون الا دمعات الحسرة ، او اطلاق كلام دون معنى ، او فقدان السيطرة على الزمام » !

قرر المقاتلون ان يموتوا وهم في متاريسهم التي غصت بالقتلى والجرحى .. وهدير القذائف لم يتوقف ، والحصار توالت ايامه واسابيعه .
« هداياكم لم تصل » « يا زلما » غاصوا بوحل المكاسب والامتيازات والركون للقرارات المكتبية السهلة .

« انسحبوا هذا هو القرار » .
قررنا المقاومة او الموت .. ولن نتراجع .. وسيل شتائم .. وقذائف عبارات جارحة ..

هكذا كان حال الاحاديث المتبادلة في اجهزة اللاسلكي .

انطلقت كالسهم بعد ان اوصلت زوجتي واطفالي الى الملجا الذي غص بالناس ، وبقيت جدتي في بقايا بيت « الزينكو » محاولا انقاذها واحضارها الى الملجا .

فحيح الطلقات كان يتوالى ، وازيزها المرعب كان يتلاحق كانها بيتا للدبابير تمت استثارته وتهييجه .

بدات « بالتلطي » والقفز بين الخرائب وخلف الجدران المتداعية ، جثث القطط والكلاب كانت تتجاور مع جثث البشر . وروائح نتنة قتالة عبقت جو المكان .

استعنت بالكوفية .. وتابعت قفزي الحذر المحفوف باخطار القنص والموت .

ذاكرتي توزعت على الايام الاخيرة المرعبة فتوقفت عند التشبث بارادة المقاومة التي سطرها ابناء شعبي بالرغم من اخطار الجوع والعطش والموت .

طلقات الرشاشات كانت ترد وتهاجم ، ويتدافع الشباب لتنفيذ العمليات أو سد بعض الثغرات ، او مواجهة اي هجوم مضاد ، او تصدر قوافل احضار الماء .. ويعودون بعد أن يختلط الدم بالماء ، ويحملون القتلى والجرحى الذين سقطوا .

استفيق من خواطري على صوت قذيفة اصابت الحائط المجاور .. فانبطح ارضا .

مسلح يركض وهو يتابع اطلاق نار رشاشه ، هواء قطط ، صياح وبكاء اطفال .. نباح كلاب تسمع من بعيد .. بعيد ! !

اتحسس جسدي وازيح الاتربة والحجارة التي تجمعت عليه وازحف.

بقايا البيت اصبحت على بعد امتار قليلة . ازيز الرصاص كان يتلاحق فوق جسدي ، كان القناص يرصدني جيدا على ما يبدو ، اتمهل .. لقد وعدتها .. وعلي ايفاء الوعد .

قالت قبل ان نغادر بيت « الزينكو » : « اذهبوا وليحميكم الله » « الاعمار بيد الله وكل نفس ذائقة الموت » واضافت : « ليحميكم الله ويحمي سلاحكم » .

ازت قذيفة جديدة فوق راسي ، فوضعت يدي فوق راسي وتوحدت مع الارض وحبست انفاسي ، انفجرت القذيفة في البيت القريب . فغطتني

الاتربة والحجارة التي تناثرت في جميع الجهات . احسست بخدر غريب يسري في يدي اليمنى ، انبثق الدم حارا .. فضغطت على الجرح بيدي اليسرى ، واستعنت بالكوفية .

استنفت الزحف .. ثم استجمعت كل قواي بعد ان تلفت الى الجهات الاربع وحاولت الوقوف كي ادلف الى بقايا البيت الا ان جسدي ارتطم بجسم اصدر فحيحا مكتوما ، فارتميت من جديد ، وجسدي يرتجف بكامله ، وخلت ان قلبي سيفر من بين ضلوعي .

بقيت منبطحا لعدة دقائق ، ثم عاودت الكرة مرة اخرى .. وفي اللحظة التي قررت فيها القفز نحو الداخل سمعت دويا صم اذني فتدحرجت ، وخلت انني فقدت السمع .. اوغلت في الغفوة .. تكاثفت الصور في ذهني .. وتشابكت ..

الذاكرة تهاجر الى النزوح الاول

معسكر « قطمون » كان يحتل ربوة عالية مشرفة على الطريق ، وسيل البشر وقطعان الماعز والاغنام والابقار يتوالى زحفهم وركضهم ، خوفا من الرصاص الذي كان يئز فوق الرؤوس بحثهم لقطع المسافة المتبقية بين الحدود الفلسطينية واللبنانية .

ARCHIVE

قرية رميش اللبنانية تلوح مشارفها كرؤالات وقت الغروب .

الرعاة لا زالوا يقذفون الحجارة والصفائح التنكية لحث القطيع على السير .

انحدرت مجموعة من العائلات نحو الحقول المحاذية للطريق الرئيسي واتجهت جنوبا نحو القرى الفلسطينية الشمالية فانصب الرصاص عليها مباشرة ، فلاذت تحتمي بالصخور الضخمة القريبة ، الا ان الرصاص لم يكف عن ملاحقتها وتصيدها .

اطفال ونساء ورجال عدهم التعب والخوف والجوع والترحال ، بعض النسوة حملن المخدات بدلا من اطفالهن ، وعندما تيقن مما يحملن اقمن المناحات ولم يترددن بالتوجه ثانية نحو القرى رغم الرصاص للبحث عن فلذات اكبادهن .

الاطفال بالرغم من صغر سنهم ركضوا .. تماما كالكبار ، وتدحرجوا على الدروب بين الحجارة والصخور والاشواك وازيز الرصاص .

تناولتني جدتي من بين الصبية وجعلت الحمـــار سائرا بقينـــي حمى دبابير الرصاص التي تئز بين الفينة والاخرى .

اتعب فتحملني ، تتعب هي ، فأسير ، الحمار يحرن فتشكمه من لجامه وتسوطه بالعصا والشتائم ولكمات الارجل والايدي .

والناس يتوزعون بين قطعان الماشية ، التفاتتهم واتجاههم الى الوراء كان يقابل برصاصة محكمة التصويب .

اصيح بجدتي : الا زالت المسافة بعيدة .. تعبت يا جدتي ؟

تهاطل مطر دموعها وقالت : ستصل .. عما قريب .

اصيح ثانية : اريد امي وابي !

فتجيب : سبقونا يا حبيبي .. سبقونا وتغص بدموعها .. فتنتقـــل العدوى الى ماقي

تلكأت ونظرت نحو المعسكر .. الرصـــاص لا زال يلمع ويدوي ... دوت رصاصة بقربي فغبت عن الوعي .

احسست بيد تشد على مكان ما بجسدي ، فصحت من الالم وسمعت همسا ووشوشة .

قال صوت هامس : لقـــد بـــدا يستعيد وعيه ، تحاملت على نفسي واوجاعي وحاولت التحرك وفتح عيني .

صوت امر قال : لا تتحرك .. حفنة الحصل قد تخرج من وريدك .

غامرت وفتحت عيني .. كانت نظراتها الحانية وزيها الفلسطيني المميز هو اول ما رايت .. فدبت الحياة بجسمي وتشجعت وحاولت فتح فمي لاتكلم .

الصوت الامر عاد يردد : لاتجهد نفسك .. لا تسال .. لا تتكلم ، وبقيت عيناي مسلطتين على وجه صلب حان تملاه ابتسامة عريضـــة .

---

* هذه القصة احدى قصص مجموعة « المهرة » التي ستصدر للكاتب عن دار الربيعان للنشر .

حوار مع

الروائي الدكتور نجيب الكيلاني

أجرى الحوار

محمود حنفي كسياب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في صباي تعرفت على نتاج الطبيب الاديب نجيب الكيلاني — قرات له روايته الواقعية (الطريق الطويل) .. ايامها كان مد الواقعية الاشتراكية يجرف كل من له باع في دنيا ادب الخمسينات .. ومرت السنون ودخل نجيب المعتقل ضمن جماعة الاخوان المسلمين الذي كان منتميا اليها .. وعندما انتهت سنوات الاعتقال سافر الى الخليج واستقر في دبي كمدير للثقافة الصحية واستمر في العطاء الفني والفكري .. ولم اطلع على شيء من نتاجه حتى عام ١٩٧٣ .. كنت قد اتخذت قرارا بالفرار من دنيا غير المتزوجين وكانت مشكلتي تتركز في البحث عن مسكن كي اتمكن من تكوين عائلة الوذ بها .. واثناء بحثي المستمر في مدينة طنطا التي اصبحت مكتظة بالسكان على طريقة الهند ، وجدتني عند اطرافها ، وامام احدى العمائر المتواضعة التي يجري انهاؤها .. سألت احد العمال عن صاحبها اخبرني انه الدكتور نجيب الكيلاني وانه ليس موجودا هنا وانما في الخليج وان الذي بيده الامر هو خاله .. ذهبت الى الرجل الذي رحب بي وان لم يعطني وعدا بالحصول على شقة وانما اخذ يتعلل بكثير من المعاذير مما جعلني ايأس من الحصول على الشقة الموعودة وبالتالي تأخر زواجي .. كان الرجل يخشى ان اشاكسه خاصة عندما علم انني من المشتغلين بالقانون وحرفة الادب !!



وفي ليلة من الليالي جلست متعبا من البحث ـــ خاصة وقد كنت اجوب المدينة الكبيرة سيرا على الاقدام ـــ وسألت نفسي : لماذا لا ارسل خطابا الى الدكتور نجيب اسأله ان يؤجر لي شقة في عمارته . . انه اديب ويعرف حاجة الاديب الى الاستقرار وهو قبل كل شيء انسان ومناضل وما سنوات السجن والتعذيب التي قضاها . . ما كانت الا من اجل الناس الذي ينتمي اليهم وهو بالطبع لن يكون مستغلا كباقي ملاك العمارات في البلد ، وكان ، ووصل رده الى خاله بان يمنحني الشقة التي اختارها . . ووقعت العقد يومها وتسلمتها ، وتزوجت وسافرت وانجبت ولم التق بنجيب . . ومرت سنوات . .

ولقد كان يحزنني انني لم اتوفر على دراسة نتاج هذا الكاتب الممتاز حيث كنت في شغل عنه بدراسة نتاج الادباء الجدد في مصر فضلا عن ضيق مجالات النشر امامي . . اضف الى ذلك الحرج الذي كنت احسه من انني اكتب عنه مجاملة لانني احد الذين يؤجرون شقة في ملكه . . ولكني اخيرا تغلبت على هذا الحرج وبدات في دراسة نتاجه كله . . وكان هذا الحوار مقدمة لتلك الدراسة التي ادعو الله ان انهيها قريبا . .

● **لا ادري متى سمعت هذه العبارة على وجه التحديد ـــ من المؤكد انني**

لست قائلهـا : « الحياة سلسلة متصـلة من التنازلات » .. وانت ككاتب اخترت الاقصوصة والرواية لايصال وجهة نظرك في الحياة والناس الـى القارىء .. هل تعتقد ان الانسان في روايتك يتنازل بداءة ام نهاية ؟

(كان المنزل يغص بالزائرين والمهنئين بسلامـة الوصـول .. فنجيب الكيلاني ابن بار بقريته شرشابة تلك القرية الوادعة الناعسة في احضان النيل .. وكان من الصعب ان يغادرهم نجيب بفكره ويلتفت الي الا انه في النهاية نجح وكان ذلك بحكم ان الجلوس لم يكونوا على معرفة بي فضلا عن تقديرهم لمكانة نجيب واهمية ما سوف نتحدث فيه فغادرونا .. قبلها بيومين اتيت لاجراء الحديث ولكنه كان مشغولا شغله الاب الذي سيزوج احـدى بناته .. وكان اهل العريس (طبيب ايضا) حاضرين ، دفعوا المهر والشبكة في حضوري ، واستدعى ذلك المنظر الذكريات لديـه ولدي ، السنون تمر مسرعة وها هو نجيب الكيلاني على اعتاب ان يصبح جدا .. واعتدل فـي جلسته ..)

القضية ليست قضية تنازلات او اصرار على مواقف معينة وانما التجارب هي التي تحدد مسار الانسان في الحياة وتغيير وجهة نظره او بمعنى اخر اتخاذ موقف . والانسان في بداية حياته لم يولد كامـل النضـج ، وطبيعة الانسان التغير والتطور فقد يرى موقفا من مواقفه على شيء من الخطأ فيتخذ موقفا جديدا او يعدل فيه .. اما التنازلات فهي انهزامية بلا شك .. ففـي روايتي (الطريق الطويل) وهي اول رواية لي ، وهي تغطي قطاعا عرضيا لمصر في ايام الحرب العالمية الثانية وواضح من انه قطاع عرضي انه يتناول قضايا اجتماعية وسياسية وعاطفية وطبيعي اثر الحرب والاستعمار على مجتمعنا بصفة خاصة ومعاناة الطبقات في هذه الفترة الحرجة فرغم الشقاء كانت هذه الطبقات تصبر وتكافح وتعلم اولادها وتتحمل المسؤوليات حتى تغير وجه الحياة في مصر لان الرواية امتدت الى قيام الثورة وحرب ١٩٥٦ ، فالاطفال الذين كانوا يعالجون من البلهارسيا في اوائل الرواية وايام غارات هتلر اصبحوا في نهايتها مثقفين وضباطـا ، واصبـح لهم دورا في الحياة السياسية (العامة) وكانت (بسيمة) تجسم مأساة مصر . وقس على ذلك رواية (في الظلام) وعدد من القصص القصيرة وطبيعة الحال تصوري ان معالجة مثل هذه القضايا التي تمس الفرد والمجتمع من صميم العمل الاسلامي وعندما كتبت في الروايات التاريخية مثل (راس الشيطان) وهي رواية عن محنة الدستور عام ١٩٣٥ وفساد الاجهزة الحاكمة وهي قد تناولت جانبا من النظام الذي تناولته في (الطريق الطويل) ومعنى هذا ان التنازلات ليست كما تقولها انت وانما هي تعبير عن الانسان في صعوده وهبوطه بفعـل التغيرات والمؤثرات .

● لا تنفصل حياة الروائي عن شخوصـــه التي يبدعهـــا في قصصه او رواياته اود ان تحكي لي باختصار ولكن بملامح محددة نتفا من حياتك وحياة تلك الشخصيات التي تمثلتها في رواياتك على ان تكون الحكاية بدءا من :
١ ــ المنبت ــ ٢ ــ الثقافة ــ ٣ ــ التدين ــ٤ ــ الجنس ــ ٥ ــ المعتنق السياسي ــ ٦ ــ مصر .
(ونظر الي يتفحص الذي سيجود بكل ما بداخله ، كان السؤال شاملا لمراحل حياتية كاملة فضلا عن بعض الشخصية فيه .. ولكنه ابتسم ابتسامة الواثق وقال :)

رواية مثل (الذين يحترقون) تصور حياة طبيب في قرية ، هذا الطبيب له مثل ومبادىء يريد ان يطبقها مع الفلاحين ، ويؤدي رسالته في القرية التي نشأ وعاش وتربى فيها فيصطدم بزميل له يعتقد انه لكي يؤدي خدمة لابد ان يأخذ ثمنها ، وانه ما جاء ليعيش وسط الذباب والبعوض لكي يعيش على مرتبه .. ويحدث الصراع (بيني) وبينه ويعاني الطبيب المثالي من عديد من المشاكل منها : جمود المفاهيم الادارية ، وتقاليد المجتمع الفاسدة والاضطهاد والتشريد ، وهذه فيها الكثير من تجربتي الشخصية كطبيب في الريف .. هناك كثير من الروايات والقصص التي تتعرض لحيـــاة السجن والسجناء وكنت قد عبرت عن نفسي في كثير من المواقف وتحت ستار كثير من الشخصيات والمواقف التي اخترعتها ايضا هنـــاك كثير من الافكار التي اؤمن بها كنت اضعها على لسان الشخصيات وحياتهم وسلوكهم ان انتاج الاديب لا يمكن فصله عن حياته ومعتقداته .

ان ثقافتي تتكون من رافدين : ١ ــ الثقافة المدرسية التي تمتد من المرحلة الابتدائية حتى نيلي بكالوريوس الطب ٢ ــ الثقافة الاسلامية وخاصة كتب التراث والتفسير واللغة والفلسفة وايضا الثقافة الانسانية التي تشمل الكثير من انتاج المفكرين في الشرق والغرب وقد استفدت كثيرا من الاشكال الفنية التي اطلعت عليها بحكم اهتمامي بالابداع الروائي وبالنسبة لافكار هؤلاء كنت اضعها في ضوء تصوراتي ومعتقداتي وانتقي منها ما اراه مناسبا لما اؤمن به وطبعا يشمل هؤلاء اساتذتنا في مصر كطه حسين والعقاد وغيرهم من الرواد

يجب ان يكون واضحا ان مفهوم التدين لدي ليس تعصبا اعمى او جمودا على افكار بعينها وانما هذا التدين يشمل بالدرجة الاولى الفكر والسلوك مع تقبل اراء الاخرين ، حتى الملحدين منهم بصدر رحب ، واستعداد للمناقشة فالتفهم الانساني ينبغي ان يظل سائدا وذلك تطبيقا للاية الكريمة : (ادع الى سبيل ربك .. ولا اكراه في الدين ..) ، وقد حرصت على ايجـــاد النموذج المتدين المنفتح والمتدين المنغلق في رواياتي .. الاول منتشر بطول وعرض نتاجي كله والثاني قليل .. لانني اومن بان هناك مبالغة في تصوير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصيات المتزمتة وخاصة من اولئك الكتاب الذين يتخذون موقفا معاديا للدين .. وهم بذلك لا يريدون الاساءة الى اشخاص او افرادبقدر ما يريدون ضرب الفكر الديني ، واعتقادي القوي بان الخصام بين الدين والفن لا وجود له في حضارتنا الاسلامية وانما هو مشكلة مصطنعة استوردت من التراث الغربي وخاصة في ايام الثورة الفرنسية عندما جرى الصدام بين الكنيسة والسلطة المدنية التي نادت (اشنقوا اخر ملك بامعـــاء اخر قسيس) .. وربما كان لهم العذر في ذلك للموقف المتعنت الذي وقفته الكنيسة هنـــاك تجاه المكتشفات العلمية الحديثة ولمساعدتهم للحكام الطغاة .. اما عندنا في الاسلام فقد كان التفهم سائدا بين العلم والدين والفن وكانت قصور الحكام والخلفاء تذخر بالشعراء والعلماء والفنانين ورجال الطب والفلك والفيزيـــاء والمترجمين ، وكانت مدرسة العلم الاسلامي قائمة على التجربة ، وللاسف الشديد فان الكثير من كتابنا قد ساروا في ركاب كتاب الغرب فاوجدوا في رواياتهم شخصيات دينية تدعو الى النفـــور والاشمئزاز حيث لا كهانة في الاسلام ، ولا رهبانية ، ولا احتكار لعلوم الدين ، ولعلك تذكر ان العلامة محمد فريـــد وجدي كان مجردا من الشهادات المدرسية وكتب في التفسير والفلسفة والعلم فليس هناك مؤسسات دينية تحتكر الاسلام ، فلا وسيـــط بين العبد وربه لذلك كان تديني طبيعيا نشأ من الشعب الذي انتمي اليه وهو متدين بالفطرة والاسلام هو دين الفطرة .

لي كتاب بعنوان (الاسلام والمذاهب الادبية) حاولت فيه ان اضع بعض الملامح لمذهب ادبي اسلامي وقارنته بغيره من المذاهب الادبية الاخرى كالواقعية والوجودية والعلمية والرومانسية وقد تعرضت لمشكلة الجنس في هذا الكتاب واعتبرتها امرا طبيعيـــا في الحياة فضـــلا عن انه اساسي ، واستشهدت بقصة يوسف عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم ، كما استشهدت بكتب التراث الكثيرة التي تعرضت للجنس واحاديث الرســـول عليه السلام وكل ما يتعلق بهذا الموضوع ووصلت في النهاية الى ان الكاتب المسلم يستطيع ان يخوض في الجنس دونما حرج على ان يكون ذلكبشرطين ١ ـــ عدم الاسراف حتى لا يؤدي الى الاثارة ٢ ـــ حصر الانحراف الجنسي في الشخصيات المضادة للشخصية الاسلامية .. واعتقد ان ذلك واضح في روايتي (قاتل حمزة) وروايـــة (ليالي تركستان) و (عمالقـــة الشمال) و (اليوم الموعود) وغيرها من الروايات ، ومعنى ذلك ان الجنس شيء حيوي للانسان ولكن في اطار الشرعية التي قررها الله سبحانه وتعالى وقد كنت اقصد من تصوير الشخصيات الشاذة هو التعبير وليس الترغيب .. وقد اعترض بعض النقاد الاسلاميين على بعض ما ورد في هذه الروايـــات فيما يتعلق بهذا الموضوع واعتبروه زائدا عن الحد المطلوب .

لقد بدات الاهتمام بالسياسة في مرحلة مثيرة من حياتي (مرحلة الدراسة الثانوية) وكان لذلك اسباب كثيرة منها : ان الاستعمار كان يجثم على صدر مصر والعرب والعالم الاسلامي ومنها ـ ايضا ـ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ وكان ذلك شيئا طبيعيا بالنسبة لعامة الشعب ـ وقد تنوعت المسائل السياسية في هذه الفترة فهناك الاحزاب والاتجاهات اليمينية واليسارية ـ وكانت نغمة الجهاد المقدس اعلى الاصوات في هذه الفترة وخاصة عندما تقدمت الصفوف في حرب الاستعمار والصهيونية ولقد انحزت الى هذاالتيار الجارف وحدثت تطورات كثيرة بعد هذه الفترة لا تغيب عليك .. ومن خلال هذا الانحياز تشكل فكري السياسي الذي لا يخرج عن الحلول الاسلامية لمشاكل المجتمع وقد انعكس ذلك في رواياتي بشكل واضح ولقد كنت حريصا في كتاباتي وبعدت عن السطحية السائدة فيالكتابات الاسلامية، وانما حاولت ان ابرز قيم الحضارة الاسلامية من خلال الشخصيات والمواقف التيتعرض لها .. ومن اسوأ ما كتب في هذا المجال روايات (جورجي زيدان) فقد كان اعتماد ذلك الرجل في رواياته على احداث غريبة ضعيفة من ناحية الخبر التاريخي وفي نفس الوقت كان يعزو الانتصارات الباهرة للمسلمين الى نوع من الصدفة والمؤمرات الدنيئة احيانا . وتشعر في رواياته انها تقوم على تصرفات الاماء والجواسيس والغواني ، بل في بعض الاحيان كان يشعر الانسان بغير قليل من النفور من بعض المواقف التي يقتتل فيها الاخوة على السلطان ويسفكون دماءهم ويدوسون اغلى القيم الاسلامية من اجل الوصول الى السلطة وليس هذا من الاسلام في شيء .. وقد كتبت مقدمة بهذاالمعنى في روايتي (قدر الله) وصدق ظني فقد انحسر توزيع روايات (جورجي زيدان) في السنوات العشر الاخيرة .. وفي « قاتل حمزة » تطبيق لما ذكرته لك منذ قليل فالفنان المسلم ـ كما يقولون ـ هو الذي ينظر الى الكون والحياة والناس من خلال تصور اسلامي ..

ان خير شاهد على ذلك ـ فيما يتعلق بمصر ـ هو ما اكتبه فهي تريض بخيالي ، وهي جزء من كياني او بالاحرى هي كياني كله وحب الوطن من الايمان ، ومصر التي في خيالي هي مصر المكافحة المؤمنة الصابرة التي تعطي الكثير لاهلها ولغير اهلها دونما من .. ويكفي اننا نبتنا في تربتها ، ومما يدعو الى الفخر انها ما زالت مركز الاشعاع للفكر الاسلامي والعربي في هذه المنطقة الكبيرة من العالم ـ ولقد كانت دائما الحارسة . عبر القرون الطويلة ـ لتراث الاسلام والعروبة في وجه التتار والصليبيين والصهيونية والاستعمار الحديث .

● **الانسان الحديث تؤرقه اشياء عديدة : منها الحلم بتجاوز الماضي والاتي احيانا يود هذا الانسان العيش طيلة الوقت في المستقبل ، والرواني**

وهو — في رايي — ذلك الانسان الذي يخلق حياة كاملة ..

ما موقفك من المستقبل ؟ وهل اذا ما ووجهت بشخصية تود الانفلات من كل شيء يربطها بالماضي والاتي تطاوعها ؟ اود ان توضح لي اهمية المستقبل في كتاباتك ؟

(.. كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحا واثناء حديثنا انطلق المدفع مؤذنا بالسحور كان الوقت قد مر دون ان ندري وليالي رمضان ساحرة ملأى بالاشجان وذكريات الطفولة فما بالك والحوار متصل مع روائي يقدم لك تجربته كاملة .. وبدا ان الارهاق قد استبد بنجيب الكيلاني .. وبعد ان استمع الى السؤال وطلب اعادته .. قال : محمود يا كسلب انا مرهق جدا واسئلتك تحتاج الى طاقة وتركيز واحسبني في حاجة الى الراحة قبل ان اتناول سحوري فابق معنا نتسحر وبعد ذلك نحدد موعدا اخر لتكملة الحوار .. ولكني اعتذرت واستأذنت على امل اللقاء بعد يومين .. كان الموعد في السابع والعشرين من رمضان ١٣٩٩ هـ .. وعدت في الموعد ولكني لم اجده كانت شرشابة (القرية) قد استولت عليه اليومين السابقين وكما ذكرت فنجيب ابن بار بقريته وباهله على وجه الخصوص .. كل من يحتاج الى المساعدة المادية او المعنوية يذهب لنجيب او يرسل له وهو لا يتوانى عن مد يد المساعدة لكل من يطلبها .. انها انسانية الفنان المسلم الذي يطلب وجه الله ومثوبته .. وعدت بعد يومين اخرين في التاسع والعشرين من رمضان ووجدته وعاتبته .. كان مشغولا بالاعداد لحفل قران ابنته الوحيدة .. كان هناك اعضاء الفرقة الموسيقية المكونة من طلبة جامعة طنطا ، سيحيون الحفل وكان سعيدا بذلك ومعجبا بان الشباب اخيرا يتجه الى افاق جديدة في الحياة وانهم لم يعودوا يخجلون من احياء الافراح .. واشترط نجيب ان يسود الوقار الحفل وان الذي ينبعث من الالات موسيقى رقيقة خفيفة لان الحفل سيقتصر على اهل العروسين وغالبيتهم من فلاحي شرشابة .. واجاب :)

في رايي ان الكاتب المسلم يحلم دائما بمستقبل افضل والكاتب المسلم يرى الكثير من الاثام التي تثقل الماضي بالالام التي تعوق حركة الحاضر ومن ثم فهو يدعو الى حياة نظيفة ترفرف عليها اعلام الحق والحرية .. ولقد كنت دائما — في كتاباتي — اتوجه الى ذلك المستقبل .. وكنت اشعر دائما انني مسؤول امام الله — اولا — عن كل كلمة وهل يكب الناس على وجوههم في النار الا حصائد السنتهم ، فالمسلم مسؤول عن قوله وعمله ، لكن المشكلة الكبرى ان الادباء المتحمسين للفكر الاسلامي والفن الاسلامي لا يتخذون الادوات المعاصرة المناسبة التي تحمل كلماتهم الى الناس فما اكثر كتاب القصة الذين يتجاهلون القواعد القصصية ويملأون كتاباتهم بالمواعظ

والعبارات الرنانة والنغمات الخطابية فتتحول القصة بين ايديهم الى خطبة او مقالة حماسية وهكذا تضيع مواصفات الفن بين ايديهم ، فلا يتقبلهـــا القارىء بالحماس الواجب .. فاذا اردنا ادبا اسلاميا فامامنا رحلة طويلة من الدراسة والتعلم والتجربة حتى يصبح ما ننتجه فنا ، فالمضمون الاسلامي موجود ولكن القضية هي مشكلة الشكل الفني والمحافظة عليه واذا كنا نشكو من طوفان القصص المغرقة في الجنس والمغامرات فاننا في كثير من الاحيان نعجز عن تقديم البديل الذي يملأ الفراغ .. امـــا الشخصيات التي تـــود الانفلات فلقد كان وما يزال يلح علي كفنان مشكلة الحرية في عالمنا الاسلامي كله .. ففي ظل الحرية ـــ وهذا ما يكفله الاسلام للمفكر والفنان ـــ تترعرع كل القيم النبيلة ويبدع الفنان ويظهر المواهب ولقد حرصت عبر نتاجي كله ان اؤكد على هذه القيمة دائما وكنت اتعاطف مع تلك الشخصيات التي تخرج مني حالمة بمستقبل افضل للمسلمين ولبني البشر اجمعين .. ففي رايي ان المسلم ـــ وانا اكتب دائما عن المسلمين ولهم ـــ لابد لاكتمال اسلامه ان يؤمن بجميع الانبياء والرسل والكتب المنزلة ومن ثم لا مجال في كتاباتي لشخصيات تنكر هـــذا .

●منذ البدايات الاولى للانسان على هذه الارض كانت الحرب هي وسيلته لانهاء النزاعات ولعل اكبر مآسي البشرية كانت في الحربين الاولى والثانية حيث لقي عشرات الملايين من الناس حتفهم سواء في صفوف المحاربين او المدنيين .. ولكن ما تزال الشعوب في حاجة الى شن الحروب لاستخلاص حقوقها والحفاظ عليها .. هذا يستدعي الاستفهام منك ـــ ككاتب ـــ يشتم من كتاباته الانحياز ناحية العدل ..

ما هو موقفك من الحرب ؟

لقد تطور مفهوم الحرب في عصرنا الحديث ولم تعد الحروب قاصرة على سفك الدماء وتدمير المنشآت . .فهناك الحروب الدبلوماسية وهناك المعارك الاقتصادية وهناك المعارك الفكرية وهناك الحرب الخفية التي تشنها اجهزة المخابرات العالمية لتغيير النظم والمعتقدات لقد اصبحت الحرب اخبث واعقد مما مضى بكثير .. ولا شك ان الحرب شر وليست هناك حروب عادلة في عصرنا الحديث الا حروب التحرير او بمعنى اصطلاحي اسلامي (الجهـــاد المقدس) فان لكل شعب ان يعيش حرا في ارضه وفي اختيار المذهب الذي يرتضيه ، ولقد كان الاسلام حريصا على ان يرفع شعار (لا اكراه في الدين) واذكر ان احد القادة المسلمين في العصـــور الاولى اقتحم مدينـــة من المدن واحتلها فشكى اهلها الى الخليفة وقالوا : ان قائده لم يعرض عليهم الاسلام ولا مطالبه الاخرى وعلى الفور اصدر الخليفة الامر لقائده بالانسحاب من المدينة الى خارج حدودها كي يبدأ من جديد .. النظام الاسلامي في فتح البلاد

هدفه الاساسي كان تحرير الناس من طغيان الحكام وفتح الطريق امامهمكي يختاروا دون ضغط او اكراه ولا شك ان مصالح الدول اصبحت متشابكة فهناك مشكلة الطاقة وهناك مصالح الدول الكبرى التجارية والاستراتيجية وهناك الصراعات بين القوى الكبرى في العالم .. وهذه هي المبررات التي تشعل الحروب المحلية او المحـــدودة في بعض المناطق .. لكن هـــل هذه الاعتبارات كلها تنفي حق الشعوب في ان تعيش حرة وان تختار طريقهاكيفما شاءت .. من هذا المنطلق تراني في رواياتي اعادي الاستعمار واعادي القوى الكبرى وارى في كتاباتي ان الهدف الاسمى لحياة الانسان وقيمـــه العليا هي الميزان الذي يجب ان تزن به العلاقات الفردية والعلاقات الدولية قد يكون هذا حلما ولكنه يستحق السعي والجهاد من اجل الوصول اليـــه والمؤمن لا يعرف اليأس ولا يقبل الامر الواقع اذا اختلط بالمفاسد والمظالم والمنافع ورحم الله امير الشعراء حين قال :

الحـــرب في حـــق لديـــك شـــريعـــة
ومـــن الســـمـــوم الناقعـــات دواء

ولقد كان للحرب في الاسلام اداب لا بد ان يلتزم بها المجاهدون ويحاسبون عليها اذا تخطوها فلا يصح قتل المراة ولا الشيخ ولا الطفل كما انه لا يجوز حرق المزروعات والمنافع العامة والتاريخ الاسلامي زاخر بالنماذج والامثلة التي تؤكد هذه المعاني كلها ويكفي ان نقرا كتب الخلفاء لقادتهم اثناء المعارك

● **انا مع هؤلاء الذين يعتقدون ان لكل امة تراثها الذي تنفرد بالتفوقفيه وامتنا العربية اختصت بالشعر واتقنت ـ الى حد ما ـ القصة والرواية وهما من الفنون التي تفوقت فيهما الحضارة الغربية ومن ثم فنحن حينكتب القصة والرواية لا بد وان تكون النماذج الغربية امامنا وبالتالي تحكمناعوامل تطورها واذا كان لنا ان نبدع فان من واجبنا اضفاء طابعنا على هذا الفن .**

ما هو مدى ايمانك بصحة ما سبق ذكره ؟

فيما يتعلق بالجزء الاول من السؤال فانا اعتقـــد ان امتنا الاسلامية لم تتفوق في الشعر وحده وانما تفوقت في العلم ايضا وانت تعرف ان الجامعات الاوروبية ابان النهضة عاشت لقرون تدرس تراثنـــا في الطب والرياضـــة والفيزياء والكيمياء وغيرها وهذا بشهادة المؤرخين الغربيين ، كذلك فان تراثنا عامر بالتفوق الفلسفي والفقهي والتاريخي وفي تراثنا ايضا تجارب غير ناضجة (اذا ما قيستبالمقاييس الحديثة) في القصة ولعلك تذكر الجاحظ والمقامات وقصص الوعاظ والف ليلة وليلة ..

والواقع ان القضية هي قضية الشكل بالدرجة الاولى وقد استعرنا من الغرب الكثير في حياتنا استعرنا السيارة والتليفون والملابس ومناهج البحث الحديثة فلا عيب اطلاقا ان نستعير من الاشكال الفنية التي تطورت على

ايديهم وبلغت مرحلة رائعة من التفوق والازدهار وواجبنا كما قلت ـــ ان نضفي على تلك الاشكال شيئا من طابعنا وذوقنا الخاص وهذا ما يحدث في كل انحاء العالم فهناك مذاق للادب الصيني والروسي والياباني والهنـــدي والافريقي ، وكلهم استفادوا من الاشكال الفنية المستحدثة .. انا شخصيا تأثرت كثيرا باساليبديستوفيسكي وتولستويوتشيكوف وجوركي واسكندر ديماس واميل زولا والحكيم ونجيب محفوظ وطه حسين وغيرهم ولقد كان اغلبهم مترجما وقليل منهم قراته بالانجليزية !

● بماذا تفسرفوز العديد من رواياتك وكتبكبجوائز وزارة التربيةوالتعليم ـــ هل لانها كانت تساير المطروح آنذاك في الخمسينات ؟

ـــ هل للقيم التربوية التي تضمنتها ؟

ـــ ام لانك تعرف من اين تؤكل الكتف ؟

يبدو ان السؤال قد اثاره فلقد اندفـــع الدم الى وجهـــه فاصبح مشوبا بالحمرة .. وكنت قد تعمدت في الاسئلة ان اضمنها الكثير من الاستفزاز لانني اود ان اقدم للقارىء جوانيات كاتب مرموق له موقف محدد من الحياة والفن .. ولكن يبدو ان حياة السجن والاعتقال والمطاردة قد دربته على امثال هذه المواقف فاستعاد هدوءه وابتسم ابتسامة الواثق واستعدللاجابة .. في هذه الاثناء دخلت علينا السيدة حرمه مستاذنة كي تتحدث اليه فيامر من امور حفلة عقد القران وبعد ان انتهت التفتت الي قائلة : لا تنسى ان وراء كل عظيم امراة .. لقد تعلمت الدق على الالة الكاتبة من اجل نجيب .. فانا التي انسخ رواياته وانا التي تعد له الجو الملائم للابداع .. كانتكلماتها بمثابة انقاذ لي من الحرج الذي احسست به بعدما القيت سؤالي واصبح الجو عائليا مرة اخرى .. قال نجيب :

انا لم افز بجوائز وزارة التربية والتعليم وحدها وانما فزت ايضا بجائزة نادي القصة الاولى والميدالية الذهبية المهداة من الدكتور طه حسينوجائزة مجمع اللغة العربية وجائزة المجلس الاعلى للفنون والاداب .. وهكـــذا ترى انني لم ادخل مسابقة من المسابقات المتنوعة الا وفزت فيها فضلا عن ان بعض هذه الكتب قد ترجمت الى لغات اجنبية وهذه لا تفكر في نوع الجائزة التي يفوز بها الكاتب ولقد كنت في بداية حياتي افكر : كيف اخطو الىالمجتمع الادبي دون ان استند على ذراع احد ؟ وانت تعلم ان الناشرين لا يجراون على نشر كتب الناشئين وهكذا لم يكن امامي من وسيلة سوى ان ادخل من باب المسابقات وهو باب شريف لا يحتاج لوساطة احد او انتمـــاء ما .. تستطيع ان تقول انني كنت احسن اختيار الموضوع وعرضـــه بالاسلوب اللائق ولا شك ان اية مسابقـــة لها مقاييسها الفنية والموضوعيـــة وعندما تستعرض اسماء الحكام في هذه المسابقات سوف ترى انهم من كبار الادباء

الذين يهتمون بالقيمة الفنية اهتماما كبيرا .. اذكر منهم طه حسين ويحيى حقي ومحمد عبد الحليم عبد الله والشرقاوي ويوسف السباعي والعقاد وتوفيق الحكيم وغيرهم .

وفيما يتعلق بالكتب التي فازت بجائزة وزارة التربية والتعليم فانا ككاتب مسلم احرص على القيم التربوية والانسانية عامة وليس معنى هذا ان هذه القيم وحدها هي التي اهلت مؤلفاتي للفوز بدليل انه عندما يقرر كتاب من هذه الكتب على الطلبة كانت اللجان المختصة تحذف منها بعض الفقرات واحيانا بعض الصفحات وخاصة تلك التي تتعلق بوصف المواطف وهذا مشروع في نظري .

● في ثبت مؤلفاتك رواية بعنوان (طلائع الفجر) وهي تكملة لرواية الزعيم عبد الناصر (في سبيل الحرية) .. انت كنت ايامها عضوا في جماعة الاخوان المسلمين وسجينا وهي ـ اي الجماعة ـ كانت على خلاف معه انتهى بالاجهاز على الكثير من قادتها ..

بماذا تفسر تكملتك لتلك الرواية .. الا يعد ذلك منك موافقة على الخط الناصري ؟

القصة المذكورة ما هو موضوعها ؟ موضوعها حملة فريزر الانجليزي على رشيد والقصة تصور كفاح الشعب المصري وبطولته في تلك المعركة الى ان طرد الغزاة فليس للرئيس عبد الناصر فيها الا اختيار الموضوع والموضوع ملك الجميع كجزء من التاريخ والخلافات الشخصية لا تمنع مثل تلك الامور فلم اكتب الرواية مثلا ثناء او نفاقا للرئيس عبد الناصر وانما كان الثناء على دور الشعب في نضاله عام ١٨٠٧ ميلادية وهو تاريخ لم يكن الرئيس قد ولد فيه .. وفيما يتعلق برايي فيما انجزه الرئيس عبد الناصر فان احكامي كانت جزئية بمعنى انه عندما امممت القناة مثلا كنت متحمسا لذلك وعندما نكل باصحاب الراي كنت معترضا على ذلك ، ودفعت الثمن فادحا .. فالمفروض ان القلم الذي يحترم نفسه يجب ان يكون منصفا في احكامه مهما بلغت الخصومة الشخصية .. ولقد كانت مؤلفاتي ـ طوال حكم عبد الناصر ـ تدرس في المدارس حتى في اوقات اعتقالي وكان ابناؤه يدرسون فيها فصولا عن الوطنية وكفاح الشعب كغيرهم من ابناء شعبنا وهذا ما قالته لي زوجتي في احدى مقابلاتها له اذ قالت له : كيف تعتقلون رجلا تدرس كتبه في المدارس ليتعلم منها الشباب الوطنية والاخلاص ؟ !

● ماذا يعني نجيب محفوظ بالنسبة لك على مستوى الفن ؟

انني اعتبر نجيب محفوظ احد اساتذتي الكبار في فن القصة وان كنت اختلف معه احيانا في مضمون اعماله وفلسفته فهو كاتب مقتدر يعرف كيف يمسك بشخصياته وعناصر فنه المختلفة وتطور الاحداث في عمله الفني

والوصول الى نقطة النهاية في براعة وتكامل واتقان . . وقد استفدت كثيرا من حواره المتدفق وغوصه في اعماق النفس البشرية وتصويره للعلاقات التي تحكم الافراد والمجتمع ولقد كنت حريصا دائما على الالتقاء به وخاصةفي الاوبرا والحرافيش والاماكن الاخرى التي كنا نجلس فيها ولقد كانت وما زالت تربطني به علاقة طيبة .

● **انت كمفكر مسلم ما هو رايك في الاشتراكية والماركسية بوجه عام ؟ !**

الاسلامية في تصوري (وهو حقيقة) منهج في الفكر والسلوك وقد التزمت بها عن وعي وبصيرة ومعنى ذلك انني قرات الماركسية والاشتراكية وغيرها من المذاهب الاقتصادية والفكرية في العالم والاشتراكية العلمية (الماركسية) ضد الدين وانا بالطبع ضدها لان فرضياتها تختلف تماما عن الحقائق التي اؤمن بها ففي حين تدعي الماركسية ان التاريخ تحركه عوامل الصراع بين من يملكون ومن لايملكون يقدم الاسلام الحل في التعايش بين الفئتين دونما حقد او صراع بفرضه على الذين يملكون واجبات انصاف من لا يملكون حتى يعيش الجميع في عالم تسوده الحرية والاخاء والمساواة ولم يعد من المقبول في عصرنا ان تقتنع بان عاملا واحدا يحرك التاريخ فهناك العوامل الثقافية والدينية والزعامات الفردية ولا تنسى قدرة الله سبحانـــه وتعالى فان له الامر من قبل ومن بعد .

● **هل تعتقد ان بامكان مجتمعاتنا العربية المسلمة الانضواء تحت راية نظام كنظام خميني ؟**

انا اعتقد ان المجتمعات العربية تستطيع الانضواء تحت نظام اسلامي بعيد عن الخلافات المذهبية . . فالاسلام في صفائه وشموليته هو التجربة الحية والشاهد الاكيد في تاريخنا على صدقما اقول وتجربة الخميني لمتتضح ابعادها بعد فلم يوضع بعد الدستور الذي سيحكم به وهل سيكون لوجهة النظر الشيعية تاثير عليه ؟

القضية ـــ في رايي ـــ قضية اسلام واذا كان هناك تصـــور خاص لدى الخميني يناسب مجتمع الشيعة المسلم فهذا من حقه اما التصور الذي اومن به فهو ما وردت مبادئه في كتاب الله وسنة رسوله وهذه وجدت قبل انتوجد المذاهب واليها المرجع والمآب فان عاد اليها الخميني في تجربته التي لمتكتمل بعد فيها ونعمت . . وقصارى القول انه من الافضل التاني في اصدار حكم بخصوص هذه القضية الهامةوعلينا كمسلمين ان نشجع الاتجاهاتالاسلامية السليمة في رسم صورة المجتمع الجديد .

محمود حنفي كساب
طنطا ـــ مصر

بيدها..

لابد

عمرو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر
أحمد سويلم

حمل الحب على مركبة الالهة زمانا
وزمانا خبىء بين جدار ..
(خشية ان يذبح في ساحة فرعون)
حين انطلق النهر الى بابى
جاءوا من اطراف مدينتنا في طلب الماء ..
حملوا في ايديهم .. ايديهم ..
حملوا ادمغة جوفاء .. واذانا جوفاء ... وافواها ..
حملوا كل اوانيهم .. في طلب الماء
ورائك جئت .. بغير اناء ..



احلامنا كالريح
تهب اعصارا
والحب طير ذبيح
من يخمد النارا
من لي بقلب مليح
يضيء اقمـــارا
وجهك عاد ... صمته الثلجي اسقط ابتسامتي ..
حملته مدينة منسية .. باقة عطر جف ماؤها ..
وجهك عاد .. كم ظللت في ترقبي : مسافرا .. مسافرا
ظللت حاملا اليه حلمه القديم .. عابرا اليه زمن البكاء والسقوط والندامة
ادور في الفراغ دورة .. فدورتين ..
ثم اعاود السفر ..
احذر نظرتي الا ىالوراء ـــ اذ يضيع من يدي كل شيء ـــ
ـــ وجهك عاد الليل .. والخسوف .. والهوامش التي نسيت ، والتي
طويت ، والتي انتظرت الف عام ..
فكيف لي ـــ اذا اجتررت ـــ استعيد الوجه ..

كيف استعيد العرس في عينيك .. والعناق ..
الصوت الاخر :
(خطب يسير .. بين خطب كبير ..)
لا تامن النسوة .. في التدبير
انا قصير .. ثاقب رايه ..
دعني لها ... فالامر عندي يسير ..

.....

(وكان عمرو بن عدى قد حزم امره على الثار من الزباء .. واعد عدته ان يكسر شوكتها ..)

.....

وياتي القضاة .. وياتي الرواة .. واسمع .. اسمع .. يختلفون .. ويختلفون .. اقضي المجالس في اخر الليل .. لا راي يشفي لدي .. ولا شعر .. لا قافية ..
من الان والامر عندي كبير ..!
جدعتك يا انف هذا الزمان العتي .. حملتك في غمد سيفي التمائم والاحجبة
اقارع باسمك .. اطلب في ليلك المستحيل .. اطالب بالنجم يهوى الي ..
اطالب بالحلم يقبل ذعرا .. اطالب بالثار من كل ما حملته البطون .. اقارع باسمك كل الصقور .. وكل النياشين .. كل النبوءات .. كل النساء ..
اقامر باسمك بالحب :
(اني عشقت الرحيل مع الليل .. اني عشقت شواء العظام مع الليل ـ خلف خيام القوافل ـ اني عشقت القبور تقلبها الريح .. اني عشقت الغد .. الصحو .. والطرق المبهمة ....)
ـ اسرع بنا ياليل
فالثار قد حانا ..
وغن لي يا رفيق
احلامي الانا
غدا ترى عيناك
للموت الوانا
وقفة خاصة ببابها :
(وكنت حائرا من امري .. يغالبني الشوق اليها .. وتفتك بي رغبتي في الثار)
(ان تلك المسالك مبهمة .. والمسافات معتمة .. والسماء طقوس .. وليل .. ووحي .. وابوابها المستحمة في مقلة الجزر .. موصدة .. والحكايا تسافر في كل راس .. وبين عناق المحبين تنبت سوسنة ... والطفولة ـ في لعبة الموت ـ وادعة .. والفراشات حالمة ..!..
كيف لي ان اقاتل هذا النعاس الملون بالحزن .. كيف يطاوعني السيف



•• كيف امزق فوق شفاه الصبايا حكايا الغد المتمهل •• كيف افرق بين حبيبين •• كيف اجيء مع الليل •• اذبح ظبي الامان ، اغلق عينين كحلتا بالوداعة ••••••

كيف ؟•)

الصوت الاخر :

(ما للجمال مشيها وئيدا)

تحمل عيدا •• ام ترى وعيدا

ام ان في احشائها جديدا

مشهد الختام :

ـــ كانت القافلة •

قد احالت مسالكها قصة •• والقباب توابيت •• والساحة المستحمة في الحلم حزنا••

ـــ كانت القافلة ••

خبرا في شفاه الثكالى •• تغض المجالس •• يمكث خلف الرؤوس •• يؤول في الغد •• يروى •

ـــ حين اسريت ـــ وحدى ـــ ابحث عنها • تاوه بي صدرها الوثني •• تصاعد لي عطرها افعوانا •• احاط براسي •• بسيفي •• اسقطني في وحول الهزيمة ••

(جئت اقاتلها فانكسرت بغير قتال)

ـــ ان (عمرا) بغير قتال يجيئك •• يلقي سلاحه

انني جئت منهزما بسلاحي

انني جئت منكسرا

فانهضي قد نحب ••

انهضي قد نحب •!

حَدَث في ٩٩٩



قصة سعيد أبو السعود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منذ ان قامت الثورة في (٩٩٩) وكل شيء ياخذ طريقه السليم : متوجا بمايسمى (الشرعية الدستورية) .. فاذا كانت هناك رغبة مثلا في الغاء الاحزاب جرى استفتاء شعبي ، وتم الالغاء ، واذا وجدت الرغبة في اعادة الاحزاب جرى استفتاء شعبي ، وتمت الاعادة ، وهكذا .. لاتنفذ ارادة الحاكم الا من خلال ارادة الشعب ، لان الثورة ثورة الشعب ، والحاكم ابن الشعب البار ، واحيانا يصبح اباه ، لان الرابطة رابطة الاسرة الواحدة .. ومن ثم فان كل شيء يحدث باسم الاسرة يكون براي الاسرة ، ولا ضير ان تكون المبادرة من الحاكم ، مادام هدفه المصلحة العامة ، وما دام لايتم شيء الا بعد الرجوع الى الشعب .

كان الاستاذ بيومي — وهو كاتب سجلات في احد الدواوين — من المحظوظين الذين ترد اسماؤهم في تشكيل اللجان المشرفة على هذه الاستفتاءات ، وكان ان كثرت الاستفتاءات في السنوات الاخيرة بصورة

لفتت انظار الكثيرين ، حتى صار زملاء (بيومي) يكثرون من التعليقات السخيفة :

(يابخت من كان الاستفتاء خاله) ، (ربنا يرزقنا باستفتاء) (بايضة له في استفتاء) .. الى اخر هذه النكات الترفيهية التي تدور بين الزمـــلاء بمناسبة وغير مناسبة . ولما كان الاستاذ بيومي من انصار الثورة المعجبين اشد الاعجاب بقراراتها ، وكثيرا ما خاض مع زملائه في المكتب والمقهـــى مناقشات حادة حول طبيعة بعض القرارات ، مع انه من اكثر الناس عزوفا عن المعـــارك ، ايا كانـــت دوافعها ، فقد طـــال تفكيره في اهميـــة هذه الاستفتاءات ..

كان يسائل نفسه:اذا كانت النتيجة معروفة مقدما ، واذا كان الشعب على هذا المستوى من التاييد الكامل لقرارات الثورة ، فما الحاجة الـــى تشكيل اللجان ، وتعطيل الاعمال ، والبلاد احوج ماتكون الى كل مليم تنفقه على المرافق المستهلكة والمشروعات المجمدة ؟!

كان يسمع هذه التساؤلات من كثيرين من الزملاء وغيرهم ، في الديوان، وفي المقهى ، وفي السيارات العامة .. وكان يسمعها من اولاده ، وهـــم يرددون ما يسمعونه ـــ دون شك ـــ في المدارس ، والملاعب ، وفي مساكن الجيران ..

وخطر له ان يكتب بهذا الى (السيد الرئيس) ..

ان احدا لايستطيع ان يشك في ولائه الثوري ، فلم يحدث ان نطق بكلمة واحدة ضد (الثورة) ، ثم انه طالما تقدم المسيرات الشعبية هاتفا مباركا قراراتها ، وهو عضو بارز في لجنة الحي ، والممثل النقابي في العمل .

هذا الى ان النقد الذاتي والنقد البناء من اسس النظام الثوري ، وطالما دعا اليه (السيد الرئيس) ..

ثم ان بوسعه ان يعبر بعبارة لا تحمل طابع النقد بقدر ما تحمل طابع التاييد .

(الشعب هو الثورة ، والثورة هي الشعب ، فما ضرورة الاستفتاء ؟)

اعجبته العبارة ايما اعجاب ، وود ان يلقى بها في اسماع الاخرين ، ليعرفوا مدى قدرته على الصياغة الفنية ، وليشاركوه الشعور بما اصابه من غبن في هذا العمل (الروتيني) الكئيب بالسجلات .

كان اولى به ان يعمل في الاعلام ، او يشغل منصبا قياديا في الحزب .. ويقولون : (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب) .. اين هـــو المكان المناسب ؟ حتى البيت ، ضاع فيه مكاني ، الى جوار هذه الزوجة التي لا تستطيع ان تشاركني همومي ، ماذا تفهم من مشكلات الحياة الا زيادة المرتب ، وما يجد في المجمعات الاستهلاكية والمحال التجارية ؟ لها العذر ،

كان الله في عونها :

كتـــب القتـــل والقتـــال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

الله ، الله ، هكذا والا فلا .. لو كنت شاعرا لاتيت بالعجب العجاب .. يا خسارتك يابيومي .. لكني استطيع ان اجد طريقي بشيء من الجراة .. الذي ينقصني هو محاولة التغيير .. طال انتمائي للسجلات حتـــى اصبحت جزءا مني ، او اصبحت جزءا منها .. صرت سجلا انبهمتكلماته، وعلاه التراب والعنكبوت .

لو اني فكرت منذ سنوات في ان اغير مكاني لاتخذت الوسائل التي تمكن من ذلك ، ولست بالعاجز ولا الواني .. لكن مصيبتي ـــ منذ وجدت نفسي في هذا العمل ـــ اني ارتضيته ، ماخوذا بالقسمة والنصيب ، وكاني كنت على علم بما قسم الله حتى ارضاه .

من الان يجب ان اقول : لا .. مازلت قادرا على ان احقق ارادتي .

يجب ان اجد في الحصول على المكان الذي يتناسب ومواهبي .. لست اقل من فلان او علان .. اذا كانوا يقرءون الصحف ويتابعـــون الاحداث المحلية والعالمية فانا اقرؤها .. اذا كانوا يقرءون كتابات الثورة ومنشوراتها فانا احفظها .. ماذا بقي ؟ انا على استعداد للدخول في امتحان من الان ، ليعرف الجميع من الاكثر اخلاصا للثورة ، والاحرص على مبادئها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ ٢ ـــ

ـــ انت بيومي عبد العال ؟

ـــ تحت امرك يا افندم

ـــ تعال معي .

ـــ الى اين ؟

ـــ ستعرف .

ـــ ٣ ـــ

واختفى الاستاذ بيومي .

يسالون عنه في البيت ، وفي العمل ، يسالون الاقارب والاصدقاء .. دون جدوى ، كثرت التكهنات .. انتشرت الاشاعات .. اختلطت الظنون بالظنون .. واصبح من الحكمة تحاشي الحديث عنه ، او الاتصال ببيته .. من يدري فالحيطان لها عيون ، واولاد الحرام كثير ..

ايام ، وشهور ، وسنوات ..

ترملت الزوجة ، وجاعت ، وعريت ، كادة جاهدة في سبيل ان يكبر الاولاد ..

اصبح الاولاد مجرد تساؤلات تتحرك بلا جواب .

في كل عام تعلن الثورة عن اغلاق ابواب المعتقلات ، عن خروج المساجين في الاعياد ، ولا جديد .

تطوع اولاد الحلال بالسؤال عنه وتقصي خطاه ، لكنهم لم يعثروا على علامة واحدة على الطريق .

تقبلت الاسرة العزاء ، واستخرجت شهادة بوفاته ، حتى يعفى الولد من التجنيد .

وبهذا طويت صفحة رجل كان وكان ..

— ٤ —

لكنه عاد ..

دق الباب .. انفتح .. وجد اخرين يسكنون بيته .

شحنة سبعة اعوام من الامل خلف الاف من الابواب الموصدة انفجرت في داخله ، تناثرت ، صارت قطعا من الليل الذي طالما حاول ان يعتصر منه الحلم ، ان يذيبه ، وكان يتكاثف ، ويتكاثف ، ويغلظ ، ويسمك ، ويطول ، ويضيق ، ويضغط جوانبه ، وينفذ في داخله ، ويمتص خلاياه ، ويمشي في دمائه ، فينبض بقلب الظلام ، ويتنفس برئتيه ..

ايام وليال ، لم يتعرف اليها الا من خلال رؤية السجان ، صباح مساء كانت تسقط من حساب التاريخ ، لولا انها كانت تحمل وجوها عزيزة عليه ، طالما تحدث اليها وتحدثت اليه ..

فاطمة .. بطته الحبيبة الغالية .. كثيرا ما قسا عليها ، وكانت صابرة ، حانية ، رؤوما .. وقفت وحدها في الميدان .. ترى ماذا تفعلين ياحبيبتي ؟! ماذا تفعلين مع نصر وفتحية وايمان ؟ اسميتهم بشعارات الثورة فاكلتني الثورة ، ولم ترع شعاراتها !!

اين ذهبوا يابني ؟

— لا ادري ياسيدي

وضرب في شوارع لانهاية لها .. كانت الشوارع مضيئة حقا ، لكنها تحجب الرؤية بقدر ما كان يحجبها ظلام السجن .

لعلهم اخترعوا سجنا مضيئا بلا جدران ، ليثبتوا قدرتهم على مصادرة الحرية في كل مكان .

لكن لن تضيع هذه السنوات هباء .

اذا طالت انياب الاغنام فلن تجد الذئاب طعاما ..
سانكلم ، وانكلم ، وارفع صوتي ، وليذهبوا بي الى الجحيم !!

— ٥ —

كان يوم الجمعة ..
وما كاد (الامام) يتم الصلاة حتى وقف يحكي للناس قصته .. تحلق الناس من حوله مشدوهين ، يحوقلون ، ويستعيذون .. وكلما وجد استجابة الناس اطال واجاد الوصف والتفصيل .
كانت حرارة السنوات السبع قادرة على ان تذيب عقدة لسانه ، وان تفجر الكلمات جمرات .
وما كاد ينتهي حتى دوى المسجد بهتافات حادة ..
وفي غمرة الانفعال وجد من يمد اليه يده ، ويخرج به من باب جانبي ، وينطلق بعربته .
اختفى بيومي افندي قبل ان تعجل اليه العيون المبثونة في كل مكان ..
وظل في ضيافة هذا الرجل الذي لايعرف من امره اسبوعا كاملا ، لم تتح فيه فرصة لحديث ، اذ لم يكن يلتقي به الا لماما ، يسال عن حاله ، وعما ينقصه ، ثم يمضي .
وفي يوم الجمعة يخرج به الى الصلاة في حي اخر ، او في مدينة اخرى ليحكي للناس قصته ، ثم يختفيان ..
شغله (الرجل) حتى عن التفكير في زوجه واولاده .
احس مرة اخرى انه سجين ، وان وجد المكان المريح والطعام اللذيذ.
حدث (الرجل) بشان زوجه واولاده فاقام امامه سدودا عالية .
هو اذن سجين هذه البيضة التي يبيضها كل اسبوع .
ثم مـــاذا ؟
هل تظل الحكومة غافلة عما يجري ؟
الا يمكن ان تكون اللعبة مزدوجة ، بمعنى ان الحكومة تراقب تحركاته على أمل ان تضع يدها على اولئك الذين يعملون على تحريكه ؟
وانفلت هاربا ..

— ٦ —

طلعت الصحف تقول :
(القبض على عصابة بيومي عبد العال .. اخترعوا اسطورة بيومي عبد العال ليشوهوا وجه الثورة النبيل ، ويغرروا بالبسطاء والطيبين من ابناء شعبنا العظيم .. الحاقدون والمزايدون والعملاء استغلوا الحريـــة والديمقراطية والعدالة التي ينعم بها الشعب في ظل ثورته المجيدة ،ليحرموا الشعب من مكاسبه .. الويل لمـــن يقف في وجه ارادة الشعب .. ارادة

الشعب فوق كل ارادة) ..

كان بيومي يقرأ هذه العنوانات الكبيرة ، ويسمع باعة الصحف ينشدونها في الطرقات ، فيهز راسه ويمضي .

— ٧ —

— بيومي عبد العال مات ، وشبع موتا .

— هل تعرفه ؟

— عز المعرفة .. اولاده ساكنون معنا .. ناس عال العال .. الله يرحمه .

وكان اول الخيط ..

لكنه ما كاد يسترق الخطا الى هناك حتى انقطعت به الطريق .. كانوا هناك في انتظاره .. نفس الوجوه الكروية الداكنة الباهتة المعالم .. العيون الممسوحة الجامدة .. الشفاه الحادة المدموغة .. الاكف الغليظة المعقوفة .

لم يحاول الافلات .. لم يقاوم ..

شعر لثاني مرة بمشاعر الكرة التي تتقاذفها الاقدام من جانب لاخر ، حتى تستقر — في نهاية الامر — بضربة قوية داخل الشبكة .

وكان عليه ان يعجل بالاستقرار ، يلفه الضباب والسراب والعدم .

سعيد ابو السعود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نشأة الفن

تأليف : (Herold Peake)

ترجمة : جميل عطية ابراهيم

ربما يتصور المرء ولاسباب منطقية تماما ، ان الفنون التشكيلية من رسم وتصوير ونحت ، قد وجدت فقط عندما تقدمت الحضارة تقدما ملموسا واتاحت بذلك الفرصة لبعض الافراد لامتلاك فسحة من وقت الفراغ والثروة ، فتم لهم بناء دور يأوون اليها بدلا من العشش المتواضعة جدا التي كانت مسكنا لهم لفترات طويلة من الزمن ، غير ان هذا التصور غير صحيح بالمرة . وعلينا ان نتذكر ان الاعمال الفنية قد وجدت في اتقان بفعل العوامل الطبيعية ذاتها ، وكذلك وجدت بين احط القبائل بدائية ، كما وجدت منذ قديم الزمن بين الصيادين المتأخرين ، وقد وجدت هذه الاعمال الفنية في كل هذه الحالات بدون النظر الى قيمتها الجمالية . كما وجدت ايضا اعمال فنية رائعة ترجع الى العصر الحجري القديم عندما كان يعتمد الانسان في الحفاظ على حياته على الصيد وجمع الثمار ولم يكن لديه فسحة من الوقت على الاطلاق .

فماذا تعني هذه المفارقة الواضحة ؟!

ان حياة الصيد لست بالحياة السهلة على الاطلاق ، فالبحث عن الحيوانات يمثل مهمة عسيرة ، تتطلب قضاء عدة ليالي مليئة بالحرمان ، يشرف فيها الصياد غالبا على الموت جوعا .

وعاجلا أم اجلا ، اذا قدر للصيادين النجاة من التهلكة ، وقتلت الفريسة ، ازدرد الصيادون شيئا من اللحم الكثير المتوفر امامهم ، واستغرقوا في النوم طويلا لتجديد نشاط ابدانهم قبل استئناف تناول الطعام مرة ثانية بكميات لا تزيد كثيرا عما يتناوله الانسان المعاصر .

وحتى الان خاصة في المناطق الحارة ، يتم تناول قطعة من اللحم قبل تناول الطعام ، وكذلك قبل استئناف الصيد ايضا .. اما في اوقات الفراغ القليلة التي تتوفر فيها لديهم كميات من اللحوم ، يكون لديهم مسحة من وقت الفراغ يقضونها في ابداع اعمال فنية .

وحتى وقتنا الحاضر تقوم قبائل البشمان بالتصوير على الصخور ، وتبدع اعمالا فنية مثل الاعمال الفنية التي اتت الينا من العصور الحجرية القديمة ، ولا يزال يشاركهم في هذا الابداع ــ ولكن بدرجة اقل من الاتقان ــ الاستراليون البدائيون ، وبعض الجماعات البدائية الاخرى .

غير ان سكان العصور الحجرية القديمة كانوا يتمتعون بظروف سوائية اكثر من قبائل البشمان والاستراليين المعاصرين ، حيث ان اهل العصور الحجرية ــ خاصة العصر الحجري القديم الاعلى ، كانوا يعيشون في معظمهم في اوروبا في العصور الجليدية ، ويقومون بصيد الحيوانات في اوقات الصيف الدفيئة . ثم يعودون الى كهوفهم في اوقات الشتاء القطبية، ويقبعون فيها في راحة ، ومعهم كميات وفيرة من اللحوم دون خوف من فسادها وقد خزنت في هذه الثلاجات الثلجية الطبيعية ،ويستمتعون طوال الشتاء بوقت فراغ يقضونه في ابداع اعمال فنية ، ولهذا يفوق فن العصر الحجري القديم الاعلى في روعته فنون القبائل البدائية المعاصرة.

ونحن ليست لنا حاليا دراية او معرفة بالفن عند اسلافنا الاول من اعضاء العائلة البشرية ، لان اثارهم التي خلفوها قد صنعت من الرمال والحصباء التي عصفت بها الرياح . وكذلك ليس في مقدورنا ان نقول شيئا عن الاستعداد الفني لدى انسان العصر الحجري القديم الاسفل والاوسط، وعما اذا كان في مقدور الانسان في ذلك الوقت صناعة ادواته السوانية بدقة او لا ، حيث ان بعض الادوات السوانية التي تكاد تشبه في بعض الاحيان الوجوه الادمية من صنع العوامل الطبيعية ذاتها ، وان نسبة هذه الادوات السوانية لانسان العصر الحجري القديم الاسفل والاوسط ليس الا من خيال رجال الاثار .

فاذا انتقلنا الى العصر الحجري الوسيط ، فان الحال يختلف ، لان رجال الحضارة الموسيترية وانسان نياندرتال كانوا يقضون ليالي الشتاء الطويلة الثلجية خلال عصر الفرم الجليدي في كهوف منيعة . فمن الوجهة المنطقية لا يوجد ما يمنع افتراض أن انسان نياندرتال كان يقضي وقت

فراغه في تزيين كهوفه بالرسومات والتصاوير . ولكن على الرغم من هذا الافتراض المنطقي،فانه لم تصلنا اية اعمال فنية من تصوير او نحت من هذه الحضارة الموسيترية تؤكد هذا الافتراض .

وبظهور الانسان العاقل الحديث ــ الجنس الحالي ــ ظهر الفن الاول مرة في اوروبا ، ولا يوجد لدينا اي دليل على وجود اعمال فنية في اية منطقة في العالم حتى الان قبل وجود هذا الجنس بها . ولهذا فيبدو ان الرغبة في تمثيل الانسان والحيوان في اعمال فنية رغبة لصيقة بجنسنا الحالي ، الانسان العاقل الحديث ، ولم يشاركه في هذا الاستعداد الفني او الرغبة في ابداع اعمال فنية اي من الاجناس السابقة عليه ، من تلك الاجناس التي عاشت قبل حلول العصر الحجري القديم الاعلى ، فالفن سمة من سمات الانسان العاقل الحديث فقط .

وفن الكهوف الذي ينسب الى الانسان العاقل الحديث والذي يرجع الى العصر الحجري القديم الاعلى يقسم الى فن ثابت وفن يمكن نقله من موضع الى اخر . ومن امثلة الفن الثابت ، الرسم والتصوير الجداري على جدران الكهوف او المآوى الصخرية او اسطح الجبال . وفيما عدا فن الكهوف الموجود في اسبانيا فان معظم الاعمال الفنية الموجودة على الصخور او الكهوف موضوعها الرئيسي الحيوانات ، ولم تظهر فيها الاشكال الادمية باية صورة من الصور ، فقد وجد في حالة واحدة في جبال البرانس ، صورة انسان متخفي على هيئة حيوان .

اما الاعمال الفنية التي يمكن نقلها والتي تنسب الى رجال العصر الحجري القديم الاعلى، فتتمثل في الادوات المصنوعة من العظام او الاحجار مثل السكاكين وقد زينت مقابضها ، ولكن ربما يوجد بالاضافة الى هذه الاعمال الفنية المزينة بالرسومات ، بعض التماثيل القليلة لشخوص ادمية تنسب الى هذا العصر ايضا .

واجمل نماذج فن الكهوف تأتي الينا من فرنسا ، وبالتحديد من منطقة (Dordogne) في جبال البرانس . ففي المراحل المبكرة من الحضارة الاوريجانسية نجد نماذج مختلفة من التصاوير على جدران الكهوف وتتضمن مواضيع مختلفة تتباين ما بين النقاط والاشكال الحلزونية والايدي،والاخيرة يمكن الحصول عليها بغمس الايدي في الصبغة ثم وضعها على الجدران ، او بطريقة اخرى ، فتوضع الايدي على الجدران ثم تدهن المنطقة المحيطة بها بالصبغة . ونجد ايضا هنا في منطقة (Dordogne) بعض النماذج البسيطة للحيوانات مرسومة على الصلصال بالاصابع وموضوعة باركان الكهوف .

وبعد ذلك ، يمكن للمرء ان يجد صور حيوانات على جدران الكهوف

منفذة بواسطة حفر او حز الخطوط الخارجية للحيوان على الصخر بعمق ثم تلوينها باللون الاحمر او الاسود .

وفي المراحل الاخيرة من هذه الفترة ـــ الحضارة الاوريجانسية ـــ نجد التصاوير تتميز بدقة الخطوط الخارجية وبقربها من الواقعية او الطبيعية في تصوير الحيوان ، كما ان الاشكال تظهر وكأنها مجسمة وذلك عن طريق تظليلها بنقاط او بخطوط او بالوان فاتحة قليلا .

كان من المعتقد في وقت سابق ، ان الحضارة السولترية (Solutré) لم تخلف لنا اعمالا فنية ، ، ولكن تم اكتشاف بعض الاعمال الفنية القليلة حديثا ، ترجع الى هذه الحضارة وكان يعتقد انها من انتاج اناس سابقين عليها .

وبعد رحيل اناس الحضارة السولترية ، فان سلالة الفنانين الاوائل عادوا الى الكهوف الفرنسية فواصلوا جهودهم الفنية خلال فترة الحضارة المادلينية (Madeleine) فبعد هذه الحضارة سرعان ما وصل الحفر والتصوير على جدران الكهوف الى اعلى درجات الدقة ، ولكنه بعد ذلك بدأ في التدهور ، واصبحت الرسومات تنفذ بدون عناية ، ثم وبنهاية هذه الفترة اتجه اسلوب التصوير الى الانحطاط بشكل ملحوظ .

وكانت الاشكال المصورة في الكهوف الفرنسية في ذلك الوقت في غالبيتها تمثل اشكالا للحيوانات ، وفي معظم الاحيان اشكالا مفردة ، وقد وجدت هذه الاشكال مصورة بعضها فوق بعض في عدة مستويات او طبقات، ومن دراسة هذه المستويات او الطبقات يمكن التاريخ لهذه الاشكال وتحديد العصر الذي صورت فيه .

وثمة انواع مختلفة من ادوات المعيشة المزينة وبعضها منقوش عليه اشكال دائرية وبعضها الاخر عليه نقوش بارزة او غائرة ، بينما ثمة انواع اخرى محفور عليها خطوط خارجية لبعض الاشكال فقط ، وغالبا ما تكون هذه الاشكال مسطحة وغير مظللة . وكانت ادوات المعيشة المستخدمة تصنع من الاحجار او العظام او العاج . والادوات المزينة المصنوعة من العظم هي غالبا تلك التي تستخدم في الاستخدام اليومي مثل مقابض السكاكين البدائية ، او تلك الادوات المثيرة المصنوعة بدقة والمعروفة بالسهام المدببة .

وكانت هذه الادوات عادة ما تزين باشكال تمثل الانسان او الحيوان باسلوب اقرب الى الواقعية . وان كان قد اتجه الى نوع من التقليدية قرب نهاية هذه الحضارة .

ان تصوير الشكل الانساني يجيء غالبا من فترة الحضارة الاوريجانسية ، وخلال المراحل الاولى لهذه الحضارة كانت هذه الاشكال

عادة دائرية ، وبعض الاشكال الدائرية في وسط اوروبا تنسب الـــى الحضارة السولترية وهكذا يثور الشك في نسب هؤلاء الفنانين للحضارة الاوريجانسية .

وكانت هذه الاشكال غالبا تمثل نساء بدينات للغاية . وكل مجموعة من هذه الاشكال تختلف تماما عن المجموعة الاخرى ، لانه في هذه الحالة ، كانت الاشكال التي تمثل حيوان البيزون مصنوعة من الصلصال . وقـد وجدت هذه الاشكال في كهف (Tuc d'audoubrt) . ويعتقد أن تاريخها يرجع الى فترة الحضارة المادلينية .

وفي الوقت الذي يصدق فيه هذا الوصف السابق على العصر الحجري القديم الاعلى في فرنسا ، والى حد ما على وسط اوروبا ، فان ثمة نوع اخر مختلف من الفن كان مألوفا في ذلك الحين في شرق اسبانيا . فهنا ـــ في شرق اسبانيا ـــ وجدت صور ذات ابعاد صغيرة جدا ، وقد وجـدت مصورة على الصخور في المآوى الصخرية او في المراء ، وهذه الصور ذات اسلوب اكثر حيوية وتتميز عن تلك التي وجدت في الكهوف الفرنسية، حيث تظهر لنا مجموعات من الحيوانات والشخوص الادمية ، وغالبا مـا تصور لنا مشاهد كاملة للصيد . وهذه الصور تشبه الى حد كبير عددا من الاعمال الفنية الموجودة في زيمبابوي واتحاد جنوب افريقيا ، حيث تنسب هذه الاعمال الفنية في جنوب القارة الافريقية ـــ خاصة الحديثة منها ـــ الى قبائل البشمان .

لقد ثارت مناقشات كثيرة حول الدوافع التي دفعت اجدادنا الاوائل لبذل كل هذا الجهد في ابداع هذه الاعمال الفنية . وقد رأى بعض العلماء ان الاقامة الاضطرارية الطويلة في الكهوف خلال فصول الشتاء القطبية في العصور الجليدية ، قد جعلت الزمن يمر بتثاقل بالنسبة لايـدي هـؤلاء الصيادين العاطلين الذين اتجهوا الى تزيين كهوفهم ، وبذلك انشغلوا في الاعمال الفنية ووجدوا عملا لهم . بينما يعتقد اخرون ان تجميل الكهوف كان هدفهم الاساسي وبغيتهم . ولذا نجد رسما فوق اخر او فوق عـدة رسوم، وفي طبقات فوق بعضها البعض . كما أن كثيرا من الاعمال الفنية البديعة مصورة على سقوف الكهوف التي لا ينفذ اليها اي شعاع من ضوء النهار، او على جدران الممرات الضيقة التي لا يمكن أن ترى الا بصعوبة بالغة ، كما اشار علماء اخرون الى الرغبة في « التعبير عن الذات » كتفسير لهـذه الصور .

وعلى اي حال فان غالبية العلماء يعتقدون أن هذه التصاوير كان لها دلالة سحرية ، فصور الحيوانات كانت تبدع لتأكيد فكرة وفرة هـذه الحيوانات . وفكرة تصوير او رسم الحيوانات التي تكون في الغالب من

نوعية الحيوانات الصالحة للطعام تؤيد التفسير السابق، ويدعم هذا الراي حقيقة اخرى هي ان بعض الرسومات تصور حيوانا قد اصيب بسهم في مقتل . ومشاهد الصيد في شرق اسبانيا تعبر عن الرغبة في الصيد الوفير ، كما ان اشكال النساء البدينات ربما تدل على الرغبة في انجاب اطفال كثيرين ، او تمثل رمزا للخصوبة .

وفي نهاية العصر الحجري القديم الاعلى يظهر على الفن علامات تدهور . فالعصر الجليدي كان في سبيله الى الزوال ، وعطلة الشتاء الاضطرارية اصبحت وجيزة ، واصبحت الرسومات والتصاوير تصور في عجلة . وحين انتهى هذا العصر ــ العصر الجليدي ــ انتشرت الغابات وغطت اوروبا تقريبا ، فنلحظ تدهورا شديدا في كل الفنون في العصر الحجري الوسيط . وان صور الشخوص والحيوانات التي كانت تنفذ في اسلوب واقعي ، تحولت الى سلسلة من الرموز والعلامات . هذه العلامات التي لا تفهم اصولها او معانيها ما لم يكن لدينا رؤية تصور او توضح هذا التدهور التدريجي في الفن .

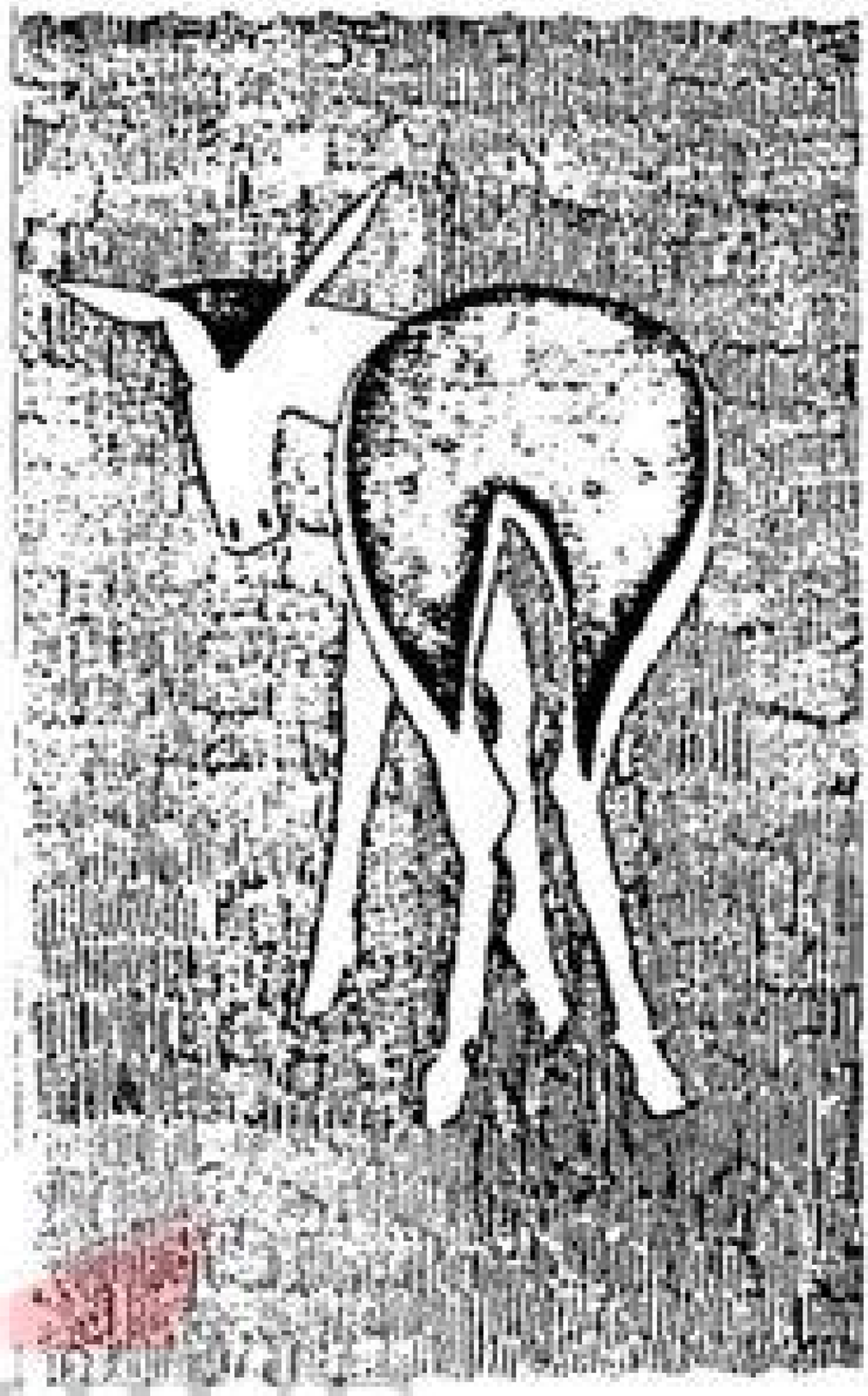
وهكذا نجد انه تحت ضغط الصعوبات او المصاعب خلال العصر الحجري الوسيط فان الفنون الجميلة للعصر الحجري القديم الاعلى في اسبانيا قد تدهورت في شكل تدريجي وتحولت الى رموز تفتقر الى المعنى الواضح ، الى ان اختفت كليا .

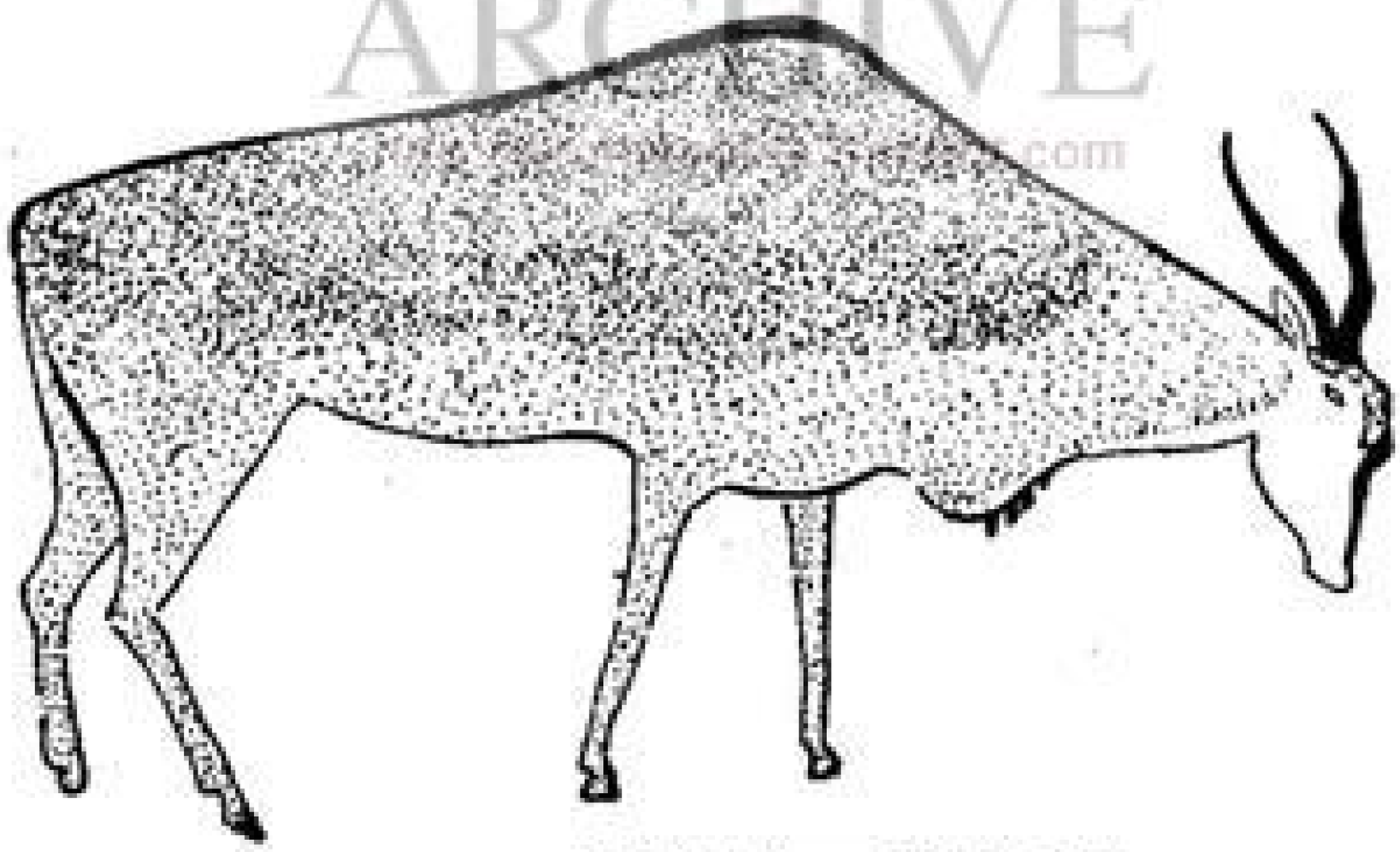
ومهما يكن من امر بالنسبة الى الفن في اسبانيا ، ومع وجود الطقس الجاف ، فان الغابات لم تستطع تغطية الجزء الاعظم من الهضبة ، فهنا في شرق اسبانيا نجد ان الفن قد عاش زمنا اطول ، على الرغم من انه فقد بمرور الزمن باختفاء فصول الشتاء القطبية الطويلة ، جزءا من حيويته، الا انه ظل باقيا وخاصة في المناطق الجنوبية حتى بعد ان عرفت المعادن حيث جاءت هذه المعرفة الى معظم بلدان الغرب من الشرق الاوسط .

ومن اسبانيا ، انتشر هذا الشكل الاخير من الفن ، وانتشرت معه معرفة النحاس ، على طول ساحل البحر المتوسط في فرنسا وحتى ايطاليا، وفي الجبال على كلا الجانبين من الحدود وجدت اعداد من الاعمال الفنية على الصخور تمثل رجالا مسلحين بالادوات والاسلحة النحاسية التي يتضح جليا انها مأخوذة عن رسومات مماثلة مما وجد بوفرة في المناطق الجنوبية من الهضبة الاسبانية .

وكما راينا في مناطق اخرى توقفت الجهود الفنية تدريجيا خلال العصر الحجري الوسيط لان سكان اوروبا التعساء كانوا مضطرين ان يعملوا بالصيد طوال اليوم او طوال العام من اجل غذاء كاف يقيهم شر الموت جوعا. وبعد ان تقدمت الزراعة اصبح على الانسان ان يأكل خبزه بعرق جبينه لان







من اعمال البشمـــــان المحدثـين

شكل ١ ، ٢ ، ٣

وتوضح هذه الاشكال قدرة فنان البشمان على معرفة المنظور . ففي شكل ٢ ، ٣ تتمثل قدرة الفنان على تصوير البعد الثالث ، بالاضافة الى احساسه المرهف بالحركة . وتاتي الينا هذه الاعمال من جنوب قارة افريقيا ، وتبين قدرة الفنان على استخدام الالـــوان الفاتحة والغامقة في تصوير المنظور .



شـــكل (٤٨) معركـــــة

من اتحاد جنوب افريقيا . ويوضح هذا الشكل قدرة الفنان على اختزال التفاصيـــل والاحتفاظ بنزعته الى الواقعية عند تصوير الشخوص او الحيوانات . وهذا التصوير ينسب الـــى الميشيـــــان .

الانواع الاولى من الحبوب التي بذرها كانت صغيرة الحجم وذات قيمة غذائية قليلة . ولكن عندما حرث التربة بالاستعانة بأدوات الحرث الحجرية كان هذا انجازا عظيما ، ولهذا فاننا ندهش قليلا ، عندما نعرف ان الانسان لم يجد الوقت الكافي لانتاج اعمال فنية . والامثلة الوحيدة لاعمال فنية في اوروبا تعود الى الاوقات المبكرة لمعرفة الزراعة عبارة عن اشكال صغيرة تمثل انثى ، ويعتقد انها تمثل الام العظمى ، الهة الخصب، او الالهة التي ترعى المحاصيل . ومن المؤكد ان النساء اللاتي كن يصنعن الاواني قد زينت اردیتهن بطريقة اكثر اتقانا .

وعلى اي حال فثمة بلد واحد من خارج اوروبا ، كانت الاعمال الفنية فيه تنتج خلال الايام الاولى للزراعة وهذا البلد هو مصر .

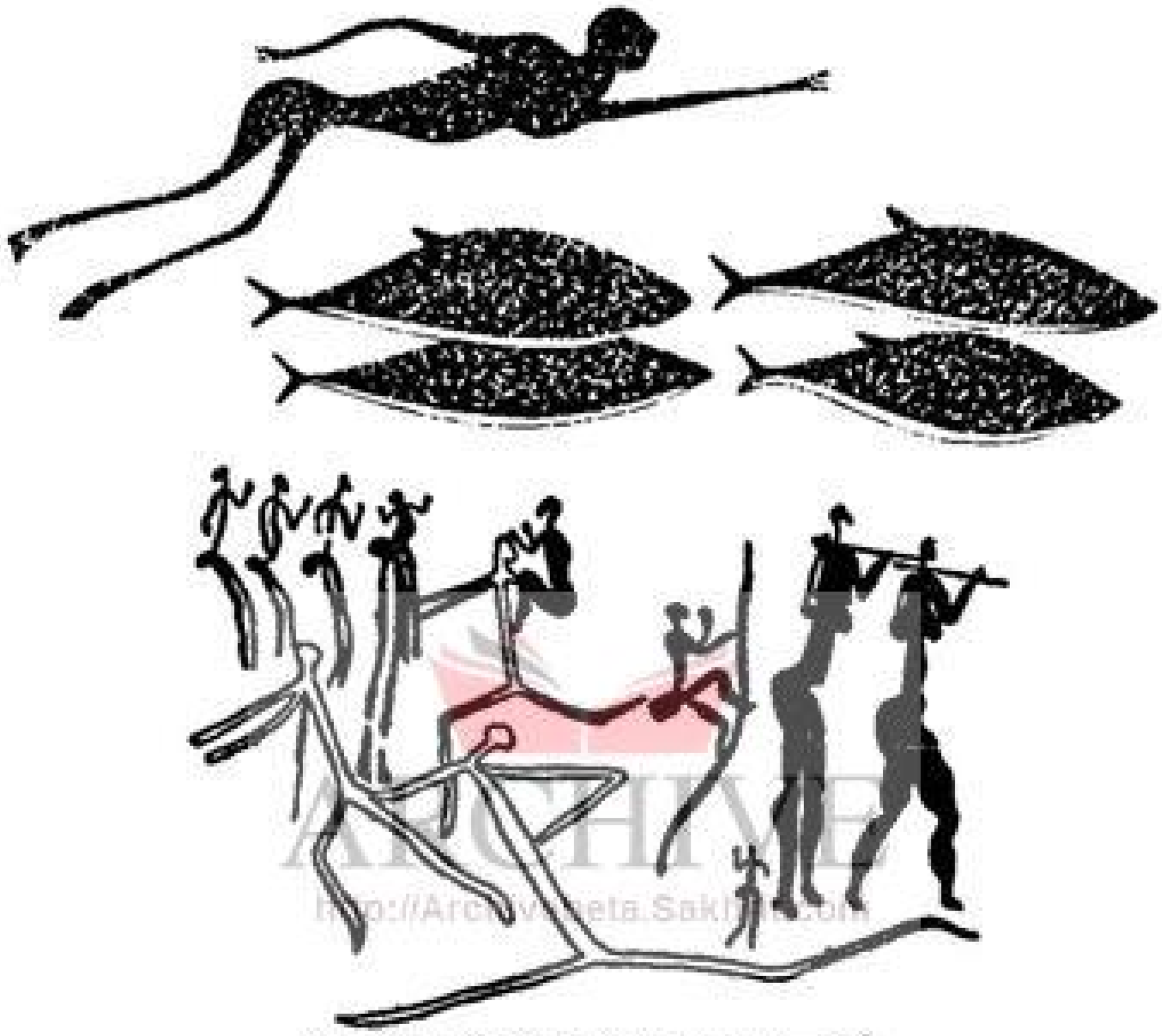
فعلى ضفتي النيل ، كانت التربة سهلة الحرث ، والطمى وفير ويجدد التربة كل عام عند فيضان النيل . والمحاصيل وفيرة وتتطلب جهدا قليلا ، بالاضافة الى امكانية الحصول على اسماك وحشائش صالحة للاكل من النهر ، ومن ثم فليس من الغريب ان نجد في مصر اعمالا فنية اكثر وفرة من اي مجتمع زراعي قديم اخر .

ان السكان الاوائل الذين عاشوا في وادي النيل والذين يعرفهم رجال الاثار « بالناس البداري » هؤلاء الناس قد نحتوا اشكالا ادمية من العظام في حين ان من خلفوهم من عصور ما قبل الاسرات قد صنعوا اشكالا فجة غير متقنة للحيوانات من العظام والاحجار ، وزينوا الصلايات الاردوازية التي كانوا يطحنون فيها الكحل لتزيين عيونهم . ويندر مثل هذا التمثيل للاشكال الادمية والحيوانية بين السكان الزراعيين الاوائل اذ لم يكن لديهم الوقت الكافي ليكرسوه للفن فيما عدا تزيين اوانيهم.

ومثل هذه الزينات غالبا ما تكون زخرفية او تقليدية وكثيرا ما تكون ذات وحدات هندسية ، على الرغم من ان بعض الزينات ذات الاسلوب الطبيعي قد وجدت لها نماذج قليلة في هذه الفترة المبكرة في مصر ، فوجدت صورا للطيور والحيوانات وبعض الشخوص الادمية ايضا ، ومثل هذه الموضوعات لم تعرف في المناطق الاخرى في الشرق الاوسط .

وباستثناء المجالات القليلة السابق الاشارة اليها ، فاننا نجد شواهد قليلة على تطور الفن ونموه الى المرحلة التي عاش فيها الانسان في مجتمعات وقيام علاقات تجارية وشكل ما للحكومة او لسلطة مركزية . فتحت هذه الظروف ، قلة من البشر ، خاصة طبقة الحكام هم الذين توفرت لديهم الثروات ووفرة اوقات الفراغ . وعندئذ وجدنا نماذج متطورة من الفنون ، خاصة العمارة والنحت ، وقد تميزت بذلك مصر وبلاد بين النهرين . وكان هذا التطور في الفنون مرتبطا اشد الارتباط بالمعابد

والمقابر ، وفي مصر على وجه الخصوص من الصعب اكتشاف الحد الفاصل بينهما ، حيث استمر الفن في النمو ، كما بدا مقترنا بالدين . وهذه العلاقة ـــ علاقة الفن بالدين ـــ قد عظمت الى حد كبير في بعض الاحيان ، وفترت في احيان اخرى . وظلت فاترة حتى الى وقتنا الحاضر .



شكـــل (٥) من (اتحاد جنوب افريقيا)
شكل (٦) . من روديسيا الجنوبيـــة .

كلمة المترجم

يلاحظ انه في السنـــوات الاخيرة قد تم الكشـــف عن اعمال فنية عديدة في شمـــال وجنـــوب قارة افريقيـــــا .

وتوضح الاشكال التالية التي ترجع الى العصر الحجري الحديث بعضا مما جـــاء في المقـــــال .

وهذه الاشكال محفورة على الصخور بطريقـــة النقش وبعضها مصور بالالوان بطريقـــة التصويـــر .

ويلاحـــظ في شكل (٢) قـــدرة الفنـــان على تصويـــر المنظـــور عن طريـــق الخـــط واللـــون .

البحر ... أم أنتِ ؟

استيقظي ايتها الساحرة العذراء فالصباح
في حدائق الاقمار غادة تغازل الطيور
تستحم بالنبيذ والمطـــر !
تنهمر الثلوج فيك .. تضحك الحصول والمواسم
العبير في ضفائـــر الشجر !..

●●

اتعرفين انني اشتهيت ان انام فـــوق
مرمر ، اغوص في مرافىء العينين ، ازرع
المحـــار ، اقطف النهود ، تعرفين اشتهي
لمـــاك .. امطري ،
وامطـــري

وامطـــري
وجهك يا جميلتي يشرق في عرائش الكروم
كابتسامـــة القمـــر !..

●●

عيناك نفرشان مخدعي وتوقظان فـــي
شوقي القديم ، قلت : اشتهيك وردة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر خالد الفرزجي
بغداد

تضوع بالشـــــذا ..
فامطـــري
وامطري .. ندى ..

●●

يندلق العبير في الفراش ، غرفتي حديقة
يعرش البنفسج الندي في الستائـــر
الحرير ، تسمحين لي بنزهة ؟.. علـــى
زنديك ، او في الشعر الشلال ، في استدارة
الشفاه ، في مروج نحيك ، دعي يدي
نبحـــران في قرارة الجحيـــم ! ..

●●

اسرح في غابات شعرك الطويل ، اغمس
اليدين في الضفائر الحرير ، اشتهيك
وردة تضوع بالشـــــذا ...

●●



نتهم الزمان بالمشيب ، والهوى يشيب
في غرامنا ، آ لرجال يكبرون كل لحظـــة
وانت تصغرين حلوتي ..

●●

قلت : اصوغ من جدائل الغصون ماسة
لصـــدرك الثري ، نلتقي معـــا في آخـــر
الليل تنامين على زندي ، فيـــك
نكهة البحـــر ، تضج في عروقي ثورة ،
تبتردين ، تحتويك غرفتي الدافئة الشهية
؟ لليل يمـــر مرهقـــا ،
ايكمـــا يسكننـــي ؟
انت .. ام البحر ـــ صديقتي ـــ !؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



رفائيل البرتي

يتحدث عن مسرحه

ترجمة واعداد
هاتف الجنابي

● عام ١٩٠٢ ولد رافائيل البرتي قرب مدينة قاديس في اسبانيا ، وفي عام ١٩١٨ اقام اول معرض لرسومه في مدريد سنة ١٩٢٠ نشرت له اول قصيدة ، بعد موت ابيه . كان مرتبطا اسمه بالجيل الشعري المسمى بـ (جيل ١٩٢٧) . بعد الحرب الاهلية في اسبانيا اي بعد عام ١٩٣٦ هاجر الى الارجنتين ، ومنذ عام ١٩٦٢ اقام في ايطاليا وفي ١٩٧٧ بعد موت فرانكو عاد الى اسبانيا . وقد نشرت هذه المقابلة في مجلة مسرح البولندية العدد (١) لسنة ١٩٨٠ ونظرا لاهميتها قمت بترجمتها واعدادها .

● لوركا والانسان المهجـــور

المسرح ، الشعر ، الرسم والموسيقى اشياء تهمني ، بدأت سيرتي الفنية رساما . علاقتي بالمسرح لها جذور تمتد الى (جيل ١٩٢٧) ، وخاصة للصداقة بيني وبين فيدريكو غارسيا لوركا مؤلف العديد من المسرحيات . يوحي منه بدأت الكتابة للمسرح . وفي ذلك الوقت ولدت مسرحيـــــة « الانسان المهجور » التي عرضت لاول مرة في صيف١٩٣١ مطلقة العنان لنقاشات شعبية واسعة .

البرولوج قدم على خشبة مقفرة ، في نفس المكان الذي عنده تنتهي المدينة . كما وعرضت المشاهد التالية الدمار ، وكانها تشير الى كابوس ، ظلال لبشر تتراءى في بقايا نار خامدة تخرج من باطن الارض . في احـــد المشاهد يذهب بطل الرواية ضحية مؤامرة ، ولكنه في نفس الوقت يصير الضحية والمدان ، عندما يستسلم للغواية فيقتل المراة (رمـــز الحـــب والنقاء).

هذا العمل ليس منفصلا عن بقية اعمالي الشعرية وخاصة ديـــوان « عن الملائكة » الصادر عام ١٩٢٨ .

فهو عمل مجازي ، استعاري مكتوب اشبه ما يكون بالعمل الروحي لكنه ليس كذلك . بعد انتهاء العرض الاول للمسرحية الذي قدمته المكسيكية (Teresa Mantoyi) صرخ الجمهور « معجبا » ضد المسرح المعاصر المتبع على طريقة ـــ بيناقنته ، والاخوة كوانتيرو ـــ مرديـــــن « سحقا لمسرح اليوم المتعفن » . كانت تلك اوقات صعبة ، ســـنوات الارهاب السياسي ، والديكتاتورية العسكرية .

الوضعية تغيرت في نيسان ١٩٣١ بعد اعلان الجمهورية .

مسرحيتي التالية كانت بعنوان (Fermingalan) اخرجتهـــا لفرقة اسيانول المسرحية (Margerita-Xirgú) وحينئذ كانت بمثابة فضيحة لانها عرضت على المسرح القومي . وكان هـــذا يعني ان تستبدل الستارة باخرى من حديد من اجل الدفاع عن الممثلين من هيجان الجمهور . هكذا كانت المسرحية الى جانب الجمهوريين ووسط اعدائهم . كانت المسرحية سياسية ، معتمدة على التقاليد الشعبية ، رومانس يغنيه اعمى . وقد اهديتها الى فرمين غالان ، وفيها تحدثت عن موته ومـــوت غارسيا هرناندیز فهما سبق وان نظما في عـــام ١٩٣٠ انتفاضـــة تاييدا للجمهوريين . مع هذا لم يكن هذا العمل المسرحي يخلو من الاخطاء . وعلى اية حال فالنص يبقى مهما لان ما كتب للمسرح عن الجمهورية الاولـــى ضئيل جـــدا .

● المهاجـــر والنضال ضد الديكتاتورية

في سنوات العشرينيات قمت برحلات متعددة في اوروبا ، زرت خلالها فرنسا ، المانيا والاتحاد السوفيتي . وقد تعرفت عندئذ على التجـــارب المسرحية لكل من مايرهولد ، فاختانكوف ، تاييروف ، بيسكاتور وبريخت . بعد ذلك قمت برحلة الى امريكا الجنوبية ، رجعت بعدها الى اسبانيـــا والحرب الاهلية على الابواب ، اثناء الحرب الاهلية نظمت انا وزوجتـــي الشاعرة والكاتبة ـــ ماريا ترسالبون ـــ مسرحا متجولا شبيها بمسرح لوركا (La Barraca) ، قدمنا فيه اعمالا مسرحية قصيرة لكل مـــــن (Calderon, Lorca) وبعضا من اعمالي حتى وصلنا الى خطـــوط الجبهة ، حيث روحنا عن انفس الكثيرين ممن كانوا يعرفون بانهم سوف لن يعودوا ثانية . بعد انتهاء الحرب مباشرة وتسلم فرانكو السلطة ، كانت ثمة ضرورة لمغادرة البلاد . اقمت اولا في الارجنتين ، وبعدها قضيت الخمس عشرة سنة الاخيرة في ايطاليا ، وقمت برحلة طويلة زرت خلالها الصين ، فرنسا ، بولونيا ، وفي الارجنتين في عام ١٩٤٠ انهيت كتابة مسرحيتـــي « البرسيم المتور » التي عرضت فيما بعد في فرنسا ، ايطاليا والسويد ، وكتبت مسرحية شعرية بعنوان (الرائعة) . في عام ١٩٤٤ في بوينس ايرس وباخراج (Margerita Xirgú) كان العرض الاول لمسرحيتـــي « الفظاعة او الشناعة مسرحية شعرية ملينة بالرمز والدلالة تذكرنا بتقليد اسباني حيث يدعى الفقراء والشحاذون الى بيوت الاثرياء ، فيتحدثون عن الحب ، والسلطة ، والقسوة والوحدة . ويمكن مقارنة عملي هذا بـــ (بيت برناردا البا) لوركا ، و (غرديانا) بونويل . قبل سنتين تم عرض المسرحية ولاول مرة في اسبانيا باخراج ـــ (José Luis Alonso) وقامت بدور (Gorgo) الممثلة (Maria Casares) بعد هـــذه المسرحية لم اكتب للمسرح حتى عام ١٩٥٦ اذ كتبت انئذ مسرحية : (ليلة حرب في برادو) .

● اراد بريخت اخراجهـــا !

وحول كون النص غير مطواع للعرض المسرحي كما يشاع عنه يقـــول البرتي : ان النص في معنى ما ، استرجاعات شخصية لسنوات الحـــرب الاهلية في اسبانيا التي عشتها ، حيث كنت آنئذ شاهدا ومخططا لاخـــلاء متحف برادو في اللحظة التي تم فيها قصف مدريد . لقـــد اراد بريخت ان يخرج هذه المسرحية في برلين انسامبل ، ولكنه لم يحقق ذلك بسبب موته . اخرجها ايطاليون ومن بينهم ـــ ريتشارد سلفات ـــ وذلك في عام ١٩٧٤ حيث

طاف بعرضه اوروبا . كما وعرضت في مهرجان المسرح في المكسيك . بعد ذلك اخرجها بطريقة مغايرة المخرج الفرنسي (Jean Pierré Constanta) وحاليا تعرض في المركز القومي للدراما في مدريد باخراج (Ricard Salvat) وهذا هو العرض الاول لها في اسبانيا. انه لشرف لي ان تكون هذه المسرحية فاتحة لمسرح قومي رسمي دائم ، وحول فيما اذا كان البرتي قد ساهم بتفسير النص واعداد الموسيقى له مع المخرج يقول : لم اساهم في البروفات . كنت فقط في اخر عرض تجريبي عام قبل العرض الرسمي ، لكنني اعرف تفسيرات سلفات للنص بصورة جيدة ــ هنا في مدريد تكررت نفس الصيغة او الطريقة الايطالية التي عرضت وفقها المسرحية ، والفارق الوحيد هو الاستفادة من الكورس الذيدخلناه في عرضمدريد لاننا كنا نعتقد بان جمهور اليوم لم يعد يتذكر حرب ١٩٣٦ وشبيهاتها كحرب نابليون ١٨٠٨ ، بل انه لا يعرف حتى التاريخ . بعد ذلك يبدأ البرولوج ، وهو عبارة عن جزء غنائي تكاملي من المسرحية يتم على لسان شاعر قام بدوره جون ديغو .

بعد البرولوج المسرحي تتوزع الاحداث على خطين . ووفق طريقة سلفات تتحدد الثنائية الدرامية للاحداث . في الخط الاول تتردد احداث سنوات الحرب الاهلية في ١٩٣٦ . وفي الخط الثاني (المرتبط بالاول تاريخيا) تبرز حقائق من حرب نابليون .

في الخط الاول يقوم (Milicianos) باتخاذ موجودات متحف برادو وحيث تسمع انفجارات القنابل ، تبدو صالات المتحف مقفرة .

وفي الخط الثاني ، وضعيات حية من لوحات الرسامين غويا ، تيسيان ، الخ .

● العلاقة بين المؤلف والمسرح

النص المسرحي قبل عرضه غير موجود . لانه يجب ان يكون مقدما على خشبة المسرح ــ وباعتقادي ــ انه ليس جديرا بالقراءة . اعتقد ، ان المؤلف لا يستطيع بالدقة تقييم مسرحيته قبل ان يراها على خشبة المسرح . الكاتب المسرحي تعوزه التجربة المسرحية الحية ، وبخلاف ذلك فهو لن يتطور . لان المسرح ليس النص فقط وانه ليس لوحة او منظورا مسرحيا . المسرح مجموعة اعمال متشابكة معقدة وعلى المؤلف ان يعرفها جيدا ، خلال سنوات معينة لم اتابع في الحقيقة عروض مسرحياتي .

لكنني عشت في الارجنتين نجاحات مسرحيتي « الفظاعة » ، علما بان مسرحياتي لم يتسن لها ولوج خشبة المسرح لاسباب سياسية . كذلك عشت في ايطاليا النجاح الذي حققته مسرحيتي « ليالي الحرب » ولكن

هذا قليل جـــدا .

هنا في اسبانيا لفترة ليست بعيدة كانت جميع اعمالي ممنوعة ، ولهذا السبب لم استطع مواصلة الكتابة للمسرح بسبب فقداني امكانية التاكـــد مما اكتبه بنفسي على خشبة المسرح . مع ذلك فلدي بعض الافكار ، لربما ساتمكن بعد مشاهدتي لعرض « ليالي الحرب » في المسرح ، من تنفيذها .

● بدون الحريات الديمقراطية لا يتطور المسرح

وحول سؤال هل المسرح فن ضروري لمجتمع اليوم وفي الواقـــع المعاش الان ؟ يقول البرتي : في المسرح وبطريقة بسيطة يمكن قول اشياء جوهرية . لكن المهم ، من اجل قول شيء ما ، هو المشاهد المسرحي الذي عليه ان يرى ويسمع ، وقبل كل شيء ان يسمع اشياء مهمة .

على المسرح ان يقدم للمشاهد شيئا جديدا ، اكتشافا ما ، او شيئا لا يعرفه المشاهد او يتوقعه .

بامكان المسرح ان يحتل موقعا متميزا وهاما في حياة المجتمع المعاصرة السياسية والثقافية . ومن اجل ان يقوم المسرح باداء هذه الوظائف لا بد ، بل يجب توفير الديمقراطية والحرية في الكتابة او التجاوب ـــ على حد سواء كما ونحن بحاجة الى مساعدة الدولة من اجل اظهار هذه الاعمال على خشبة المسرح كي تصل الى المشاهد . ومن الضروري وجود مراكز للتمويل المادي حتى يستطيع المسرح ان يوجد في الحقيقة . المسرح اليوم يكلف كثيرا وبدون اعانات حكومية لا يزدهر . والحالة التي يعاني منها المسرح الاسباني تؤكد ذلك بطريقة قاسية . ولربما ستتغير الحالة . فالمركـــز القومي ، والمسارح الثابتة التي ستقام (عدا المسرح القومـــي ، حيث الاعانات المتواصلة تسمح لنا بحدود معينة للتفاؤل .

☆


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأشيـــــــاء

قصة : احمـــد عودة

كان يهم بالجلوس عندما اقتربت منه زوجه باضطراب . نظر اليها بعينين حادتين وزعق .

ما بك ايتها الحرباء ؟

جفلت وتراجعت بعيدا عن يده التي لا ترحم . غمغمت .

— فاطمة تدخن .

هب واقفا وصاح .

— ماذا ؟!

ظلت تتقهقر بفعل نظراته الحارقة رافعة كلتا يديها تتقي بهما صفعة حنت انها لا بد واردة صدغها . قالت متلعثمة .

— هي الآن مع زميلاتها طالبات الجامعة في حجرة الضيوف .

ظنت انها تلهيه بهذا عن نفسها . ولما ظل يسلقها بعينيه وأنفه يطرد الزفير بعنف ، قالت لتثبت صدقها على الأقل .

— « علبة السجائر في حقيبتها » . ادار عينيه في انحاء الحجرة ثم استدار نحوها هازا رأسه بما يشي أنه اهتدى الى فكرة معقولة . تنهدت بارتياح . زاد ارتياحها حين قال بحزم :

— سأحرجها امام زميلاتها . سأرغمها على ان تفتح حقيبتها وتنشر اشياءها تحت قدمي .

هتفت لسببين اولهما تحول غضبه عنها .

— حسنا تفعل .

تناول حقيبته السوداء . وقف امام المرآة يعدل من هندامه . مرر انامله على شاربه الكث ، ولما اطمأن الى ان مهابته لا يرقى اليها شك ، استدار الى زوجه عابسا .

— ان اتتك باكية فاياك ان تواسيها .

هزت رأسها موافقة وقصد هو حجرة الضيوف عازما على ان يقف ببابها طويلا ناظرا الى ابنته بصمت حتى تفهم انه كشف سوءتها وغفرانه مستحيل .

ما كاد يطل من الباب حتى قفزت ابنته نحوه بفرح . هتفت تقدمه لزميلاتها :

— بابا .

خطا الى الداخل يتلقى ايادي ناعمة بيديه . جلس وجلست على شفتيه ابتسامة بعرض الباب الذي دخل منه .

قالت فتاة رافعة حاجبيها اعجابا .

— ابوك « مودرن » .

سقطت نظراتها على حقيبته السوداء فصاحت بفرح :

— يا لها من حقيبة رائعة .

قبل ان يرتد طرفه عن الفتاة كانت يدها قد امتدت اليها . جعلت تقلبها . استعصى عليها فتحها . قالت فتاة اخرى وهي تخطف الحقيبة .

— هذا النوع من الحقائب صاحبها فقط يعرف سر فتحها .

امتدت اصابعه الى ربطة عنقه وشاربه يزهو . شهقت احداهن مأخوذة .

— صاحبها فقط ؟!

انتفخ انفه وقال :

— اجل ، لا احد غيري يستطيع فتحها .

قالت التي تحمل الحقيبة .

— هنالك بضع خانات من الأرقام .

قال وأصابعه تداعب ياقته المنشاة .

— ها انت قد امسكت بأول الخيط .

تساءلت :

— كيف ؟

انسحبت شفتاه عن صفين من الأسنان المذهبة .

— اذا رتبت الأرقام ترتيبا اعرفه انا وحدي عندئذ فقط تفتح .

— ونعرف ما فيها .

— وتعرفن ما فيها ؟

وثبت ابنته . خطفت الحقيبة صائحة :

— لن تفتحها غيري .

وقفت امامه مباشرة و يدها على الأرقام .

— لنأخذ الخانة الأولى . اعتقد انه الرقم خمسة .

— لا ستة .

— وثلاثة من الثانية .

— هذا صحيح .

— وتسعة من الثالثة .

— لا .. اربعة .

ضحك طويلا . اخرج علبة سجائره اشعل واحدة دخنها بتلذذ . مد العلبة نحوهن . تخاطفنها . حتى ابنته كان من نصيبها واحدة اشعلها لها وهو لا يفتأ يضحك . قالت :

— بقيت الخانة الأخيرة . لا بد انه الرقم اثنان .

— لا .. وانت الصادقة .. واحد . ها ها ها هه .

بانت من داخل الحقيبة كومة اوراق ودفاتر حسابات وحوالات . ازداد زهوا .

— لي رصيد في معظم المصارف .

تخاطفن الحقيبة ينظرن اشياءها ثم القتها اقربهن اليه على حجره فانتثر ما بداخلها ارضا . انحنى يجمع ما انتشر بينما انتظمن في احاديث شتى . شرع ينقر على سطح الحقيبة المفتوحة وقد ازداد شعوره بأنه بات مهملا . نهض بتثاقل . ترك الحجرة وعيناه لا تفارقان الأرض .

استقبلته زوجه بفرح وتساءلت :

— هه .. هل بكت ؟

انتفض ناظرا الى حقيبته المفتوحة . فكر ان يعود اليهن . تسمر عند الباب . استدار نحني الظهر والرأس . تهالك على اريكة قريبة . همس يحدث نفسه :

— هي التي فتحت حقيبتي ونثرت اشيائي .

جثت عند قدميه تحل رباط حذائه . رفع يده بمعنى لا . ولما نظرت اليه باندهاش من هذا التحول سارع الى اخفاء شاربه عنها .

●●



سلفادور دالي دجال أم فنان..؟

بقلم : برنارد ليفين

« يعتبر برنارد ليفين من اكثر النقاد البريطانيين عصرنية ، بحيث نغطي مقالاته في صحيفة الغارديز اللندنية اليومية جملة القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية ، ومنها هذا الراي التقييمي لسلفادور دالي » .

هل كان الرسام سلفادور دالي دجالا ؟ ان الرد على هذا السؤال بالايجاب يقتضي تبيان اين يوجد هذا الدجل بالضبط ؟

لم يكن دجله في سلوكه الشخصي ، وحكمنا ينبغي ان يكون على عمله الفني وليس على سلوكه الشخصي ، فهو رسام اصاب حظا كبيرا من الشهرة .

استنادا الى رسومات سلفادور دالى يمكن الحكم عليه بانه رسام لا تحتل اعماله الا هامش في فن الرسم العالمي ، بل ان شهرة دالي من قبيل الدعاية ، لانها تعني انتصار الدعاية على الفن . فقد كان يهتم بان يحتل اسمه عناوين المقالات الفنية معتمدا على براعته التي تشبه براعة لاعب « الداما » .

ان رسومات دالي ليست فنا وانما دعاية ، فقد صمم اعماله بهدف تجاري تعليمي مباشر وليس لغاية فنية خاصة . ومما يدل على خلو لوحاته من الحياة لمساته اللامعة البراقة ، والنظافة البالغة للفراغات الصحراوية وجلاميد الصخور المدورة وشعل النار والفتحات والمداخل .

وتاكيدا لما نقول يمكن مقارنة اعمال دالي باعمال الرسامين الاخرين ، وبالرغم من ان المقارنة عمل مكروه فانها مفيدة في تنميتها للوحات دالي .

فالفراغ مثلا — وهو من اكثر المواضيع التي ابرزها في اعماله كالصحارى اللامحدودة والمارية والتي تكتنفها مشاعر الوحدة مع امتداد الرمال المستوية — يفترض ان يثير في انفسنا مشاعر العزلة والرهبة من الخلاء ، الا انه في الواقع لا يثير هذه المشاعر . واذا وقفت وتاملت احدى لوحاته التي تمثل الفراغ فانك لا تشعر بالرهبة ولا بالخوف . ولنقارن هذا العمل بعمل فنان اخر هو ل. س. لاوري . فلاوري عندما يرسم الوحدة كما يمثلها البحر الخالي فانك لا تكاد تحبس نفسك من الرغبة في الصباح الما وخشية ان هذا يدل على ان انسانا احس بشيء ما ، وهؤلاء الذين يسمعون الصرخة يحسونها ايضا .

ولنقارن دالى برسام اخر اقرب اليه كثيرا ، وهو ماكس ايرنست ، وهو شخصية اصغر حجما في عالم السيريالية ، ولا يملك خيال دالي الفسيح ، الا انه اكثر صدقا واقناعا ، فعمله نتاج للخيال والتماسك ويسعى الى معنى معين ، لكن لوحات دالي لا تثير فينا مثل تلك المعاني التي تثيرها فينا لوحات ايرنست . بل لا اعتقد ان دالي كانت لديه مثل تلك الاحلام .

ولنجري المقارنة مع رسام اخر هو بيكاسو . وقد تكون المقارنة غير عادلة لان بيكاسو عملاق وبذلك نظلم دالي ، الا ان المقارنة مفيدة في حد ذاتها . فالمقارنة تثبت ان اعمال دالي ادنى مستوى بدرجة كبيرة حتى اذا قورن العملان في مراحلهما الاولى وهي التكعيبية لدى «دالي» والرمزية لدى « بيكاسو » .

والمقارنة الرابعة مع جوان ميرو ، ودالي وميرو رسامان اسبانيان وكلاهما سيريالي ، كما انهما التزما بمجموعة من الاشكال السائدة ، وهذا هو السبب في ان المقارنة ستكون عادلة .

ان الفرق واضح بين الاثنين . فاول ما تحس به تجاه لوحات ميرو هو الحياة ، فالاشكال تنطق وتنبض وتذخر بالدفء والحركة . ويحس المشاهد بالصراع المستمر والرغبة المستمرة في البحث عن شيء . الا ان اعمال دالي تفتقر الى هذه الحياة . اذ ليس لدى دالي ما يريد ان يقوله . ان المدافعين عن دالي سيقولون ان هذا ليس هدفه مثلما هو هدف ميرو . لكننا نقول ماهي قيمة عمل الفنان اذا خلا من الحياة ؟



معرض بيكاسو في نيويورك يكشف عقدة أمريكا الثقافية تجاه أوروبا

لقد اطلقت مجلة تايم الامريكية ، تعبير « عرض العروض » THE SHOW OF SHOWS على معرض الالف عمل التي يقدمها متحف الفن المعاصر في نيويورك للفنان الراحل بابلو بيكاسو ، وهو المعرض الذي يقدر عدد زواره يوميا بحوالي ثمانية الاف شخص . واذا كانت مجلة مثل « تايم » قد افردت لمعرض اعمال بيكاسو في امريكا ، غلافها الخارجي « كاشارة اهمية غير عادية » مع ست صفحات داخلية ، الا انها في ثنايا الموضوع كانت تعكس حجم العقدة الامريكية المعروفة تجاه الثقافة الاوروبية. فحداثة التاريخ الامريكي بالمقارنة مع تاريخ القارة الاوروبية المتضمن تراثا طويلا من الفكر الانساني ، ما يزال ظاهرة ملموسة في الطريقة التي تتعامل بها العقلية الامريكية مع الفنانين او المثقفين او المدارس الفكرية الاوروبية. ولذلك بين الاحساس الامريكي ، بالضالة الثقافية تجاه شخص مثل بيكاسو وبين الاحساس الاخر بالضخامة السياسية والاقتصادية تجاه القارة الاوروبية عموما ، جاء الاستقبال الامريكي لمعرض بيكاسو مظاهرة مندهشة معقدة الانفعالات .

يقول وليام روبين مدير قسم الرسم والنحت في معرض الفن الحديث (موما) بنيويورك ان اقامة هذا المعرض انما كان اساسا وفاء لوعد كان (روبين) قد قطعه شخصيا لبيكاسو عام ١٩٧٢ . ويضيف روبين : لقد ذهلت يومها لمشاهدتي لوحات لم تعرض بعد ، تضج بالالوان وكأنها الغابة

العذراء تصرخ فيها الغرابة من كل ناحية . ذهلت يومها لدرجة اللاوعي او الاغماء . وينتهي روبين للقول : لم اقرر اقامة معرض بيكاسو لولا قناعتي بان العالم لم يعط ، حتى اليوم ، الفكرة الصحيحة عنه ، والكاملة عن جميع اعمالـــه » .

وتشمل اعمال بيكاسو المعروضة ، تشكيلا عريضا يجمع ما بـــين لوحات معروفة تماما مثل انسات انينيون ، وغرنيكا والنسوة الثلاث ،بقدر ما يجمع منحوتات برونزية وقصاصات صغيرة واعمال خشبية وطينيـــة عارضة . يقول مدير المعرض : حاولنا في هذا المعرض ان نقدم عقليـــة بيكاسو . فالمادة اقل قيمة من تعبير ضمير يتحرك ابدا باتجاه الافضل .لذلك لاتستطيع فهم الروحية التي كانت للفنان الا عبر لوحاته الفنية » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثمانون الف جنيه ثمن
نسخة من الطبعة الاولى
لاعمال شكسبير

بيعت ، الشهر الماضي ، الطبعة الاولى من اعمال شكسبير ـــ بالحجم الكبير ـــ في شركة كريستي للمزادات والمأخوذة من مكتبـــة ارثر هاوتون

المليونير الامريكي (هاوي جمع الكتب القديمة) بمبلغ ٨٠ الف جنيه استرليني . وهذا المبلغ الهائل اثار دهشة المهتمين بعالم الكتب .

وكانت نسخة اخرى من الطبعة الاولى لاعمال شكسبير قد بيعت في باريس بمبلغ ٢٦٩٤٣٩ جنيه بالشهر الماضي (٢ر٦ مليون فرنك) . وكانت معظم النسخ التي بيعت من هذا النوع في السبعينات لا تزيد عن عشرين الف جنيه . اما هذه المبالغ المرتفعة في المزادات الاخيرة فقد اثارت الحيرة الشديدة عما اذا كانت نسخ الطبعة الاولى لشكسبير تستاهل هذا كله .

وكانت النسخة الغالية نظيفة وكاملة ولم يعبث بها احد بالرغم من انه اعيد تجليدها في اوائل القرن التاسع عشر . ووصف احد التجار هذه النسخة قائلا انها نسخة مناسبة لمائدة القهوة . اما اقل النسخ سعرا من حيث البيع في المزاد فكانت نسخة جرى « ترميمها » وثبتت بها بدائل للصفحات الناقصة الا انها تتميز بنفس تجليد القرن السابع عشر ، وعليها حاشية بخط مالكها في ذلك القرن .

واشترت شركة « كاريتش » النسخة الغالية بمبلغ ٨٠ الف جنيه استرليني ، كما انها هي التي اشترت النسخة السابقة في باريس في ٢٠ مايو الماضي .

وبيعت قصائد الشاعر الانجليزي اليكزاندر بوب في مخطوطتها الاصلية (٣٧ صفحة) بمبلغ ٢٦ الف جنيه استرليني ، وهو بعنوان «قصائد رعوية» واشترتها شركة فليمنغ . وفي هذه المخطوطة كتب الشاعر بخط يده انه انهاها وهو في السادسة عشرة من عمره .

ويعتبر ارثر هاوتون احد كبار جامعي الكتب الامريكيين ومنح النسخ الاولى من دواوين الشاعر «كيتس» و « شيلي » لجامعة هارفارد .

الا ان شركة كريستي للمزادات باعت بقية كتب ارثر هاوتون بمبلغ ٢ر١١٣ر٨١٠ جنيه .

كما بيعت مراسلات « صامويل بيبس » ورسائله الخاصة — والتي تغطي الفترة من ١٦٧٩ الى ١٧٠٣ بمبلغ مائة الف جنيه .

وبيعت الطبعة الاولى من «الفردوس المفقود» للشاعر ميلتون بمبلغ ٣٨ الف جنيه لشركة فليمنغ للمزادات . كما بيعت الطبعة الاولى من قصيدته المطولة « كوزموس » بمبلغ ٣٠ الف جنيه .



ادوار ووجوه متعددة لشخص واحد !!

القدرة على التقمص الدرامي لكن في إطار كوميدي

توفي الممثل الكوميدي البريطاني المعروف بيتر سيلرز عن عمر يناهز ٥٤ عاماً أثر نوبة قلبية في مستشفى ميدل سكس في لندن ، بعد أن عانى من نوبات مماثلة في السنوات الأخيرة كانت تنتهي بعلاجه كل مرة . والمعروف أن سيلرز بدأ حياته

الفنية بالسينما عام ١٩٥٦ وكان يلعب في الفيلم الواحد أكثر من دور لأكثر من شخصية . وكان في السنوات الأخيرة يحصل على مليون ونصف دولار سنوياً لقاء أعماله كحد أدنى . وفي الحرب العالمية الثانية شارك سيلرز كمجند في السلاح الجوي البريطاني في كل من بورما والهند والشرق الأوسط ، وهو من أم يهودية لكنه نشأ وتعلم في المدرسة الكاثوليكية الرومانية . وكانت بدايات سيلرز مع اذاعة (بي .بي .سي) البريطانية حين اتصل بهم تلفونياً وقدم نفسه بصوتين مختلفين وكانت هذه الحادثة هي الالتماع الأول لهذا النجم ، فقد عمل في حلقات اذاعية مسلسلة مع البي .بي .سي لمدة سبع سنوات متصلة . والق دروساً في تكنيك تعدد الشخصيات بالنسبة للممثل . وعن تجربته في ذلك قال ذات مرة أنه يبدأ بتقليد صوت الشخصية المراد لعب دورها و يظل يعمل على الصوت وحده فترة كافية حتى يجيده تماماً ثم يأتي تقليده لنظرة الشخصية وحركاتها ثم طريقة سيرها و بعد هذا كله يأتي دور الماكياج . حتى لكأن تلك الشخصية تكون انشقت من جسده وتقمصته تماماً حين ينظر الى المرآة .

يقول سيلرز عن هذه اللحظة أنها مخيفة جداً حينما ينظر الى المرآة فلا يجد سوى شخص آخر ، الأمر الذي أذهل نقاد السينما والذين شاهدوا أفلامه ، لما له من موهبة عالية في إجادة الأدوار المتعددة حتى في الفيلم الواحد وهو الأمر النادر في تاريخ السينما والذي يصل بالممثل الى مستوى من الاداء يجعل المشاهد لا يصدق أن من يلعب كل تلك الأدوار هو شخص واحد .

ولد سيلرز يوم ٨ سبتمبر ١٩٢٥ في ساوثسي و بعد عودته من الحرب تعرف عام ١٩٥١ على سبايك ميليجان النجم البريطاني المعروف آنذاك وقد اشترك في عدة أعمال اذاعية وتلفزيونية ، وقد تمتع سيلرز بشهرة الادوار التي كان يلعبها رغم أن شهرته هو كممثل كانت محدودة . وكان أول فيلم يجلب له الشهرة « أنا على ما

يرام يا سيد جاك » والذي بعده دب الحماس في سيلرز لمواصلة جهوده التي جعلته دائماً أكثر ابناء جيله انشغالاً بفنه . فظهرت بعد ذلك أفلامه المعروفة « الفأر الذي زأر » و « معركة الأجناس » و « لوليتا » و « بنك بانثر » و « والسماء فوقنا » و « بانثر يضرب للمرة الثانية » و « عودة بينك بانثر » وكان آخر أفلامه بعنوان « أن نكون هناك » .

ورغم أن بيتر سيلرز اشتهر كممثل كوميدي إلا أنه لا يرى في نفسه مكونات وعناصر الفكاهة ، فيقول أنه ليس كوميديا بطبعه ولكن الأدوار التي يلعبها هي أدوار كوميدية ، والجدير بالذكر أن الكوميديا لا تنبع لديه من التهريج ... ولكن في الحقيقة ذاتها ، من واقع الشخصيات الانسانية التي يؤدي أدوارها ، وهي تكاد تصل الى ذلك النوع من الكوميديا التراجيدية الضاحكة المبكية في آن واحد .

أما حياته الزوجية فقد بدأت عام ١٩٥١ حينما تزوج آني هايس — ممثلة سابقة — والتي أنجب منها ولداً و بنتاً وانتهت بالطلاق ليتزوج ثانية عام ١٩٦٤ من برت إيكلاند — الممثلة السويدية — التي انجب منها بنتاً واحدة أسمياها فيكتوريا وكان قد سمى ولديه السابقين من زوجته الأولى ميشال وسوزان . غير أن زواجه الثاني انتهى بالطلاق أيضاً عام ١٩٦٩ وتزوج عام ١٩٧٠ من ميراندا ابنة ريتشارد جون كواري وانتهت كذلك حياتهما بالطلاق عام ١٩٧٤ وفي فبراير ١٩٧٧ كانت ليندا فريدريك رابع زوجاته ، دون أن يحظى بحياة زوجية مستقرة أو تحظى الأربع اللواتي دخلن حياته بها . و يشير الأطباء الى أن حياة هذا الممثل الكبير كان لا بد أن تنتهي بالنوبة القلبية التي هاجمته في وقت مبكر عام ١٩٦٤ لأول مرة ولم تكف عن ملاحقته حتى صمت قلبه فجر يوم ٢٤ يوليو ١٩٨٠ .

●●

الفرودية تتسرب من بين أصابع فرويد

بقلم : **كولن ويلسون**

الكاتب المعروف كولن ويلسون نشر المقالة التالية في مجلة «ناو» ـ ٢٥ تموز ـ كمراجعة لكتابين صدرا حديثاً . الاول بعنوان «فرويد ـ الرجل والقضية» لرونالد كلارك ، والثاني بعنوان : فرويد ـ العالم البيولوجي للعقل لفرانك صولاوي» .

ARCHIVE

عندما توفي سيجموند فرويد عام ١٩٣٩ ، كانت قد تحققت له شهرة عالمية تقول بأنه وألبرت اينشتاين يعتبران من بين أعظم العقول العلمية في التاريخ . كما كان صراعه ضد التحيز والنظرة الضيقة قد تحول الى ما يشبه الاسطورة البطولية . فكان أن أحداً من العلماء المنصفين لم يعد يشك بنظريته الأساسية التي تقول بأن معظم أو كل الأمراض العصابية ذات منشأ جنسي .

وفي الخمسينات ، نشأت طبقة محدودة من علماء النفس ، ومعظمهم من السلوكيين ، أخذت تطرح شكوكاً حسية حول بعض ما يوصف بأنه منطلقات متطرفة للنظرية الفرويدية ، ومن ذلك النظرية القائلة بأن معظم الصبيان تكون لديهم هواجس خوف سرية من أن يخصون على يد آبائهم . غير أن الرفض أو التحدي الحقيقي للفرويدية لم يطرح بجدية إلا في مطالع الستينات . ففي «مجلة الأمراض العقلية والعصبية» قدم عالمان أمريكيان هما جوزيف وولب وستانلي راشمان تفنيداً مدروساً بدقة لواحدة من نظريات او بالأحرى انتصارات فرويد



وهي المعروفة ظاهرة « هانز الصغير» . ففي لغة هادئة الى درجة التجمد نفت هذه الدراسة وجود أي شواهد على أن « هانز الصغير» حاول أن يغوي أمه عندما كان في الرابعة من عمره ، أوأن خوفه من الخيول هو في حقيقة الأمر خوف من أعضاء أبيه . وقد استهدفت هذه الدراسة الخروج الى أن « فرويد » قام بتشويه الشواهد حتى تلائم نظرياته الجنسية . وهكذا كانت هذه الدراسة منطلقاً لموجة كاملة من التشكيك في أساسات النظرية الفرويدية .



فرويد صغيراً وشيخاً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد جاء الآن كتاب رونالد كلارك المسمى «فرويد — الرجل والقضية» وهو السيرة الذاتية المفصلة الأولى التي تنشر عن فرويد منذ ربع قرن أي بعد المجلدات الثلاثة التي أصدرها آرنست جونز في الخمسينات . وفي كتاب كلارك (نشرته شركة ويدنفيلد ونيكولسون) جاءت رؤية تفسيرية واضحة لنجاحات فرويد في اقناع العالم بأن الجنس كان المنطلق الأول والأوحد للأمراض العقلية ، وأنه القوة السرية الدافعة وراء ما يسمى بالدوافع الانسانية العليا . فعظم نجاحات فرويد يعود الفضل فيها لأعدائه أي «للرفض التوبيخي الذي صدر من المؤسسات الطبية التي كان اعضاؤها يعتمدون ليس على الحجة وانما على التقاليد الاجتماعية والمفاهيم الموروثة» . فمن واقع أن مناهضيه واعدائه ظهروا للرأي العام وكأنهم غلاة التراث ، فقد تحققت لفرويد تلك الشهرة على أنه نموذج الرجل العبقري الذي يساء فهمه في زمانه . وبهذا المعنى فقد أدرج الرأي العام مسألة فرويد ضمن سيناريو «المجددين من العلماء التربين الذين يصطدمون بالتراث المسيحي» على غرار غاليليو وداروين . وبموجب هذا الانطباع حصد داروين الشهرة البطولة .

ويمضي كتاب رونالد كلارك متضمناً كشوفات متعاطفة وموضوعية بما يترك انطباعاً بأن النقاد الجدد للفرويدية جاءوا على حق . ففي قناعة مناهضي فرويد أنه ذاك النوع من الرجال الذين يشتغلون على مبدأ الثقة . ففي مستهل حياته العملية وقع فرويد بخطأين كانا يمكن أن يدمرانه لو أنه أقل ثقة بنفسه . فقد أعلن في تلك الفترة أنه اكتشف علاجاً للادمان على المورفين باستخدام حقنة من الكوكايين . وقد سببت تلك النظرية لفرويد أضراراً كثيرة قبل أن يتأكد الجميع من أن الكوكايين مخدر أدماني مثل المورفين . أما النظرية الثانية التي سقط بها فرويد في مطلع حياته فهي التي قال فيها أنه اكتشف بأن معظم مرضى العصاب تعرضوا في صباهم لتحرش جنسي من الكبار وفي الغالب من الآباء . وقد اضطر فرويد بعد

ذلك لأن يعترف بجسامة الخطأ في تلك النظرية أو الاكتشاف .

ولعل أكثر ما أثار غضب نقاد فرويد ، هو تأكيداته السوداء ذات المزاج المتشائم والتي تقوم كأساس لمعظم أفكاره فالمخلوقات البشرية بالنسبة له ، ليست سوى دمى عاجزة في يد « قوى لاواعية عملاقة » ، الأمر الذي يلغي أو يعطل دور الارادة الواعية الحرة للانسان .

وقد أراد المؤلف ، رونالد كلارك ، أن يعطي الانطباع بأن فرويد أعاد كتابة تاريخ التحليل النفسي باستفاضة وجذرية على غرار ما فعله جوزيف ستالين عندما أراد اعادة كتابة تاريخ الثورة الروسية . ولعل هذا الوصف أو بالأحرى هذه التهمة تتكرر تقريباً في الكتاب الآخر الذي صدر حديثاً تحت عنوان « فرويد — العالم البيولوجي للعقل » من تأليف فرانك صولاوي . فكما فعل كلارك ، فان صولاوي يشتغل على التأكيدات بأنه لا يستهدف مهاجمة فرويد ، غير أن ما ينتهي اليه المؤلفان في النهاية يأتي مدمراً ، حيث يبدو فرويد من سيرته وكأنه أكاديمي ضيق الأفق ، فيه من الروح العلمية أقل بكثير مما فيه من الرغبة المجردة بدحر خصومه . وكما يصوغها كلارك فان فرويد « كأي زعيم ديني ، أو كأي رئيس للاركان ، كان يعرف بأن العالم الخارجي ينبغي طرحه من خلال أشخاص يتميزون بالثقة بالنفس و بالعزم و بالثبات على الموقف » .

كما تطرح السيرة الذاتية الجديدة لفرويد تفسيراً جديداً لثقته بنفسه وهو خوفه المتأصل من النزعات المعادية للسامية . فقد تركت له أمه تراثاً يتلخص بدعوته لأن يثق بنفسه . وقد نقل عن فرويد قوله ذات مرة : إذا كان الرجل وحيد أمه المدلل ، فانه يظل طوال حياته يعايش الشعور بالانتصار ، والثقة بالنجاح الدائم » . غير أن فرويد بالمقابل كان يرث عن ابيه إحساسا مناقضاً يقوم على الشك بالنفس ، ففي سيرة فرويد أن والده روى له (بشكل مهين) كيف أن أحد المسيحيين ضربه

فاسقط القبعة عن رأسه قائلا : « أذهب عني أيها اليهودي » . ولعله من هذه الرواية المهينة ، ظل فرويد يكرر لسنوات طويلة قصة القائد القرطاجي المعروف هنيبعل الذي رباه أبوه منذ الصغر على حليب الثأر من الرومان .

وهكذا نشأ فرويد رقيق البنية لا يسامح . ومع أنه بالظروف العادية فائق الرقة والنعومة إلا أنه يتحول الى انسان عديم الرحمة عندما يستشعر الرفض . وقد حصل ذلك مع صديقه « برواز » الذي شاركه تأسيس علم التحليل النفسي لكنه أعلن شكه ورفضه لنظرية فرويد القائلة بـ « إغواء الطفولة » . وذات يوم عندما التقيا في الشارع فتح « برواز » ذراعيه ليحتضن فرويد بموجب صداقتهما الحميمة القديمة ، غير أن فرويد ، متأثراً من رفض صديقه لاحدى نظرياته ، مشى جاعلاً نفسه وكأنه لم يشاهده . وقد وصل الحد بفرويد أن يعمل على تحطيم المعارف والأصدقاء ممن يشعر أنهم تخلوا او استقلوا عنه . فقد وصف المحلل السيكلوجي المعروف « يونغ » كيف أنه شارف على الجنون عندما انفصل عن فرويد . وكذلك حصل مع ويلهيم رايش الذي وصل حد الانهيار العصبي وفكر بالانتحار. أما فيكتور تاوسك ، أحد أكثر تلامذته ذكاء ، فقد علق نفسه وانتحر بالرصاص عندما أدار فرويد له ظهره . وكذلك هيربرت سيلبرر الذي شنق نفسه بقضبان النافذة تاركا على وجهه صفيحة لماعة تعكس الضوء لتراه زوجته لدى عودتها . وقد فعل ذلك بنفسه لأن فرويد رفضه وطرده . وقد كانت « جريمة » كل هؤلاء ، في نظر فرويد ، أنهم أظهروا نزعات استقلالية أكثر من اللازم .

و ينتهي الكتابان عن سيرة فرويد بالتأكيد على أنه ليس مكتشف اللاشعور وانما مجرد الكاتب الدرامي لحالة اللاشعور التي كانت معروفة قبل فرويد بفترة طويلة ، ولعل الانجاز الحقيقي للفرويدية كونها قامت بتصوير اللاشعور كمملاق مقيد بالأصفاد ، قد ساهمت في الإحاطة بضخامة وغرابة العقل البشري .

رسائل

١- رسالة باريس
حامد طاهر

٢- رسالة كابن
خيرية البشلاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة باريس من حامد طاهر

ستندال وإيطاليا

بعض الاماكن لها في حياة الكتاب ارتباط عاطفي خاص . وقديما قال صوفي مسلم : لقد اقمت بجوار شجرة اربعين سنة ، **لانني وجدت قلبي عندها . وربما** انطبق هذا **بصورة او باخرى** على الكاتب **الفرنسي الكبير** ستندال (١٧٨٣ — ١٨٤٢) **الذي قضى ثلث** حياته **تقريبا في ايطاليا ، واجدا في مدينة** ميلانو جنته **المفقودة . كان ارتباط** ستندال **بتلك المدينة قويا . فيها عرف** سعادة الحياة ، ومنها استلهم حرارة الكتابة . **لهذا كان من الطبيعي ان** تستقبل المدينة الايطالية ، هذا العام ، المؤتمر الرابع عشر حول الكاتب الفرنسي .

في ذلك المؤتمر ، الذي اصبح احتفالا سنويا يتألق باجتماع كبار المتخصصين في اعمال ستندال من شتى انحاء العالم ، اعلن عن اكتشاف عدد اخر من مخطوطاته التي لم تنشر بعد . لكن الموضوع الذي سيطر على المؤتمر ظل هو ذلك الارتباط العاطفي الجارف بين ستندال وايطاليا بصفة عامة ، ومدينة ميلانو بصفة خاصة . اننا نقرأ في الفقرة الاخيرة من كتابه **حياة هنري برولار** الاعتراف التالي : « لقد هممت ، وما زلت اهيم ، فيما اعتقد بامرأة تسمى ميلانو . . هذه المدينة اصبحت بالنسبة لي اجمل مكان في الارض . ميلانو كانت بالنسبة لي من سنة ١٨٠٠ حتى ١٨٢١ المكان الذي اشتهيت من كل قلبي ان اعيش فيه . وهذه كانت اجمل ايام حياتي » وهكذا كانت مدينة ميلانو (التي يعني اسمها : الف سنة) امراة في عين ستندال ، في حين انه قد تعرض فيها لبعض الازمات النفسية الحادة . . مثلا انجيلا بيتر جيرا التي احبها ، كما يقول ، حتى الموت ، خانته ، والجميلة مانيلو ديمبوفسكي رفضه بصورة قاطعة . لكنه استمر يحب تلك البلاد ، وكم من

المرات صرح بان امه من اصل ايطالي ، حتى يبرر لنفسه مصدر هذا الحب العنيف !

اتخذت اقامة ستندال في ايطاليا اشكالا متنوعة : فهو احيانا سائح ، واحيانا اخرى منفى باختياره ، واحيانا ثالثة هو المتنصل العسكري لفرنسا وهكذا فقد تعلم ان يسافر ويتجول بصورة شبه ثورية . وعلى العكس من سابقيه : مونتاني ، ومنتسكيو ، ومدام دي ستايل ، وجوته ، وشاتوبريان الذين كانوا ماخوذين بذكرى الامبراطورية الرومانية القديمة ، وخرائبها المتبقية ، ونموذجها الديمقراطي ، ومجموعة الاساطير التي التفت حولها ، والتي شاركت فيها مختلف العصور اللاحقة ، فان ستندال لم يكن ـــ في ايطاليا ـــ اكثر من زائر هاو .. رافض لهذا الاعجاب الزائف ، والذي هاجمه بصفة خاصة لدى شاتوبريان .

كان من راي ستندال ان يقوم الكاتب بترجمة المواطف المحسوس بها فعلا في عصره ، والمتأرجحة دائما بين البعد والانخراط ، بين الخالد والعابر في صدمة لقاءاته مع الناس والاشياء . ماذا يهم الشكل حينئذ ؟ من بغضه لزخارف الاسلوب المصطنعة ، وعدم ثقته في البحوث المتبحرة ،حاول ستندال ان يقيم من خلال رحلاته ، ورواياته ايضا ، تلك العلاقة ، وان ينفخ في فوضى تقاربها وتباعدها « نارا مبدعة » استطاع ان يلمحها في افق ابعد بكثير من جبال الالب . ان المشروع الادبي الذي قام بتنفيذه يعتبر اوضح دليل على ذلك : رحلات في ايطاليا ، تاريخ الرسم في ايطاليا ، حياة روسيني ، روما ، نابولي ، فلورنسا . لاشارتريز دي بارم . واخيرا قصص ايطالية التي استوحاها من الحكايات الشعبية التي ظهرت له اسمى ما في الروح الايطالية .

في بداية اعجاب ستندال بايطاليا ، نلتقي بشاب عسكري ، ذي سبعة وعشرين سنة ، هو نابليون ، او كما كان يسمى في ذلك الوقت بونابرت . ذلك الضابط الذي كان متحليا بكل الفضائل ، على الاقل فيما يتعلق بعمله في ايطاليا . لقد صنع استبداد بونابرت العجائب في بلد وجد فيه مزاجه الشخصي . يقول ستندال : « نابليون سلب فرنسا الحرية التي كانت تتمتع بها سنة ١٨٠٠ ، واستقدم لها الجزويت ، اما في ايطاليا .. فقد الغى التعسف ، وحمى الجدارة » . ان نجاح نابليون في عين ستندال يرجع

بصفة خاصة الى مشروعه الاحيائي العظيم ، وهكذا فانه ضد ضعف القرن الثامن عشر وشيخوخته ، نفخ في الشعب الايطالي مشاعر سامية ، موقظا فيه الطاقات التي انعشت مدن العصور الوسطى ، ووجهتها ناحية مفهوم « الامة » الذي كان احد الاختراعات الاوروبية الجديدة في ذلك الوقت . ولكي نقتنع بالدور الحاسم الذي يعطيه ستندال لتحقيق هذا المشروع ، يكفي ان نقرأ الفصل الاول من شارتريز حيث توجد الفكرة الاساسية التاليـــة : « اننا نحيا لكي نكون سعداء . وبعد قرون من الاحساسات الماسخة ، كان يجب ان نحب الوطن حبا حقيقيا ، وان نبحث عن الاعمال البطولية . كنا غرقى في ليل عميق باستمرار الاستبداد الكئيب لدى شارل كينت ، وفيليب بو الثاني . وحين حطمنا تماثيلهما ، وجدنا انفسنا فجاة مغمورين بالنور » .

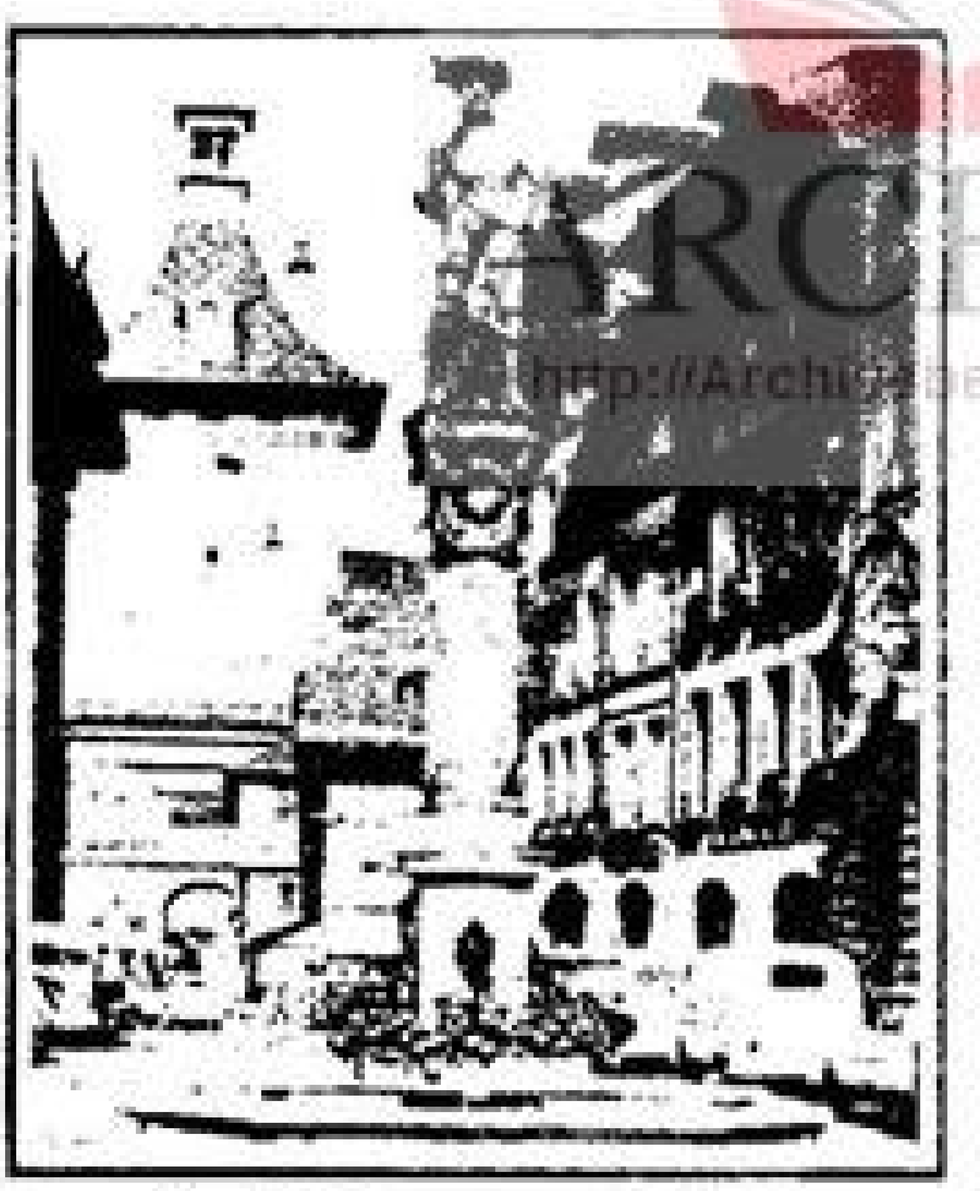
كانت ايطاليا اذن هي الارض الملائمة لبناء امة ، واقامة دولة . وقد اتيح لستندال ان يشاهد الايطاليين وهم يقومون بتنفيذ هذا المشروع الجليل لاتنقصهم القوة ، ولا الدقة ، ولا الشجاعة ، ولا التسامح ، ولا الرقة . وكل هذه العناصر اتاحت لستندال ان يعقد مقارنة مثيرة بين الشعب الايطالي وبين الشعب الالماني ، القاسي ، والمزهو بنفسه، والمحصور داخل تخيلات خادعة ، والشعب الانجليزي الماكر ، والمسجون في نموذجه الاجتماعـــي المترفع « لا يوجد انجليزي في المائة يجرؤ ان يكون هو نفسه .. كما انه لا يوجد ايطالي في العشرة يتصور انه يمكن ان يكون على نحو اخر .. الانجليزي وحده امام مدفأة منزله لا يجرؤ ان يشبك ركبتيه ، خوفا من ان يظهر بمظهر الانسان غير المتحضر » . حتى الشعب الفرنسي نفسه بدا لستندال متعجرفا على غير اساس ، عاطفيا ، لا يعبر الا عن اراء مسبقة ، مشلولا بالخوف من ان يصرح براي شخصي ! اما الايطاليون من بين هؤلاء جميعا فانهم يتميزون بفضيلة نادرة ، وهي انهم قادرون على الانفعال ، ولديهم تطلع الى السعادة .

عندما اراد استندال ان يعبر عن عاطفة الشعب الايطالي ، اخترع شخصية فابريس دل دينجو ، الذي القت به فرنسا في السجن بسبب لهجته الايطالية ، وقد قال بلزاك عن مؤلف الرواية عبارة هزته اكثر من اي نقد اخر وهي : « لو كان ماكيافيللي حيا ، لكتب شارتريز دى بارم » .

بالاضافة الى ذلك ، فان اللغة الايطالية قد ظل لها عند ستندال مذاقا خاصا ، وسحرا لا يقاوم .. كان يرى انها افضل لغة تعبر عن مشاعـــر الحب ، وتسجل حركته الداخلية في النفس ، في حين بدت الفرنسية ،لغته الام ، افقر منها في هذا المجال . يقول : « اللغة الفرنسية المعاصرة لا تتيح قط مديح امراة باكثر من ثلاث او اربع عبارات تكون اثني عشر سطرا ! » ومن هنا ، في كل مرة اراد ستندال ان يعبر عن حركات القلب في مجال

العاطفة ، كان يلجأ الى استخدام تعبير ايطالي ، غالبا من لهجة محلية ، وربما سجله احيانا بصورة تنم عن نطقه السيء له . وعلى اية حال ، فان اللغة الايطالية تمثلت له دائما على انها لغة تسجيل الانفعالات الداخلية في الانسان . ومن بين هذه الانفعالات المرتبطة بالنموذج الجميل الذي نشرته الحركة الرومانتيكية في ذلك الوقت في ميلانو ، تحتل الاوبرا مكانا بارزا . في هذا الفن الغنائي الرفيع ، استطاع الايطاليون ان يقدموا افضل ما عندهم. وقد غدا استندال خبيرا في هذا المجال : دراسات حول الممثل ــ المطرب ، ومن اخراج الاوبرا ، وتثقيف الجمهور باصولها . يقول : « ان مسرح سكالا هو صالون المدينة ، الذي لا يلتقي المجتمع الا فيه .. الى اللقاء عند سكالا .. عبارة يقولها اهل ميلانو كلهم فيما يتعلق باي شأن من شؤونهم . ذلك هو اول جانب رائع ، اسجله وانا مأخوذ » .

وهكذا كانت ميلانو بالنسبة الى ستندال المكان الذي احس فيه بالسعادة ، واستلهم فيه نار الابداع ، كما احترق فيه ايضا بالحب .. وباختصار ، فانها كانت بالنسبة اليه : المكان الذي وجد فيه قلبه !



سويسرا تبحث عن هويتها الثقافية

بين عاصمة سويسرا

اكثر من عشرين اقليما ، واربع لغات رسمية ، وثلاثة اجناس متجاورة تخلق على الرغم منها ، وبفضل لغاتها (الالمانية والفرنسية والايطالية) سيطرة ثقافية كثيرا ما تلام عليها ، وادبا ليس في حاجة الى التعريف بنفسه في الخارج ، وفنا سينمائيا معترف به عالميا .. هذه هي الحالة المتناقضة

التي توجد فيها سويسرا حاليا .

من المعروف انه لا توجد في سويسرا وزارة للثقافة . والمشكلة الان: كيف توضع خطة ثقافية موحدة على المستوى الفيدرالي ، في نفس الوقت الذي ينبغي ان يحافظ فيه على شخصية كل اقليم وكل مقاطعة ؟

ذات يوم ، قال صانع ساعات لابنه : « جان جاك .. احب بلادك » واشتهرت العبارة حتى اصبحت تتصدر بحروف سوداء بارزة واجهة احد المحلات الكبرى ، الذي اقيم مكان المنزل الذي سكنه في جنيف جان جاك روسو .. لاشك في ان تراث هذا الكاتب العظيم هو الذي يمكن ان تبدأ منه الهوية السويسرية اذا شاءت .. والا فقد اعلنت في سويسرا الحركة الدادية ، لكنها لم تكن بحال ما تعبيرا عنها ، واقام فيها كتاب كبار من امثال دينيس دي روجمون ، والبير كوهين .. الا ان اعمال الاول ظلت في صميمها اوروبية ، في حين صدر الثاني دائما عن العقيدة اليهودية .

في الواقع ، ترجع روح الانفتاح التي تتميز بها سويسرا الى مجموعة ضخمة من الفنانين والكتاب والعلماء الذين كانوا يمثلون في النصف الاول من القرن العشرين القوة الحيوية في البلاد . ويكفي ان نستشهد من بينهم براميز ، وساندراز ، وكوربيزيه ، وهونجير ، وكارل بيرت ، ويونج . بالاضافة الى البير اينشتين والبير كوهين اللذين حصلا على الجنسية السويسرية .

بفضل هؤلاء ، اصبحت سويسرا ملتقى للفكر الحضاري في اوروبا ، ويكفي ان نتوقف قليلا عند روجمون ، الذي يكتب بالفرنسية ، لنجد انه اول من عرف الفرنسيين باعمال كيركجارد وكافكا وانه الذي نشر .. قبل ظهور الوجودية بعشر سنوات ــ كتابه الشهير **التفكير بالايدي** ، والذي يحدد فيه قضية الالتزام ، التزام الكاتب بقضايا مجتمعه . اما في كتابه الاخر **الحب والغرب** فانه يرسم الخطوط الاساسية لاقامة مدينة كبرى مثالية هي نفسها اوروبا ، يغدو فيها الانسان مدافعا عن الطبيعة ، بدلا من ان يكون متسلطا عليها او هادما لها .

يقول فردريك ديبوا ، الشاعر والروائي والكاتب المسرحي ، وايضا رئيس قسم العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية السويسرية : « السعيد من يقول لي : ان السياسة الثقافية توجد ، وانه التقى بها » . انه في المجتمع الاوروبي الحديث ، وليس في سويسرا وحدها ، يمر الانسان بازمة حقيقية فاسطورة التقدم المستمر تترك في نفسه طعما بالمرارة وخيبة الامل من عدم تحقيق سعادته الداخلية . كما ان هناك شعورا حادا بتهافت ذلك البناء المادي الضخم والذي يزداد في كل يوم قسوة وصلابة . اين البعد الروحي في حياتنا ؟ هذا هو مايجب ان تجيب عنه السياسة الثقافية لبلد ما

.. وهو ما يواجه سويسرا حاليا بصورة اكثر حدة من اي وقت اخر .

وباختصار ماذا ننتظر من السياسة الثقافية ؟ سببا لوجودنا ، دلالة جديدة للحياة ، علامة ترشد المجتمع المعاصر الى طريـــق المستقبل . وبهذا فانها تضم مجالا اوسع بكثير من مجرد العلاقة بين الفن التقليدي وجمهوره ، او المشكلات المرتبطة بالتعليم والتربية ، يجب ان نتوقع من تلك السياسة الثقافية ان تغير المفاهيم العتيقة ، وتؤكد على الترابط الحميم بين الانسان والبيئة المحيطة به ، بين الانسان والجماعة التي يعيش بينها .

من هنا ، فان مفهوم الثقافة يتسع بصورة هائلة . اذ يجب ان ياخذ في اعتباره من الناحية العملية كل الاسئلة المطروحة على المجتمع الحديث : المتع العصرية المتزايدة ، الحاجة الى الرحيل ، المعمار ، البيئة ، الحفاظ على التراث ، التعبير عن الهوية الثقافية . وهكذا ينبغي ان يتواجد المثقف كما يتواجد رجل السياسة .. الا يلاحظ ان المقالات والخطب السياسية حاليا قد اصبحت تستعين الى حد كبير بالعناصر الثقافية في مخاطبـــة الجماهير .. لذلك لم يكن عجيبا ان يؤكد وزراء ثقافة دول اوروبا ، اثناء اجتماعهم في اثينا سنة ١٩٧٩ على الفكرة التالية ، وهي ان التطور الثقافي يمثل حجر الاساس لكل السياسات الاخرى ، واهمها السياسة الاقتصادية

ان هذه الفكرة ذات تقدير كبير في سويسرا ، لكن المشكلة لا تتمثل على المستوى النظري فقط . لايكفي مثلا ان نطلق عبارات سحرية لنجد الواقع قد تغير في طرفة عين . فهناك في سويسرا اربع لغات رسمية ، كما ان بعض المدن السويسرية يتوافر لها من الامكانيات المادية والادبية ما لا يتوافر لغيرها ، وفي نفس الوقت فان دستور الاتحاد الفيدرالي المطبق في سويسرا لا يحتوي على اي نص يفرض سياسة ثقافية موحدة على جميع المدن والاقاليم ، نظرا لاختلافاتها العرقية واللغوية .. ومع ذلك ، فقد اتخذت عدة اجراءات يمكنها ان تستجيب لضرورتين ملحتين . الاولى ان يتاح لكل مواطن في سويسرا قدر كاف من الزاد الثقافي ، وان تسهل لـــه الوسائل التي توصل اليه الحياة الثقافية في مختلف اشكالها . والثانية ان يراعى احترام الشخصيات المستقلة التي تتكون منها الاقاليم السويسرية المختلفة .

اما محاور هذه السياسة الثقافية ، ان جاز التعبير ، فتقوم على تقديم كافة المعونات المادية والمالية للمؤسسات الثقافية بدون حدود ، وتسهيل التبادل الثقافي بين الاقاليم المختلفة اللغات ، والحفـــاظ على التراث السويسري ، وتشجيع الابداع الفكري دون المساس قط بحـــرية الادباء والمفكرين .

وهكذا يصبح من الضروري ان تضع الثقافة في المكان الذي تلعب فيه دورها الاساسي ، اي ان نجعل منها مرآة تتيح للمجتمع ولكل فرد فيه ان يجد انعكاسا له ، حتى يمكنه بالتالي ان يطرح على نفسه بعض الاسئلة .



مركز بومبيدو بعد ثلاث سنوات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحتفل حاليا مركز بوبور (Beaubourg) او كما اصبح يطلق عليه تسهيلا مركز جورج بومبيدو ، نسبة الى صاحب فكرة انشائه ، الرئيس الفرنسي الراحل ، بمرور ثلاثة اعوام على افتتاحه ، بعد هذه الفترة ، اصبح من الممكن قياس النتائج ، وتقدير حجم الخدمات الثقافية والفنية التي يقدمها اكبر مركز ثقافي في فرنسا .. مثلا كاد النقاش الحاد حول معماره العجيب (الذي يشبه من الخارج مصنعا مربع الشكل ، تقوم حوله انابيب حديدية ضخمة كأنها مداخن) يختفي .. وابتلعت باريس مع مرور الوقت تلك البناية الغريبة التي تشذ عما حولها في قلب العاصمة . لكن الملاحظ ان المركز بدا انه يستجيب فعلا لرغبة عارمة في الاستهلاك الثقافي لدى الجماهير (عشرون الف زائر يوميا) كما ان احد اسباب هذا النجاح يعود الى تنوع الانشطة الثقافية التي يجمعها مبناه الموحد .

ان قصة تشييد هذا المركز الضخم هي نفسها قصة لون من التخطيط الثقافي الحديث ، حاول ان يوفق بين حاجة الانسان الاوروبي الى تطوير ملكاته الذهنية والجمالية ، وبين اعتصاره الشديد بسرعة إيقاع العصر ، وتطورات التكنولوجيا المذهلة .

يقوم المركز على مساحة ١٠٠ الف متر مربع . وهو يتكون من مكتبة عامة ، ومتحف للفن الحديث ، وعدة صالات واسعة لعروض الرسم والتصوير والنحت ، بالاضافة الى صالات اخرى للعروض السينمائية ، والمسرحية ، والندوات الشعرية والمحاضرات . وهذا هو الجديد فيه . اذ حتى الوقت الحاضر ، مازالت معظم الدول في العالم تنشىء المكتبات في جانب والمتاحف في جانب اخر ، وصالات السينما والمسرح والندوات كل على حدة .. اما في مركز بومبيدو فا ن هذه الانشطة كلها تتجاور وتتناسق في مكان واحد ، وهكذا اصبح في امكان الزائر الذي يود ان يقضي يوما ثقافيا متنوعا ان يجد في المركز كل ما يمكن ان يراه .

كانت هناك فكرة منذ عدة سنوات تخامر بلدية باريس في انشاء مكتبة عامة ومتحف للفن الحديث ، حتى جاء جورج بومبيدو ، رئيس الجمهورية « الشغوف جدا » على حد تعبيره بالفن الحديث ، فدفع بالفكرة الى مجال التطبيق .. ثم بدات تضاف افكار اخرى ، كان لها وجاهتها . فدخلت السينما والمسرح والندوات الشعرية والمحاضرات الثقافية على اختلاف انواعها تم بالاضافة الى هذا كله اقيم مركز للابداع الصناعي ومركز للصوتيات .

لماذا اختارت اللجنة المشرفة على تنفيذ هذا المشروع تصميم المهندسين الايطاليين بيانو وروجر من بين تصميمات ٨٥٠ مهندسا تقدموا بتصوراتهم المعمارية في اكبر مسابقة عالمية من نوعها ؟ من بين الاسباب ، ان تصميم الايطاليين يتميز بانه يقدم افضل علاقة ممكنة بين المساحات النافعة والمساحات المشيدة ، اذ تمكن المهندسان بفضل حيلة معمارية بارعة من اضافة ٢٠٪ الى مساحة المائة متر المربع ، وذلك بنقل المصاعد الكهربائية الى خارج جسم المبنى نفسه ، متيحين بذلك خلق بانوراما رائعة للزائر الذي يصعد الى الدور الخامس ، وهو يشاهد بالتدريج معالم باريس المحيطة به من خلال زجاج شفاف .

قيل عن المركز انه **ماكينة ثقافة** وهذا حق .. فالزائر بانتقاله من جناح الى اخر يتمكن من التزود بعدة شحنات ثقافية متنوعة في وقت واحد . ولا شك في ان هذا يطرد الملل ، وربما غطى على كثير من الارهاق . لكن المنتقدين يرون الخطورة كامنة في طابع السطحية المرتبط بسرعة الوقوف على عدة الوان ثقافية وفنية في وقت قصير .. المفروض في زائر المتحف ان يقف طويلا امام اللوحات ، فانها لاتفضي باسرارها بسهولة ، حتى تبرز له ابعادها الحقيقية . اما في متحف المركز ، فهناك دائما الجمهور الغفير ، الذي يدافع بعضه بعضا ، ويستعجل بعضه بعضا ، والادهى انه غالبا ما يحدث ان يمر شخص او عدة اشخاص امام مشاهد اللوحة ، فيقطع عليه

تأملاته الخاصة !

متحف المركز غني جدا . فهو يحتوي على ٤٣٤٨ لوحة زيتية ، ٥٦٢٠ رسما ، ١٩٠٢ عملا نحتيا ، ٧٨٩ قطعة فنية ، ٨٣٥ صورة فوتوغرافية .

لكن المكتبة ، على الرغم من ضخامتها وحداثتها ، مازالت في حاجة الى مزيد . اما بالنسبة للمركز الخاص بالابداع الصناعـــــي (C.C.I.) والذي يهدف الى اختراع اساليب جديدة لاضافة عنصر جمالـــي للالات والاجهزة المستخدمة حاليا في المجتمع الصناعي ، فانه مازال قاصرا على دور العرض ، اكثر من الانطلاق فيمجال الابداع الحقيقي . ويـــــرى المراقبون انه مازال يفتقر الى المبدعين في حين انه يمتلىء بالمحافظين !

ومهما يكن من شأن هذه النقاط السلبية ، فان اقبال الجمهور المتزايد كل يوم ، والذي فاق كثيرا توقعات المشرفين على المركز ، قد جعل هؤلاء يدركون بارتياح نجا حفكرتهم الاساسية ، في انشاء ذلك المجمع الثقافي والفني ، ويشعرون بالتالي انها تستحق منهم المزيد من المتابعة والتطوير .

حامد طاهر ــ باريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

●●

اليابان تقدم فيلم الثمانينات دون جدال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيلم « كاجيموشا » وتعني باليابانية « ظل المحارب » يعد رائعة مرئية تمنحك هذا الثراء البصري المذهل الذي يأسر عين المشاهد ويستولي على وجدانه وحواسه ، وتدفعه للتركيز الى درجة الاستغراق الكامل في هذا العالم الذي تعود أحداثه الى اربعة قرون مضت ، فلا يخرج منه قبل كلمة النهاية، ثم بعد النهاية يستجمع ذاته في محاولة لتأمل جمال تلك التجربة كثافتها وعمقها وروعة الالوان التي رسمت بها . انها هذا الثراء الباهر الذي لا يخطف الالباب وانما يريح العقل وينعش الوجدان ويجعل المرء مستبشرا ومتفائلا بأن لاوجاع العالم الذي نعيشه مهدئات تجدها في الفن واحيانا كثيرة في فن السينما حين تتحول الصورة الى نوع من الجمال الخالص الذي يشيع ثروة من المعاني ..

لقد انتزع الفنان الياباني اكيرا كيروساوا (٧٠ سنة) الجائزة الكبرى في مهرجان كان السينمائي الاخير (٩ــ٢٣ مايو) فاعاد اليابان بعد طول

من خيرية البشلاوي



غياب الى خريطة العالم السينمائية من جديد .. وكان اكيرا كيروساوا قد اختفى من فوق هذه الخريطة حقبة من الزمن ظهر اثناءها في مكان اخر برائعة اخرى تحمل عنوان « درسو اوزالا » .. حصل بها على جائزة الاوسكار .. وعاد بالتمثال الى الاتحاد السوفيتي الذي انتج الفيلم وليس الى بلاده التي صنع لها اسما ومجدا بأفلام اصبحت الان ضمن كلاسيكيات السينما (راشمون ، الساموراي السبعة ، عرش الدم ، الخ).

وعمله هذا الاخير « كاجيموشا » هو فيلم الثمانينات دون جدال .. عمل ضخم ، وضخامته لا تعود الى الميزانية الكبيرة التي تكلفها (٦ر٥ مليون دولار) وهو رقم هائل بالنسبة للانتاج الياباني . كما لا تعود الى الشاشة العريضة التي تنطلق فوقها الاحداث وانما الى الانطباع والتأثير الكلي الكاسح الذي يستولي على المشاهد بعد الانتهاء من رؤيته .. لقد كان « درسو اوزالا » (١٩٧٤) شديد الروعة من حيث تأثيره على المشاهد ..

لكننا خضعنا ، ونحن نرقب هذا الصياد المغولي (درسوا) الذي يعيش في احضان الطبيعة لسحر النزعة الشاعرية للرهافة والشفافية والنبل التي تغلف هذا العمل ككل وتمنحه رداء اسطوريا رائعا . .

لكن « كاجيموشا » كعمل سينمائي يعد اعجازا حقيقيا . فالافلام التي يمكنها تطويع عناصر لغة السينما (الصورة ، الموسيقى ، المونتاج ، الاضاءة ، المؤثرات الصوتية ، الديكور ، الملابس) . . تطوعها الى هذه المرتبة المتطورة البليغة من التعبير والابداع . مثل هذه الافلام قليلة في تاريخ السينما ، وتظل مهما مرت السنون مادة للدراسة ، يستفيد منها المتخصصون والجمهور دون أن يبهت بريقها أو تقل اهميتها كاعمال فنية. اضافت الى هذا الفن الذي تنتمي اليه وتطورت به .

كاجيموشا القصة

تدور احداث الفيلم في الربع الاخير من القرن السادس عشر (١٥٧٣) والقبائل الاقطاعية في اليابان تتطاحن حول السلطة والاستيلاء على العاصمة « كيوتو » . . ويصمم شنجن تاكيدا (تاتسيوا ناكادي) احد القواد البارزين وزعيم واحدة من هذه القبائل (قبيلة كاي) على ان يكون هو وقبيلته أول من يرفعون العلم فوق « كيوتو » ، وتاكيدا هذا فارس في الثانية والخمسين ، وقد اشتهر بشجاعته في التاريخ الياباني ، وعرف كمحارب حكيم ، يتمتع بارادة لا تعرف التخاذل ، وقد صاغ نظريته في الحروب ضد القبائل المعادية في شعار اصبح كالاسطورة يحفظه ابناء القبيلة بأسرها : الشعار هو « سريعا كالريح ، صامتا كالغابة ، كاسحا كالنار ، راسخا كالجبل » وفي عام ١٥٧٣ يقرر « تاكيدا » أن يهزم قبيلة « اودا » واحدة من القبائل الثلاثة المعادية تسد قواتها الطريق بينه وبين كيوتو العاصمة . . وتاكيدا لا يتحرك في العادة الا اذا اقتضت الضرورة ذلك ، وكان اذا ترك مكانه يستعين « ببديل » له لكي يجلس في هذا المكان كنوع من التمويه والخداع في الحرب . . وكانوا يطلقون على هذا البديل اسم « كاجيموشا » اي ظل المحارب .

وكثيرا ما كان شقيقه الاصغر « نوبيوكادو » (متسيوتومو يامازاكي) يسعى للقيام بهذا الدور لكن التشابه بينهما لم يكن كافيا ، عثر هذا الشقيق على بديل يشابه شقيقه ، وتشاء سخرية القدر أن يكون هذا الشبيه لصا تانها حكم عليه بالاعدام ، فينقذه شقيق تاكيدا ويعدوه لكي يكون هو « ظل المحارب » لهذا البطل الشجاع . .



وحين يتحرك تاكيدا استعدادا لمعركة الحصار واسر افراد القبيلة (اودا) يصاب برصاصة قاتلة ، وقبل ان يلفظ انفاسه في الطريق يطلب من قواده ان يتكتموا الخبر ولا يعلنوا عن وفاته قبل انقضاء ثلاث سنوات حتى لا يتسرب النبأ الى القبائل الاخرى فتلحق بهم الهزيمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويصاب افراد القبيلة بالتمزق .. وتتلقف القبائل الثلاث المعادية الخبر لكن دون التاكد من صحته .. وتجتهد كل واحدة في كشف السر الحقيقي ، وتحاول قبيلة تاكيدا بدورها ان تشيع ان الزعيم قد انقذ بمعجزة .

ويأتي شقيق تاكيدا « بالبديل » الذي يتمتع بالهيبة والوقار .. وكأي زعيم يصبح مهابا ومحترما من باقي القبيلة التي امن افرادها بأن الزعيم قد تم انقاذه بمعجزة . اما ابن « تاكيدا » الذي كان قد انجبه من احدى محظياته فانه يرفض « المسرحية » باسرها وينسحب هو ورجاله بعد ان تلقى جثة الزعيم سرا في قلب البحيرة وبعد ان يكون هو نفسه قد وعد بان يحفظ السر كوصية والده .

ويأتي جواسيس الزعيم « توكيوجاوا » زعيم اكبر القبائل الثلاث المتنافسة على السلطة بالخبر اليقين ، فيهاجم واحدة من قلاع « تاكيدا » ويستولي عليها ، ويستفز الامر جنرالات « تاكيدا » ويصرون على استعادة

القلعة ويحثون « كاجيموشا » البديل على ضرورة التحرك والا فقدوا الحر بوفقدوا شرف القبيلة الى الابد .

ويعود ابن تاكيدا الذي كان قد ترك القبيلة بهدف استعادة قلعة والده لكن « كاجيموشا » يتصدى له ، ويتصرف باعتباره « المحارب » وليس مجرد ظله ، ويصر على استخدام « تكنيك » تاكيدا بعدم الحركة والثبات ، لكن الاعداء ينتهزون فرصة التكؤ ويستولون على قلعتين اخريين من قلاع تاكيدا .

وفي عام ١٥٧٤ اي بعد مرور سنة يصمم ابن تاكيدا على عصيان كاجيموشا ومهاجمة « توكيوجاوا » وتبدو المعركة خاسرة الى ان يأخذ « كاجيموشا » مكان القيادة فوق التلال ويرتب المعركة وتنتصر القبيلة .

وبعد مرور عام ونصف من موت الزعيم « تاكيدا » يصبح «كاجيموشا» كيانا شرعيا في جسد القبيلة ، ويذوب فيها كما لو كان هو « تاكيدا » بالفعل لكنه تحت اغراء حفيد « تاكيدا » الذي يتعامل مع البديل وكأنه جده فعلا يقرر « كاجيموشا » أن يمتطي جواد « تاكيدا » الذي كان يطلق عليه « الضباب الاسود » لكن الجواد هو الذي لا يمكن خداعه فهو يعرف صاحبه جيدا ، وبالتالي يصاب بالهياج ، ويسقط « كاجيموشا » من فوق ظهره مصابا بجراح بليغة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندما تتولى « المحظيات » تمريض كاجيموشا وكان لا يقربهن بحجة انه مريض ولا يستطيع التعامل معهن كما كان يفعل في الماضي ، يكتشفن ان المريض ليس هو « سيدهم » تاكيدا الذي كان يحمل اثار جرح غائر في ظهره وانما هو « كاجيموشا » اي مجرد بديل له .. وتنتشر الاشاعة بين افراد القبيلة ويفر كاجيموشا هاربا .

وبعد انقضاء ثلاث سنوات يعلن رسميا عن وفاة (تاكيدا) وتهاجم القبائل في معركة فاصلة قوات تاكيدا وتسحقها . وكان كاجيموشا يراقب المعركة من بعد وقبل الهزيمة الكاملة ينطلق وسط جثث القتلى وهو يحمل « العلم » الذي كان تاكيدا يحلم برفعه فوق « كيوتو » ويصاب قبل النهاية برصاصة تجعله يترنح وهو ما زال يحمل العلم حتى يسقط مع اخر انفاسه في النهر ، ويحتوي الماء جثته مثلما استقبلت من قبل جثة تاكيدا ، فارس القبيلة الذي انهى بموته مرحلة مجيدة من تاريخها .

التاريخ في ابداع بصري

يعود كيروساوا في هذا العمل المبدع الى فترة من فترات التاريخ الياباني لها مذاقها الخاص .. ولكيروساوا عشق كبير للتراث التاريخي والثقافي لبلاده اليابان .. ويظهر هذا العشق في روائعه السابقة « راشمون » و « ذو اللحية الحمراء » و « الساموراي السبعة » ، وهو حين يغمس فرشاته في قلب هذا التراث ، نراه يرسم في حب واضح جذور هذه الثقافة . وهو كفنان في السبعين الان (اتم السبعين في مارس الماضي) ما زال يؤكد للمشاهد ان « اصابعه » لم تهن ، ولم يصب خياله الضعف ، ولم تخنه الذاكرة ، كما لم يخن هو مشاهده الذي ظل يثقف ويترقب اليوم الذي سيلتقي فيه مع كيروساوا في اخر اعماله .. وحين ظهر «كاجيموشا» في مهرجان كان السينمائي الاخير (٩ــ٢٣ مايو) ورايناه ، حددنا نحن كنقاد الجائزة الكبرى للمهرجان ، فان لم يحصل عليها فيلم « كاجيموشا » فلمن اذن يمكن ان تذهب الجائزة ؟ وقد صرخ بعضنا استنكارا حين أعلنت الجوائز واكتشفنا ان المخرج الامريكي بوب فوس يشارك كيروساوا النخلة الذهبية ، قلنا لانفسنا اذن لتذهب ثمار النخلة الى كيروساوا وليأخذ بوب فوس الامريكي سعفها .. فهذا هو العدل أو لتسقط لجنة التحكيم ورئيسها الصهيوني كيرك دوجلاس .

وانا اعترف هنا بان مشاهدة الافلام في المهرجان تعطينا مجرد انطباع سريع ، لاننا نلهث في العادة وراء العروض ولا نجد الوقت لمشاهدة العمل اكثر من مرة واحدة ، فاذا كان الفيلم شديد « الدسم » مثل فيلم كاجيموشا ، فانه يحتاج للاقتراب منه في اكثر من مشاهدة واحدة حتى يمكن تلمس جوانب التميز والابداع فيه . ومع ذلك فسوف اجتهد ما امكن ان اقدم كل ما اختزنته من انطباعات ، وما حملته من صور ، فقد استخدم اكيركيروساوا كل امكانيات العالم المادي كل يعطي ترجمة بصرية لموضوع فيلمه ، خلق كيروساوا من الليل والنهار والشمس ابعادها المتدرجة مع الافق والوانها التي تتفاوت درجاتها من الشروق والغروب ومع الريح والعاصفة ، والسكون المشحون ، والبحيرة الممتدة في هدوء وجلال بالاضافة الى آلاف المحاربين بملابسهم التاريخية المزركشة ، الثقيلة بالنياشين والدروع وخوذاتهم وسيوفهم ، فضلا عن عشرات الجياد المدربة .. اقول ان كيروساوا خلق من كل هذه العناصر لغة حية ومتدفقة تمزج بين مشاهد من الطبيعة ، ومشاهد من الاستعراضات العسكرية ، ثم تقطع بين الاثنين ، او تمزج بينهما لخلق معنى يتشكل من خلال لحن بصري متناغم ، ينتهي الى معنى

كلي في ذمن المشاهد ووجدانه .

لقد اختلفت المعارك الحربية هنا في هذا الفيلم عن كل المعـــارك التي رايناها في فيلم آخر .. في احدى هذهالمعارك مثلا كانت الشمس في وضعها مع الافق البعيد المترامي وراء البحر هي احدى « الشخصيات » المتفاعلة في المعركة ، وكان المزج بين حركة جنود المشاة خلـــف الفرسان فوق جيادهم ، وبينأشعة الشمس التي تتسلل من بين سيقان الحركة المنتظمة القوية للجنود المحاربين ، لوحة بديعة التكوين ، مذهلة من حيث دلالاتها المعنوية .

وفي المعركة الاخيرة التي انتهت بسحق قوات قبيلة « تاكيدا »، يكشف كيروساوا عن حس تشكيلي متفرد يعيد الى اذهاننا « لوحاته » السابقة التي ضمتها افلامه التي سبق ذكرها .. كما تكشف كذلك عن قدرة فذة لتجسيد العوامل النفسية في عناصر مادية ابلغ تاثيرا من اي كلام او تحليل نفسي . ظهر « كاجيموشا » البديل مثلا وقد تلبسته روح «تاكيدا» الفارس الذي رحل وكان عليه ان يصبح ظله .. مشى « الظل » مترنحا ، ممزقا ، وسط مئات الجثث التي تغطي ساحة القتال بجوار النهر ، مشى يتامل هذه الجثث وهو يرفع « الراية » في اصرار .. تلـــك التي كان يحـــلم الزعيم برفعها فوق العاصمة « كيوتو » . وكانه يحقق امنية اخيرة رغم الهزيمة ورغم الجثث . لقد توالت صور كاجيموشا وسط هذه الاطلال في ايحاء غريب يؤكد تطابق الظـــل مع اصـــل الصورة .. لقد اصبـــح « كاجيموشا » اللص السابق هو نفسه تاكيدا انسانا شجاعا يرفض الهزيمة ويصر على تحقيق النصر الى ان يصاب برصاصة اخيرة تجعلـــه يترنح الى ان يصل حتى النهر حيث يغوص جسده ويختفي في نفس المياه التي تضم جثة « تاكيدا » والصورة يصاحبها لحن حزين ، ومشهد اكثر حزنا لجنود عاشوا معنى البطولة ثم تجرعوا مرارة الهزيمة لتنتهي بهزيمتهم مرحلة ولتبدا مرحلة اخرى في تاريخ اليابان . لقد هزموا حين تخلوا عن اخلاقيات القبيلة ، وعن قيم البطولة التي صنعت مجدهم ذات يوم .. وحين اصبحت هذه البطولة مجرد « ظل » لاصل اختفى وغاص في اعماق النهر .

لقد تحول المشهد الاخير الى مرثية رائعة لموت « تاكيدا » الاصل ولروح تاكيدا نفســه التي سكنت جسد بديله .. وكان كيروساوا قد اجل عزمها لحين يتاكد للمشاهد هذا الذي يريد ان ينتهي اليه الفيلم فيما يخص اسطورة البديل او « ظل المحارب » .

لكن كيروساوا لم يكن ابدا هو هذا الفنان المحدود الذي يقدم عمـــلا

«كاجيموشا» رائعة البطولة في إسطورة الزعيم وظله



نستطيع تفسيره بمثل هذه البساطة .. فكل مشهد من مشاهد الفيلم يحتاج الى تأمل .

فالى جانب هذا الاحساس المرهف بجماليات الصورة والتأكيد على اخراجها بمثل هذه الدقة والروعة ، يتضح ايضا عنصر الامانة والصدق الفني والموضوعي في مراعاة الفترة التاريخية التي تدور فيها الاحداث . ويقال ان كيروساوا قد استعان بامكانيات المتاحف الاثرية في اليابان لتدعيم عنصر الملابس ، وان مديري هذه المتاحف قد اصابهم القلق الشديد طوال مدة تصوير المعارك التي ارتدى فيها الجنود الملابس التاريخية الخاصة بهذه الفترة والتي استعارها كيروساوا من هذه المتاحف .

وامعانا في الدقة ايضا اختار كيروساوا منطقة للتصوير تخلو من اعمدة التليفون واللاسلكي ومن هوائيات التلفزيون ، وقد تطلب هذا فترة من البحث ومزيدا من التكاليف لنقل معدات التصوير ، وقد تكلف الحصول على عدد من الجياد المدربة المطلوبة لهذه المعارك جهدا مضاعفا ، ولذلك زادت تكاليف الفيلم ووصلت الى ضعف ميزانية اكبر فيلم انتجته اليابان .

وقد حاول كيروساوا ان يستحضر مضمون هذه الفترة التي كان مشدودا اليها بصفة خاصة باعتبارها فترة من اكثر فترات التاريخ الياباني تميزا ، حيث كانت القبائل المختلفة تتصارع بوسائلها على السلطة والسيطرة على اليابان باسرها .. وكان هذا الفنان العظيم مشدودا في نفس الوقت الى فكرة « البديل » ويسعى الى عمل فيلم يقوم عليها ، فكانت النتيجة هذا الثوب الجمالي المؤهل للفكرة وللمرحلة التاريخية التي اختارها .



اكيرا كيروساوا

في سطور

بقلم خيرية البشلاوي

ولد اكيرا كيروساوا بمدينة طوكيو في مارس عام ١٩١٠ وكان هو الابن السابع لأب مدرس يعمل في الخدمة العسكرية . وقد أرسل ابنه كيروساوا الى المدرسة وبقي فيها حتى تخرج منها عام ١٩٢٧ .

اتجه كيروساوا الى الفن ، فالتحق باكاديمية ديوشولا حيث تعلم فنون الرسم في الدول الغربية ، وكان يعرض بعضا من رسوماته في المعارض السنوية في مدينة « نيكا » .. وفي هذه الفترة بدأ كيروساوا يهتم بالسينما وقد ساعده شقيقه الأكبر هيجو الذي كان يعمل معلقا للأفلام وشارك كيروساوا اهتمامه وشغفه بالادب الروسي .

في عام ١٩٣٦ استطاع كيروساوا أن يحصل على وظيفة مساعد مخرج في استوديوهات ب.س.ل التي اصبحت فيما بعد شركة توهو — أهم شركات الانتاج والتوزيع في اليابان ، واستطاع كيروساوا أن يصنع عيشه من خلال الرسم واللوحات الايضاحية . وقد امضى سنوات قبل أن يصبح مخرجا للأفلام . عمل

كيروساوا مساعدا للمخرج كاجيرو ياماماتو الذي علمه فنون الاخراج ودفعه الى البدء في كتابة السينار يوهات . من بين هذه السينار يوهات سينار يو فيلم « ٣٠٠ ميل عبر خطوط الاعداء » الذي أخرجه بعد أن كتبه بعشر ين عاما . وسينار يو بعنوان « ألماني في معبد داروما » الذي يقوم على قصة حياة المهندس الألماني برونو توتو الذي كان له تأثيراً كبيراً على الشباب الياباني . في عام ١٩٣٨ عمل كيروساوا مع المخرج ياماماتو في فيلم « حب توجورو » وهو عمل شبه تسجيلي عن حياة الفلاحين في مقاطعة توهوكيو. في عام ١٩٤٣ كتب كيروساوا واخرج أول افلامه « جودوساجا » الذي يعتبر بداية ناجحة وواعدة لمخرج يشق طر يقه كصانع للافلام . في عام ١٩٤٤ أخرج كيروساوا « أكثر الجميلات » وهو فيلم دعائي يشيد بمساهمة شركة من شركات صناعة معدات التصو ير والدور الذي قامت به اثناء الحرب . وفي هذا العام ذاته قدم كيروساوا فيلما عن مسرحية مشهورة من مسرحيات مسرح « النوه » (مسرح من مسارح الطقوس التقليدية والعصور الوسطى اليابانية ، ارتبط باستخدام الأقنعة وتمجيد المثل العليا وتجسيدها) . المسرحية بعنوان « هؤلاء الذين يخطون فوق ذيل الدب » . كشف كيروساوا في هذا الفيلم عن اهتمامه بالناس « المحترفين » .. هذا الاهتمام الذي بدا واضحا في فيلم « راشمون » الذي يصور رجلا هاو يا ، يؤدي عمل الساموراي ، أو الفرسان اليابانيين على انه ليس من الساموراي الاصليين ، وفي فيلم « كاجيموشا » الذي يقدم لصا لكنه يحترف مهنة « البديل » الذي يستعان به للتمو يه ولحماية المحارب القائد أثناء المعارك الحر بية .

و بعد الحرب وحتى عام ١٩٥٠ قام كيروساوا بكتابة افلامه واخراجها فاستعان بالموضوعات التي تعالج حقائق الحياة الحديثة في اليابان بأسلوب واقعي . وتناول مشاكل الحياة في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية بحس أخلاقي تجسد في أفلامه : « الفضيحة » و « الحياة المدنية » وفيلم « مبارزة حامية » و « الكلب الضال » وفي « يوم أحد رائع » الذي عالج فيه مشاكل الوقاية ومشاكل الصحة وهموم الحياة بعد حرب استخدمت فيها القنبلة الذر ية وكانت اليابان هي الضحية الأولى لتفجيرها .

وفي عام ١٩٥٠ استعان كيروساوا بالتار يخ والموضوعات التاريخية فقدم فيلمه « راشمون » الذي يقوم على فكرة أن الحقيقة لها أكثر من وجه واحد وأن وجوهها

تشعدد بتعدد من ينظرون اليها . وهو من أفلامه الرائعة فقد حاز الفيلم على الجائزة الكبرى في مهرجان فينيسيا وحصل على الأوسكار كأحسن فيلم أجنبي . وقد فتح هذا الفيلم الاسواق الغربية أمام الفيلم الياباني بعد أن كشف عن موهبة جديدة وغير عادية لفنان ياباني يتمتع بأسلوب وحس سينمائي متقدم .

وفي عام ١٩٥١ أقتبس اكيرا كيروساوا رواية دستيوفسكي « الأبله » وعالجها بأمانة مذهلة لأن الكتاب يعد أحد كتبه المفضلة . ثم أخرج عام ١٩٥٢ فيلم « حياة » أحد أقوى الأفلام اليابانية التي تتأمل فكرة الوحدة والموت . بعد فيلم « حياة » الذي حاز على جائزة في مهرجان برلين ، حاول كيروساوا أن يطرق موضوعات أخرى ، فاتجه الى الميثولوجيا اليابانية يستخرج منها مادته يعالجها و يطوعها بالاسلوب الذي يكشف عن تأثره بالسينما الهوليودية وكانت النتيجة فيلم « السامورای السبعة » عام ١٩٥٤ . وقد مزج كيروساوا في هذا الفيلم بين التقاليد اليابانية الخاصة بفنون وآداب المبارزات في التراث الياباني و بين الموضوعات الكلاسيكية لافلام الغرب الامريكية التي تغلفها نزعات البطولة والزمالة والصداقة . وقد تم انجاز هذا الفيلم في ١٨ شهراً وتكلف أكبر ميزانية عرفتها شركة توهو آنذاك . وحصل الفيلم على جائزة الأوسكار الذهبي في فينيسيا وحقق شهرة جماهيرية كبيرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واتجه كيروساوا بعد ذلك الى الموضوعات التاريخية ، حيث يستعين بالتاريخ للتعليق على الحاضر ويمزج بين الاثنين بحيث يجعل المتفرج يستعيد الماضي بينما يتأمل الحاضر و يستحضر ملامحه . واخرج عام ١٩٥٥ فيلم « أن تعيش في خوف » الذي يعالج مشاعر الخوف والرعب .

وفي عام ١٩٥٧ قدم كيروساوا مسرحية شكسبير « ماكبث » لكن في ثوب ومزاج ياباني تحت عنوان « عرش الدم » ثم اقتبس رواية مكسيم غوركي « الاعماق » لكنه أرجع أحداثها الى القرن السادس عشر من عصر « إدو » أي عصر الرخاء والسلام .. (العصر الذي يبدأ حيث تنتهي أحداث فيلمه الأخير لاجيموشا) .

وأضاف كيروساوا بتجاربه واجتهاداته الى الاستخدامات الخاصة بعناصر

الصوت والتصوير واستخدامه لعدسات الكاميرا وطورفيها وطوعها بحيث تخدم هدفه الدرامي واستعان في أخراجه للأفلام بعدد كبير من الكاميرات التي كان يستخدمها في آن معا لتصوير المعارك والمشاهد المزدحمة بالناس و بالاشياء . كما أضاف وطور عنصر المونتاج وقدم الهاماته في هذا المجال بصورة رائدة . ثم قدم أول

أفلامه السكوب « القلعة المخبأة » وهو فيلم تاريخي يكشف عن حسه التشكيلي وقدرته الباهرة في انجاز المشاهد الفخمة ، والفيلم يعد من اعماله الجريئة والقوية التي تمزج ما بين الاسطورة والمحاكاة والنزعة الشاعرية الاصيلة و بين الجو والخلفية التاريخية .

في عام ١٩٦٠ ترك كيروساوا شركة توهو التي عمل بها منذ اشتغاله بالسينما ، وكون شركته الخاصة التي أخرج من خلالها فيلم « الشريرينام جيدا » الذي يتناول فيه فكرة الفساد في امبراطورية مالية كبيرة .

في عام ١٩٦١ — ١٩٦٢ أخرج كيروساوا فيلمه « يوجيمو » و « ساجيرو » فيلمان تاريخيان تميزا بمعالجة عصرية تتسم بالديناميكية و بالاهتمام بالعناصر الشكلية الخارجية والحركة الجسمانية والمادية و بالمغزى الأخلاقي المباشر وأضاف كيروساوا بهذين الفيلمين نغمة جديدة الى السينما اليابانية كما عكس قلق الشباب الحديث الذي أصبح يتساءل عن القيم التقليدية .

وفي عام ١٩٦٣ قدم كيروساوا فيلما بعنوان « المرتفع والمنخفض » المقتبس عن كتاب امريكي للكاتب إد ماكبين الذي يتناول الحياة المدنية ومشاكلها الكلاسيكية . تلك الحياة التي تقوم على الاكاذيب والتصورات الوهمية والخداع والحيلة .. وهذه صفات ظهرت في أفلامه المبكرة « الملاك السكران » و « الكلب الضال » .

وفي عام ١٩٦٥ اخرج كيروساوا فيلم « دواء للحية الحمراء » وهو فيلم يكشف عن تأثره الواضح بكتاب دستيوفسكي « مستذلون مهانون » وقد استغرق في عمله عامين ، و يعد فيلما تجريبيا يهاجم التطور المدني الوحشي لليابان الذي ازعج الكثير من الناس وأصابها بحالة من الاغتراب .

وقد حقق الفيلم نجاحا كبيرا و بعدها انضم كيروساوا الى مجموعة من المخرجين الرواد في السينما اليابانية هم كينوشيتا وايشكاوا وكوبایاشي ، وكونوا معا شركة واحدة اسموها « الفرسان الأربعة » وعمل كيروساوا في بعض المشروعات السينمائية مع بعض الامريكيين وقدم عام ١٩٦٩ فيلمه « دودسكادن » الذي يقوم على حكاية تتناول هموم الفقر والحياة الصعبة ، وكان هذا الفيلم هو أول عمل له بالألوان لكنه لم يحقق نجاحا ما وأدى الى افلاس الشركة الجديدة الأمر الذي أصاب كيروساوا بالاكتئاب الشديد .

وفي عام ١٩٧٤ قدم كيروساوا فيلم « درسو أوزالا » لحساب الاتحاد السوفيتي ، وكان رائعة بديعة تتناول علاقة الانسان بالبيئة ، واختار صيادا يعيش وسط الغابات حتى اصبح هو نفسه جزءا لا يتجزأ من الطبيعة . وقد أعاد الفيلم لكيروساوا كبرياؤه كفنان عظيم دون أن يخفف ذلك من الصدمة النفسية التي اضطرته أن يهجر اليابان الى الاتحاد السوفيتي

لكن كيروساوا يعود بكبرياء شامخ ليقدم رائعته اليابانية « كاجيموشا » التي تعيد الى السينما اليابانية وضعها الدولي كسينما قادرة على العطاء الفني .

و ينوي كيروساوا أن يقدم مسرحية « الملك لير » .. تلك المسرحية التي سوف تتيح له الفرصة لكتابة تقريره الخاص عن « الشيخوخة » وأن يكون هذا التقرير بمثابة الوثيقة التي يقدمها انسان عجوز في السبعين لكنه ما زال أكثر قدرة على العطاء من شاب في العشرين .